# الفرقان

## لتقرير مذهب
## الإمام عبدالرحمن بن ناصر السعدي
## في أحداث آخر الزمان

أبو عمرو الأبيني

يسلم بن صالح بن شيخ (بن عجلان) الكلدي اليافعي

مسجد السنة/ أبين باجدار

# الحق أقوى من الرجال

محفوظة جميع الحقوق

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

اسم الكتاب: الفرقان
المؤلف: أبو عمرو يسلم بن صالح اليافعي
الطبعة: (الثالثة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# مقدمة الطبعة الثالثة

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ شُرُوْرِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ ﷺ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عِمْرَان : ١٠٢]

وقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النِّسَاء : ١]

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأَحْزَاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد:

فاعْلَمُوْا أَنَّ خَيْرَ الْحَدِيْثِ كَلَامُ اللهِ تَعَالَىٰ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُوْرِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

فهذا بحث فيما يتعلق بما ورد في الشرع من أحداث آخر الزمان بعد ظهور المهدي نؤيد فيه ما قرره العلامة السعدي رحمه الله في يأجوج ومأجوج وغيرهم واستعانتهم بالنعم والصناعات العصرية، وسيكون في عدة فصول.

الفصل الأول مقدمة البحث.

والفصل الثاني ذكر شيء من مقاصد الشريعة.

والفصل الثالث الرد علىٰ شبهات جاء بها بعض من تألىٰ علىٰ الله أنه سيأخذ هذه النعم العصرية، وأنّ أخذها بلازم قولهم من أشراط الساعة، والرد علىٰ شبهاتِ من منع الكتابة في هذا الباب.

الفصل الرابع في التحقيق في مسألة هذه النعم وبقائها وذكر الأدلة علىٰ ذلك.

الفصل الخامس في ذكر الدجال واستغلاله لهذه النعم العصرية، وذكر الأدلة الشرعية علىٰ ذلك.

الفصل السادس في ذكر نبي الله عيسىٰ عليه الصلاة والسلام وشيء من خصائصه.

الفصل السابع في ذكر اندكاك سد يأجوج ومأجوج من زمن قديم، وذكر استغلالهم أيضا لهذه النعم العصرية عند خروجهم علىٰ نبي الله عيسىٰ عليه الصلاة والسلام.

الفصل الثامن مناقشة ما استدل به من تألىٰ علىٰ الله أنه سيذهب هذه النعم العصرية.

الفصل التاسع بعض مفاسد القول بزوال هذه النعم.

وأسميت هذا البحث **(الفرقان لتقرير مذهب الإمام عبدالرحمن بن ناصر السعدي في أحداث آخر الزمان)** فأسأل الله أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع به الإسلام والمسلمين.

وهذه هي الطبعة الثالثة بفضل الله سبحانه وتعالىٰ لهذه الرسالة (الفرقان) التي نرجو من الله أن ينفع بها الإسلام والمسلمين، وهي الطبعة التي نعتمدها للنشر، وقد كنت طبعت طبعتين من قبل وأرسلتها لبعض المشايخ الفضلاء نلتمس النصيحة والتوجيه، ونلتمس إقامة الحجة، وأخبرتهم أن هذه الطبعات خاصة بهم، بل وحرّجتُ عليهم في الطبعة الثانية أن لا ينشروا شيئا مما فيها، كل ذلك حرصا علىٰ حصول النصح

والنقاش العلمي علىٰ الخاص بعيدا عن المهاترات والردود التي توغر الصدور، وحيث إنه لم تصلني منهم أي نقاشات علمية فقد جهزت هذه الطبعة للنشر ، براءة للذمة عند الله سبحانه وتعالىٰ فلا يدري الإنسان لعل الأجل أن يفجأه ولما ينشر ما يراه دينا يتقرب به إلىٰ الله تعالىٰ، ولو خالفني من خالفني، فقد روىٰ اللألكائي في شرح اعتقاد أصول أهل السنة عن ابن مسعود قوله: الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك. اهـ وقال العلامة العثيمين في شرح العقيدة الواسطية: لا يثني عزمك أن ترىٰ نفسك وحيدا في الميدان، فأنت الجماعة وإن كنت واحدا، ما دمت علىٰ الحق، ولهذا ثق بأنك منصور إما في الدنيا وإما في الآخرة.اهـ

وإني والله آسف غاية الأسف من إخوان كرماء وشيوخ فضلاء عدمنا منهم النصح والنقاش العلمي من أول يوم وإلىٰ الان، فكنت ربما أتواصل بالواحد منهم فما يرد علي حتىٰ السلام، ثم تفاجأت مفاجأة بجرح شديد وهجوم لاذع علىٰ وسائل التواصل من البعض ما كنت والله أتصوره، فقد رأيتُ الجفاء من كثير منهم كأن لم تكن بيني وبينهم مودة ولا أخوّة سلفية، وهذا منهم لا يثنيني عن الحق، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوىٰ: فإن الله لم يوجب علىٰ أحد طاعة أحد، إلا طاعة رسوله والأخذ بما جاء به، بحيث لو خالف العبدُ جميع الخلق واتبع الرسول ما سأله الله عن مخالفة أحد، فإن من يطيع أو يطاع إنما يطاع تبعا للرسول، وإلا لو أمر بخلاف ما أمر به الرسول ما أطيع. اهـ

وهم وإن تعاملوا معي بالجفاء وبغير المنهج السلفي القائم علىٰ التناصح والبيان العلمي فإنه لا يمنعنا ذلك من بيان محبتنا لهم ما داموا علىٰ السنة، وإنه لا تمنعنا

محبتهم من قول كلمة الحق، فالحق أحب إلينا من ملئ الأرض من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية فضلا عن بعض الشيوخ المعاصرين.

وكنت وعدت شيخنا العلامة يحيىٰ الحجوري بغلق هذا الباب والتزمت علىٰ نفسي أن لا أنشر هذا البحث، وأن الباب سيغلق تماما حتىٰ يأذن الله تعالىٰ، نظرا لما حصل من قبل من الردود وإيغار الصدور بيني وبين البعض، وظننت أن أسلوبي السابق في المنشورات هو الذي سبب سوء الظن من بعض الشيوخ علي حيث هاجمني بعضهم هجومهم علىٰ أهل البدع، دون أي نصيحة أ ونقاش بيني وبينهم علىٰ وجه الخصوص، إلا أن بعضهم أمرني بالبعد عن هذا الباب لا غير، فرأيت أن أجمع المادة العلمية نفسها لكن بأسلوب علمي مقبول عندهم في نظري، ففعلت ذلك ويسره الله لي في مدة قصيرة ولله الحمد والمنة، لكني إلىٰ الان وللأسف لم أجد إلا سكوتا مريبا لا يليق أن يكون من المسلم تجاه أخيه المسلم.

وكل ما يمكن أن يحتج به من عارضني فهو معلوم عندي، لأني سبرت هذه المسألة بفضل الله تعالىٰ سبرا لم يسبق إليه أحد فيما أعلم، وما كتبت كتاباتي ونشرتها إلا بعد أن تتبعت نصوص الشرع وأقوال الأئمة في هذا الباب، وكررت الاستخارة لله تعالىٰ، فلن يأتي من خالفني بوحي جديد، والتوفيق من الله.

وإنه لابد من نشر الكتاب وبيان المسائل المختلف عليها، فإذا حصل القبول والنقاش العلمي فلله الحمد والمنة، وإذا رأيت بغيا وتطاولا وتجاوزا كما حصل سابقا فحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا نبالي إن شاء الله ببغي باغ أو ظلم ظالم في هذا الباب، لكننا نأسف ممن كان الناس يعدونه أن يكون مرجعية للأمة وإذا به قد صار يسلك هذا

المسلك الذي لا يصدر إلا من قلة العلم والحلم، وكنت بادئ الأمر أتوقع أن يشن علي الحملة بعض المبتدعة، فعزمت علىٰ الرد عليهم وتفنيد شبهاتهم وكسر أنوفهم بأدلة الشرع، حتىٰ يعرف الناس الحق، ويعرف هؤلاء الضلّال قدر أنفسهم، وأنه ليس كل مسألة يحسنون الكلام فيها، فتفاجأت بالحبيب والقريب من بعض شيوخي وإخواني يتولىٰ ما ظننت المبتدعة يتولونه، فانكسرت نفسي انكسارا شديدا، وعلمت أني إن تكلمت ورددت أو ناقشت فكأنما أرد علىٰ نفسي، خصوصا مع تربص أهل الباطل بأهل السنة، فسكت ولم أنافش شيئا من تلك المسائل، وعذرتهم لأنهم لم يكونوا يعلمونها من قبل، وليس فيهم من تجرد لدراستها وتحقيقها سابقا، ولم أحب أيضا أن يظهر هؤلاء الشيوخ بصورة المندفع الذي يتكلم بما لا علم له به، لأني سأرد علىٰ من يقف في وجهي بما لا قبل له به من أدلة الشرع، ومن الطرح العلمي بأساليب مقنعة ومفحمة بفضل الله تعالىٰ، ثم يتخذ أهل البدع نقاشنا مطية للطعن في منهجنا وطريقنا القويم عموما.

ولهذا حرصت غاية الحرص علىٰ جمع هذه المادة العلمية كما تقدم، وحرصت علىٰ طبعها وإرسال النسخ لهؤلاء الشيوخ وغيرهم من بقية شيوخ العلم والسنة، حتىٰ تقوم الحجة علىٰ كل واحد بعينه، ويصله الكلام بصورته الحقيقية لا بالصورة المشوهة التي تلقوا رسائلي السابقة بها، ويكون عندهم الفسحة من الوقت للنظر والتأمل، وبعدها ليس لي إلا أن أقول: معذرة إلىٰ ربكم ولعلهم يتقون.

والله يعلم أن غرضنا نصرة دينه وشرعه، ونرىٰ أنه لا يجوز لنا أن نسكت عن بيان هذه القضية للناس، وليس بي حاجة لمضادة بعض إخواني وشيوخي! فمن الذي يبحث

عن مضادة إخوانه الذين يجلونه ويحترمونه ويكرمونه حتىٰ يجعل نفسه في مرمىٰ سهامهم الخارقة وتحت سياطهم اللاذعة؟! لكننا نبتغي الأجر من الله ونرجو الله أن يشرح صدورهم للحق وأن يزيد الألفة والمحبة بيني وبينهم لأنا لا نريد إلا رضاه، ومن التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضىٰ عنه الناس.

وقد ذكرت في هذه الطبعة الثالثة زيادات علمية في غاية من الأهمية ليست في سابقاتها والعون من الله، ومما نحب أن نلفت انتباه القارئ الكريم له أن المسائل التي خالفوني فيها واشتد نكيرهم علي لأجلها ليست من المسائل التي اختلف فيها أهل السنة مع أهل البدع، حتىٰ استقرت عند أهل السنة وتلقوها بالقبول، ولكنها مسائل من جنس ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية وهو في القرن السابع الهجري في مقدمة أصول التفسير: **فإن الكتب المصنفة في التفسير مشحونة بالغث والسمين، والباطل الواضح والحق المبين.** اهـ

فهذا حكم شيخ الإسلام علىٰ كتب التفسير التي قبله خلال أكثر من ستمائة سنة!

ومن جنس ما قاله القرطبي في تفسير سورة الحج نقلا عن القاضي عياض في الرد علىٰ قصة الغرانيق التي يذكرها المفسرون في سورة النجم قوله: أما المأخذ الأول فيكفيك أن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواه بسند صحيح سليم متصل ثقة، **وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم.** اهـ

ومن جنس ما قاله الإمام السعدي رحمه الله في تفسير سورة النمل: وهذه التفاسير التي توجد وتشتهر بها أقوال لا يعرف غيرها، تنقل هذه الأقوال عن بني إسرائيل مجردة، ويغفل الناقل عن مناقضتها للمعاني الصحيحة وتطبيقها علىٰ الأقوال، **ثم لا تزال تتناقل وينقلها المتأخر مسلما للمتقدم حتىٰ يظن أنها الحق، فيقع من الأقوال الردية في التفاسير ما يقع**. اهـ

فقد اغتر بعض إخواننا هداهم الله ببعض هذه الأقوال الردية السقيمة الغثة التي شحنت بها كتب التفسير كما قال هؤلاء الأئمة، مما مصدره الإسرائيليات والأحاديث الضعيفة أو الأفهام المبنية عليها في أمور الغيبيات المستقبلة، واستقر في أذهان إخواننا أنها الحق لقلة من ناقشها وبيّنها، فلما قمتُ بذلك صيروني مخالفا لمذهب السلف، لنقدي قضايا هي من جنس الغث والسقيم والغرائب التي أولع بمثلها المفسرون، وعاب إخواننا عليّ هذه التقريرات وتعجبوا مني غاية العجب، وصاروا كما قال القائل:

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم.

وقد سبق لهذا النقدِ الإمامُ السعدي وغيره، ولكل نبئ مستقر وسوف يعلمون، ولا يسعنا هنا قبل الشروع في المقصود إلا أن نذكرهم بما قاله العلامة عبدالرحمن المعلمي رحمه الله: واعلم أن الله تعالىٰ قد يوقع بعض المخلصين في شيء من الخطئ

ابتلاء لغيره أيتبعون الحق ويدَعون قوله أم يغترُّون بفضله وجلالته؟ وهو معذور بل مأجور؛ لاجتهاده وقصده الخير وعدم تقصيره؛ ولكن من تبعه مغترًّا بعظمته بدون التفات إلىٰ الحجج الحقيقية من كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فلا يكون معذورًا، بل هو علىٰ خطر عظيم. اهـ من كتاب آثار العلامة عبد الرحمن المعلمي (٢/ ٢٩٤). وبما قاله ابن الأمير الصنعاني في إرشاد النقاد (١/ ١٣٠): إلا أنه لا يخفىٰ أن الاجتهاد موهبة من الله يهبه لمن يشاء من العباد، فما كل من أحرز الفنون أجرىٰ من قواعدها العيون، ولا كل من عرف القواعد استحضرها عند ورود الحادثة التي يفتقد إلىٰ تطبيقها علىٰ الأدلة والشواهد...وكم قد رأينا وسمعنا من زكي عارف إمام يضيق عطن بحثه عند ورود حادثة من الأحكام فيتبع أقوال الرجال تقليدا، ويعود عندها مقلدا مبلدا كأنه ما غرف من بحار الفنون ولا عرف شيئا من تلك الشئون. اهـ

٢٢/ رجب / ١٤٤٥ هـ

ثم زدت بعض الملحقات بعد هذا التارخ

❊❊❊

# الفصل الأول
# مقدمة البحث

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه ومن اتبع هداه

أما بعد:

فقبل أن ندخل في هذه البحوث نحب أن ننبه إلىٰ خطورة الكذب علىٰ الله والكذب علىٰ رسوله عليه الصلاة والسلام، فإن هذا مزلق خطير لا يتجشمه إلا من أزاغ الله قلبه من أهل النفاق والزندقة، أو من أهل البدع والأهواء، قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزُّمَر : ٣٢] وقال الله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هُود : ١٨] وقال الله تعالىٰ: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عِمرَان : ٦١] وقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [النَّحل : ١٠٥] وقد ثبت في الصحيحين مما اتفقا عليه أومما تفرد به أحدهما عن عدة من الصحابة منهم علي والزبير وأنس وسلمة بن الأكوع وأبو هريرة بألفاظ متقاربة أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: **"مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"** فهذا لا شك وعيد شديد، وهو شامل للكذب بالألفاظ والكذب بالمعاني، فمن تقول علىٰ الله ما لم يقل شمله هذا الوعيد، ومن تقول علىٰ رسوله عليه الصلاة والسلام ما لم يقل شمله هذا الوعيد، ومن فسّر قول الله وقول رسوله بغير برهان شمله هذا الوعيد أيضا، والله تعالىٰ حافظ كتابه لفظا ومعنىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ

لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحِجْر : ٩] فالألفاظ محفوظة والمعاني محفوظة، والسنة من معاني القران فيشملها هذا الدليل فهي محفوظة، ومن تكلم في معاني القران والسنة من دلالات النصوص الشرعية فعليه أن يتكلم بما هو أبين عنده من ضوء الصبح، وإلا فحسبه ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: **"مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ"** ومن قال في معاني النصوص الشرعية من القران والسنة بغير علم وتحقيق ونظر، وتعصب لقوله مدعيا الوقوف علىٰ ظواهر النصوص الشرعية فإنه يخشىٰ أن يشمله هذا الوعيد الشديد، ويكون إصراره علىٰ ما يدعيه من الظواهر مع علمه بالاختلاف بين أهل العلم من تعمد الكذب علىٰ الله تعالىٰ وعلىٰ رسول الله عليه الصلاة والسلام، وما ضل من ضل من أهل البدع قديما وحديثا إلا بسبب هذا النوع من الكذب، وهو تحريف المعاني، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأَعْرَاف : ٣٣] والمسائل التي ذكرناها في هذا الكتاب عبارة عن مسائل عصرية وبعضها مستقبلية، لم تحقق تحقيقا علميا فيما نعلم من قِبَل أهل العلم المعاصرين، أو حتىٰ المتقدمين، فالناصر لها أو المعترض عليها لا يليق به أن يتكلم إلا فيما يحسن، ومن خاض فيها بقبول أو رد بغير علم فيخشىٰ عليه أن يكون ممن يشمله الوعيد الشديد الذي تقدم في تغليظ الكذب علىٰ الله وعلىٰ رسوله عليه الصلاة والسلام، فباب الدين ليس لكل من هب ودرج، خصوصا في عصرنا، حيث أصبح نشر الكلام بين الناس من أسهل المهمات بسبب وسائل التواصل الحديثة، فتجد بعض الجهلة والمتطفلين علىٰ العلم يجادل ويناقش فيما

كتبناه من المسائل في المجموعات والقنوات والمجالس لمجرد الهوىٰ والرأي أو التقليد وكأنه يتحدث عن صناعة من الصناعات البشرية، فرحم الله امرأ عرف قدر نفسه، كما ذُكِر في الحلية عن الفضيل أنه قال: رأس الأدب عندنا أن يعرف الرجل قدرَه.

وهذا أوان الشروع في المقصود فنقول:

إن الله سبحانه وتعالىٰ قال: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النَّحل: ١٨] وقال: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إبْرَاهِيم: ٣٤] وقال: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ﴾ [النَّحل: ٥٣] فلا زال الله تعالىٰ متكرما علىٰ عباده بصنوف النعم والمنن، علىٰ مر الدهور والعصور، آناء الليل والنهار، وإن أعمالهم كلها لن تقابل نعمة واحدة من نعم الله عز وجل ما لو قورنت بها، فلن يستطيعوا أن يحصوا نعم الله عليهم فضلا عن أن يؤدوا شكرها، ومع هذا فإن الله يحب الشاكرين من عباده حتىٰ جعل الشكر شرطا لعبوديته وحده سبحانه وتعالىٰ.

﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [النَّحل: ١١٤]

ووعد عباده بالزيادة من النعم ما داموا شاكرين لها ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾ [إبْرَاهِيم: ٧] وأمر ربنا سبحانه وتعالىٰ نبيه عليه الصلاة والسلام أن يحدث بنعم الله عز وجل حيث قال: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ [الضُّحَى: ١١] ومن هذا الباب نحب التحدث والكتابة عن نعم عظيمة من نعم الله عز وجل، أنعم الله بها علىٰ أهل العصور المتأخرة، وفتح عليهم بها وأخرجها لهم من بركات

الأرض وزهرة الدنيا، وقد أشار إليها النبي عليه الصلاة والسلام إشارة كما في الصحيحين عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **" إِنَّ أَكْثَرَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللهُ لَكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ "** . قِيلَ : وَمَا بَرَكَاتُ الْأَرْضِ ؟ قَالَ : **" زَهْرَةُ الدُّنْيَا "** . فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : هَلْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ ؟ فَصَمَتَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ ظَنَنَّا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَعَلَ يَمْسَحُ عَنْ جَبِينِهِ، فَقَالَ : **" أَيْنَ السَّائِلُ ؟ "** . قَالَ : أَنَا. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : لَقَدْ حَمِدْنَاهُ حِينَ طَلَعَ ذَلِكَ، قَالَ : **" لَا يَأْتِي الْخَيْرُ إِلَّا بِالْخَيْرِ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ، وَإِنَّ كُلَّ مَا أَنْبَتَ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ ، إِلَّا آكِلَةَ الْخَضِرَةِ، أَكَلَتْ حَتَّىٰ إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسَ فَاجْتَرَّتْ، وَثَلَطَتْ وَبَالَتْ، ثُمَّ عَادَتْ فَأَكَلَتْ، وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ حُلْوَةٌ، مَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ وَوَضَعَهُ فِي حَقِّهِ، فَنِعْمَ الْمَعُونَةُ هُوَ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ، كَانَ الَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ "**.

وقد امتن الله تعالىٰ علىٰ الناس في كتابه بأصول هذه النعم، وهي في بعض المنافع لا تبلغ عشر معشار ما بلغته هذه النعم علىٰ أهل هذا العصر، قال الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البَقَرَة : ٢٩] وقال الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لُقمَان : ٢٠] وقال الله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [يس : ٧١ - ٧٣] وقال الله تعالىٰ: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النَّحل : ٤ - ٨] والآيات في هذا الباب كثيرة.

فسبحان الله الذي يخلق ما لا يعلمون!

فقد رأينا من عجيب صنع الله في هذا العصر ما تنبهر له العقول، وتحار فيه الأذهان، وتقف له القلوب وقوف التعظيم والإجلال والإكبار لله عز وجل، فسبحان الله ما أعظمه! فهو القائل: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ [الإسراء: ٨٥]

إن كان الأولون يتجملون ويتزينون بالأنعام فإنهم يتزينون ويتجملون في زماننا ببركات الأرض وزهرة الدنيا من أنواع السيارات والمراكب الفارهة المعدة بجميع وسائل الراحة من نعومة ملمس، وبرودة جو، وصفاء زجاج، ونظافة ورائحة طيبة، وصور مختلفة ألوانها وأشكالها، وسرعة سير، مع تمام الراحة والسكينة وعدم الاضطراب.

وإن كان الأولون يحملون أثقالهم علىٰ الإبل ونحوها فإنهم في زماننا يحملون أثقالهم بالناقلات والشاحنات الكبيرة التي تستطيع الواحدة منها أن تحمل ما يحمله أكثر من مائة بعير، وإن كان الأولون يسافرون الأسفار البعيدة في الأزمنة الطويلة فإنهم في زماننا يسافرون السفر البعيد في الساعات اليسيرة، خصوصا في الجو، مع تمام الدعة والراحة وكأنهم في بيوتهم!

فلا تتحدث عن الطيران الحديث وما فيه من النعم العظيمة والمنافع الجليلة التي يعجز عن وصفها والتحدث عنها اللسان فضلا عن شكرها، فهي تحمل آلاف الأطنان في فضاء الله سبحانه وتعالىٰ ما يمسكها إلا الله، وتحمل مئات المسافرين وتقطع بهم من المسافات خلال ساعات ما كان يقطعها الأولون في أشهر طويلة وربما سنوات.

وإذا جئت تنظر في حال الناس فإن الواحد منهم إذا غاب عن أهله في سفر في شرق الأرض أو غربها تجده يكلمهم ويكلمونه كما لو كان عندهم، ولا يخفىٰ عليه شيء

من أخبارهم وأحوالهم حتىٰ يرجع إليهم، فهو يدير أمورهم ومصالحهم كأنه بين أظهرهم، فما أعظمها من نعم!

وكم يتحدث الإنسان عن نعم الله عز وجل في هذا العصر الذي يعيش فيه آحاد الناس وأفرادهم حياةً ما كان يحلم بمثلها الملوك المتقدمون!

فنسأل الله أن لا تكون طيباتنا قد عجلت لنا في حياتنا الدنيا.

وإن كان الله تعالىٰ أمر الأولين بتذكر نعمه وشكرها، وتوعد من لا يشكر نعمه بالعذاب الشديد، وهي لا تقارن مع هذه النعم العصرية، فكيف سيكون حال الناس مع هذه النعم من شكر الله تعالىٰ؟ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم : ٧]

لا شك أنها تستدعي شكرا أكثر، وحذرا أكبر من كفرانها والتفريط فيها.

وإن موضوع تحدثنا عن هذه النعم والرحمة التي فتحها الله للناس من بركات الأرض في هذا الزمن هو مصيرها عند الناس، هل سيمسكها الله عز وجل ويعيد الناس لما كانوا عليه في الأزمان السابقة، أم أنه سيبقيها سبحانه وتعالىٰ حتىٰ تأتي أشراط الساعة الكبرىٰ؟ وهذه المسألة تتعلق بالغيب من فعل الله سبحانه وتعالىٰ فلا يجوز الإقدام علىٰ أي قول فيها إلا بتوقيف من الشرع، والقول فيها بغير علم وبحث وتحر يعتبر من القول علىٰ الله بغير علم وكفىٰ به إثما مبينا، قال الله تعالىٰ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [فاطر : ٢]

وقال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٣﴾ [الأعراف : ٣٣]

وإننا نطلب من أحبتنا وقرة أعيننا من أهل العلم وشيوخ السنة والدعاة إلىٰ الله أن يأخذوا هذا البحث بعين الاعتبار، وأن يولوه الاهتمام البالغ، فهي مسألة مهمة في غاية الأهمية، لا يليق غلقها والإعراض عنها، ولا جعلها كالطرق العقلانية المنحرفة بدون تحقيق ونظر، إلا لمصادمتها لاعتقاد ساد عند الكثير وانتشر وليس عليه ما يؤيده من الأدلة الشرعية ولا من مقاصد الإسلام.

وأنا ولله الحمد أسير علىٰ معتقد السلف، ليس عندي عقلانية ولا أعرف أهلها ولا أستحل القراءة في كتبهم، ولست من رواد وسائل التواصل والمغرمين بها فلا أحسن منها إلا الوتساب علىٰ قلة خبرة، وكل ما ذكرتُ في بحثي هذا فمصدره الكتاب والسنة وطريقة السلف، وليس كما يتصور البعض أني أخذته من هنا أو هناك من أصحاب الطرق المعوجّة، فلا أعرف غير رسالة العلامة السعدي رحمه الله في هذا الباب.

وإن الذي يؤسفني هو قطع بعض الناس ممن ينتسب للعلم وجزمهم أن الله تعالىٰ سيأخذ هذه النعم ولا بد وسيمسكها عن الناس، حتىٰ كأنهم يقولون بلسان حالهم إن زوال هذه النعم ورجوع الناس لحياة السابقين الأولين شرط من أشراط الساعة! وإذا نظر الباحث لما استدلوا به فسيرىٰ ما ذكروه كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءا حتىٰ إذا جاءه لم يجده شيئا.

وإن حامل راية المذهب الذي سنقرره هنا هو الإمام العالم المجدد الأصولي المفسر عبدالرحمن بن ناصر السعدي، علامة زمانه رحمه الله، صاحب التصانيف الكثيرة النافعة، وهو الغني عن أن يقوم بالتعريف به أمثالي.

وقد تسرع بعض الناس بنسبة هذه المسألة للعقلانيين مع علمه بأن ناصرها وحامل رايتها هو هذا الإمام العلم.

أفيُظن بمجدد الدين ومفتي الأمة في عصره أن تزل قدمه في وحل العقلانية المنتنة فيقرر ويؤصل ويفصل ويرد، وهو علىٰ سبيل من لا يخفىٰ عليه ضلالهم وانحرافهم!؟ فاللائق بهذا العالم السلفي القدوة أنه جدد للناس أمر العقيدة خصوصا في هذا الباب الذي التبست فيه الأمور علىٰ الكثير من الناس، ولم يوجد من يتجرد لسرد أحداث آخر الزمان حسب دلالات النصوص الشرعية كما ينبغي، فهو فارس هذا الميدان وحامل رايته، والفضل فيه بعد الله سبحانه وتعالىٰ له، ومن قال بقوله ممن نقل عنهم.

وقد كان في نفسي من زمن قديم أن ما فيه الناس من النعم العصرية ربما لن يزول، وأن زواله ليس شرطا لأحداث آخر الزمان الكبرىٰ لكني لم أجد من شيوخنا من يؤيد هذه المسألة.

حتىٰ ظهرت في زماننا فرقة تسمي نفسها أنصار المهدي، وعندهم رجل يلقبونه حسن التهامي يغلب علىٰ ظنهم أن كثيرا من صفات المهدي متحققة فيه، وهي في ظني أخطر الفرق التي تبنت هذا الفكر وروجت له وساقت من الشبهات ما ساقت، فقمت ولله الحمد بالرد عليهم حسبما يسره الله، وقمت ببيان شبهاتهم وانحرافهم عن منهج السلف، ثم رأيتها فرصة أن أكتب في مسألة النعم العصرية، وأن ذهابها ليس شرطا لأحداث آخر الزمان كما يجزم به كثير ممن ينتسب للعلم، خصوصا بعدما سمعت محاضرة عامة لبعض الشيوخ الفضلاء يقرر فيها أنه لن يخرج المهدي إلا بعد زوال هذه الحاضرة.

فاستخرت الله تعالىٰ واستشرت بعض الشيوخ وبدأتُ نشر بعض المنشورات التي تشير لذلك، فانتشرت بين أهل السنة وصاروا ما بين مؤيد ومعارض، إلا أن بعض من تصدر للمعارضة يعتبر من شيوخ العلم والدعوة، حتىٰ اتصل بي الشيخ المبارك محمد باجمال حفظه الله ونصحني بنصايح طيبة، مع أن رأيه يخالفني تماما، وكان يطلب مني غلق هذا الباب، إلا أن أعظم ما استفدته منه أنه هو الذي أخبرني عن رسالة العلامة السعدي وأنها تتعلق بشيء من هذا الباب الذي أكتب فيه، وأنا لم أسمع بها قط من قبل، وموضوع هذه الرسالة يأجوج ومأجوج، فحصلتُ عليها وقرأتها كلها، ووالله الذي لا إله غيره إني في أول ليلة ما استطعت أن أنام، وبقيت في حيرة عظيمة لا يعلمها إلا الله، هل كلام السعدي حق أم باطل؟

فالكلام الذي قرره في يأجوج ومأجوج لم يخطر لي علىٰ بال قط! ففي منشوراتي السابقة قررت في أوائلها أن يأجوج ومأجوج لا زالوا خلف الردم، كما كنا نسمع هذا من شيوخنا! إلا أني كنت من زمن قديم أتساءل لماذا يأجوج ومأجوج ما يصلحون للدعوة حيث حجزهم الله خلف الردم ولن يخرجوا منه إلا في زمن عيسىٰ ولم تبلغهم دعوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام!؟

فاستعنتُ بالله تعالىٰ وكررت النظر في رسالة العلامة السعدي وتقريراته العلمية وهو علامة عصره ليس كأي إنسان من الناس حتىٰ لا يعول عليه ولا يبالا بكلامه، فشرح الله تعالىٰ صدري للحق الذي قرره بأدلته الشرعية وعرفت بما لا شك فيه أنه علىٰ الحق المبين، فكتبتُ كتابتي التي نصرت فيها قوله، ونشرتها فثارت علي ثورة عارمة من بعض الإخوة الفضلاء من الدعاة والشيوخ أصلحنا الله إياهم، وتابعهم من تابعهم.

وها أنا ذا بفضل الله تعالىٰ ومنته علي أخرج هذه الرسالة التي هي الفرقان بين الحق والباطل في هذه المسألة وفي غيرها بإذن الله، نصرة للحق وهداية للحائرين، وقرة لعيون المحبين، وذبا عن عرض العلامة السعدي رحمه الله.

فالعلامة السعدي تعرض للحسد من قِبَل أهل الأهواء بسبب تقريراته العلمية لهذه المسألة وغيرها، كما نقل ذلك تلميذه العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله.

وقد جعلت هذه الرسالة عهدة بيني وبين الله تعالىٰ ألقاه بها يوم القيامة وأرجو ذخرها عند الله عز وجل لأنه وفقني سبحانه وتعالىٰ فيها لخير عظيم، سواء بالحق الذي فيها أو بطريقة تقريره والدفاع عنه من الشبهات الواهية التي حالت بينه وبين كثير من الناس لعقود من الزمن، فبيننا وبين رسالة العلامة السعدي هذه قرابة ثمانين سنة.

وقد كان بعض شيوخي الفضلاء ربما اتهمني بالتقليد للعلامة السعدي بخصوص هذه المسألة، لكن من قرأ كتابي هذا (الفرقان) فسيتبين له بما لا شك فيه أن بيني وبين التقليد بعد المشرقين، فإنني بفضل الله سبحانه وتعالىٰ قد بحثتُ هذه المسألة وتحريت فيها غاية التحري حسب جهدي، وذكرت بفضل الله تعالىٰ استدلالات كثيرة لم يذكرها السعدي ولا غيره، ولعل البعض يتعجب إن قلتُ بأني ذكرت أكثر من عشرين دليلا من القران علىٰ صحة مذهب العلامة السعدي رحمه الله في يأجوج ومأجوج! بينما هو ذكر من القران دليلين فقط.

وحين كتبت تلك المسودات سابقا ونشرتها فيما يتعلق بهذه المسألة لم أقم بتنقيحها كما ينبغي، وقام بعض من يتعصب للقول بزوال ما نحن فيه من النعم العصرية ممن قل فقهه بهذه المسألة بالثورة العارمة عليّ، وقاموا ببث الشبهات التي تفتقر للتأصيل

العلمي، فكان في ذلك خير بالنسبة لي حيث أعدت ترتيب تلك المسودات، وأعدت النظر في أسلوب طرحي لتلك المسائل العلمية، وسددتُ الثغرات التي دخل علينا منها هؤلاء وغيرهم، وأضفت بعض القواعد العلمية النافعة مما يتعلق بهذه المسائل، وناقشت ما وقفتُ عليه من شبهاتهم، ورددت علىٰ بعض الكتابات المتعلقة بهذه المسائل مما جانب أهلها فيها الصواب، حتىٰ يخرج هذا البحث بصورة حسنة في سداد ومقاربة ينفع الله به المسلمين بإذن الله عز وجل.

وحين كتبتُ تلك الكتابات السابقة ونشرتها، حاولتُ فيها أن يكون الطرح علميا، أتوقع أن يحصل عند المخالفة وعدم الموافقة بعض الردود العلمية النافعة، فينتفع الراد والمردود عليه، وفعلا حصل من هذا ما شاء الله وانتفعت بنقاش بعض الإخوة حفظهم الله، لكني تفاجأت بتلك الحملة الشعواء، التي لا تحمل نَفَسَ أهل السنة وطريقتهم في النقاش، فكادت أن تقع بسببها فتنة عظيمة بيننا، لولا أني توقفت عن النشر في هذا الباب، نظرا للمصلحة، وحرصا علىٰ درء الفتنة، وإكراما لشيوخنا الأجلاء، وعلىٰ رأسهم شيخنا العلامة أبو عبدالرحمن يحيىٰ بن علي الحجوري وشيخنا المبارك أبو عبدالله زايد الوصابي حفظهما الله، فكتبت بعض الأسطر المجملة بطلب من شيخنا المبارك أبي بلال الحضرمي وأرسلتها لشيخنا يحيىٰ فعدّل فيها ثم نشرتها، أثنيت فيها علىٰ هؤلاء الإخوة الذين ثاروا علي وبينتُ فيها أنه حصل بسبب كتاباتي خلاف بيني وبين بعض الأحبة، وأن شيخنا يحيىٰ نصحني بترك هذا الباب، وأن نصح شيخنا يحيىٰ أحب إلي من اجتهادي ورأيي، وبالنسبة لرأيه في كتابتي

فهو يرىٰ تخطئتي وهو عالم مجتهد ولم أحب أن أفتح معه باب النقاش لإجلالي له، وقد كنتُ أخبرتُ شيخنا يحيىٰ (**أن هذا الذي قررته في منشوراتي سيبقىٰ في نفسي**).

فلستُ متراجعا عنه لأني أعتقد أنه الحق، ولا يجوز السكوت عن الحق مطلقا، لكن للإنسان أن يؤخر الكلام في بعض المسائل التي لا تتعلق بالعبادة درءا للمفسدة، حتىٰ يأتي وقتها، وكذلك أخبرت الشيخ أبا بلال أن هذا سيبقىٰ في نفسي، فنصحني أن أتركه حتىٰ في نفسي، وقد سبقه شيخنا يحيىٰ لذلك، لكن نحن نعتقد أنهم بشر غير معصومين، وهم علىٰ رءوسنا لكن كلامهم ليس حجة شرعية، والله تعالىٰ لن يسألني عن مخالفة أي أحد إلا الرسول صلىٰ الله عليه وسلم، وهذا كتابي حجة بيني وبينهم عند الله تعالىٰ، فمن أراد مني التوبة فعليه البيان، أما مجرد (اترك) فهذه لم نعهد عليها أحدا من العلماء المتقدمين أو المتأخرين، وقد مكثت عند شيخنا يحيىٰ في دماج سنتين، ولم نسمع منه قط أن نترك المسألة لمجرد فتوىٰ الشيخ، بل سمعته أكثر من مرة يقول: لا يقلدني إلا ساقط، ونقل لنا هذا عن الإمام الوادعي، فلو قلدته في هذه المسألة فأنا ساقط حسب فتواه، وهكذا بقيت في الحامي عند شيخنا أبي بلال سنتين، ولم أسمع منه قط مثل هذا، ومكثنا عند شيخنا زايد الوصابي خمس سنوات ونسأل الله أن يزيدنا من علمه في بقية العمر، فلم نسمع منه ذلك.

فهؤلاء الثلاثة شيوخي الذين تربيت عندهم، وقد رأيتهم يردون أقوالا لأئمة كبار كالشافعي وأحمد والبخاري وغيرهم من أئمة الإسلام إذا خالف أحدهم الدليل، فكيف أستسيغ أن أسمع وأطيع لأحد شيوخي هؤلاء أو غيرهم لمجرد قوله: اترك؟

وكان بعض من حضر جلوسي مع شيخنا يحيىٰ اعترض أني أخرج من مجلس الشيخ يحيىٰ ويبقىٰ هذا المعتقد في نفسي دون تراجع وتوبة في زعمه، فأغلظت الرد عليه نوعا ما، وطلبت منه أن يفتح باب النقاش معي ثم التفتُّ لشيخنا يحيىٰ وقلت له: يا شيخ ائذن له أن يناقشني، فمنع الشيخُ النقاشَ وانفض المجلس.

فالتزمت أني أغلق هذا الباب، ولم آذن لأحد أن ينشر عني شيئا مما كتبتُ سابقا وهو من تمام غلق هذا الباب، فحصل خير عظيم واندفعت الفتنة، ولله الحمد.

وعن نفسي فإنه لا يمنعني من نشر هذا البحث مانع بإذن الله عز وجل إن كتب الله طول العمر في طاعته، وأما إن قصر الأجل عن هذا الأمل فوصيتي أن ينشر عني هذا البحث بإذن الله عز وجل.

وبالنسبة لبقية الذين اعترضوا عليّ بالردود وغيرها فهم في نظري بعدما بحثتُ المسألة وسمعت اعتراضاتهم عليّ أعجز عن الردود العلمية المتجردة للدليل في هذه المسألة، لأنها شيء جديد بالنسبة لهم، فلقد صدمهم موقفي وكتاباتي صدمة قوية جدا، كما صدمني قبلهم كلام الإمام السعدي رحمه الله، فنشروا كتابات ومقالات لا خطم لها ولا أزمة، لكن الحال كما قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الرَّعْد : ١٧].

ولولا أن المسألة مسألة حق وباطل ما كتبتُ في هذا الباب شيئا بعد الذي حصل، لأني قد عفوتُ عن كل من أساء منهم في حقي، ولئن عفوتُ عن حقي فإن الخطأ والعناد والتعصب للأقوال الشاذة والباطلة لا يُعفىٰ عنه إلا ببيانه والرد علىٰ المخالفين فيه،

فلا يلزم من العفو عمن أساء السكوتُ عما قرره من الباطل، فالقضية دينية نتقرب بها لله تعالىٰ، وأراها من أعظم توفيق الله ومنته عليّ.

وهؤلاء الذين ثاروا عليّ إخوة من الصالحين فيما نحسبهم، إلا أنهم سلكوا مسلك التقليد ، وعدم النظر للمسألة بتجرد علمي للدليل والبرهان، وغرهم كلام التويجري في هذا الباب، لإحسانهم الظن به، ولأنهم قد ترسخت هذه العقيدة في أذهانهم، فظنوا أن الخروج عليها طريق ضلال وعقلانية كطرق الجهمية والمعتزلة وغيرهم.

ولا نعلم من كبار العلماء المعاصرين من شنّع علىٰ السعدي كما صنَع التويجري، فلا نعلم كلاما للأئمة الأربعة ابن باز والألباني والعثيمين والوادعي في التشنيع علىٰ السعدي أو علىٰ قوله في هذه المسألة، بل دافع العثيمين عنه وعن قوله دفاعا قويا، وحكم علىٰ المعترضين علىٰ السعدي بأنهم أهل أهواء يتشبثون بخيط العنكبوت لتشويه سمعة السعدي، كما في لقاءات الباب المفتوح، فمن يكون التويجري بالنسبة لهؤلاء الأئمة حتىٰ تكون فتواه حاكمة في هذه المسألة؟!

فنسأل الله تعالىٰ أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه.

وقد رأيت أن أجمع ما نشرته من تلك الكتابات المتفرقة، وأعيد ترتيبها بأسلوب علمي، مشتمل علىٰ الرد علىٰ المخالفين، وبيان شبهاتهم التي نشروها وروجوها في صورة التمسك بهدي السلف، وفي صورة البعد عن عقلانية الجهمية والمعتزلة، وهي في الحقيقة شبهات لا تعدو كونها جمودا من جنس الجمود الذي ذمه السلف عند الظاهرية الأوائل، والله أعلم.

وكان غرضي من كتابة تلك الرسائل أولا هو الرد فقط علىٰ من زعم فناء الوسائل العصرية من النعم العظيمة التي أنعم الله بها علىٰ عباده وجزم بذلك، لأن هذا قول لا تسعفه الأدلة الشرعية، وكنتُ أريدهم أن يكلوا أمرها لله.

فلما بحثتُ المسألة، وسلكتُ فيها طريق التجرد للدليل، وعدم التقليد، تبين لي أن الأقرب في هذه النعم أنها لا تزول، وأن أحداث آخر الزمان المذكورة في السنة ستأتي وهذه النعم موجودة، وأن هذا هو القول الذي لا ينبغي العدول عنه، لأنه القول الأقرب لموافقة النصوص الشرعية، وموافقة مقاصد الشريعة العظيمة.

فأما من توقف ووكل أمر هذه النعم لله لأنه مالكها المتصرف فيها، فإن شاء أذهبها وإن شاء أبقاها، فإنا لا ننكر عليه، لأن أصل هذه المسألة من علم الغيب الذي لا يتعلق بالعبادات العملية.

ولأن هذه النعم أمر حادث بعد زمن النبوة بقرون، فلم تكن معروفة عند المتقدمين.

ولكن إنكارنا حاصل علىٰ من قطع بزوال هذه النعم، كالذين ثاروا علي وسلكوا معي مسلك الجمود والتقليد، ومسلك من جعل الكلام في صفات الدجال وغيره كالكلام في صفات الله عز وجل، فيُنَزِّل قواعد الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ علىٰ صفات الدجال ويأجوج ومأجوج وغيرهم من الخلق، وسلكوا مسلك الاستدلال علىٰ غيب آخر الزمان بكل متردية ونطيحة، مما تساهل في ذكره بعض أهل العلم المتقدمين في بعض مصنفاتهم، فصارت عند هؤلاء الإخوة كأنها من نصوص الكتاب، وصحيح السنة النبوية، أو مما أجمع عليه السلف، كما صنع الحمادي في رده عليّ وسيأتي إن شاء الله!

وقد أخبرني بعض الشيوخ أن مسائلي هذه ربما تؤدي إلىٰ تبديعي من بعضهم.

فنقول لهم: إن من بحث المسألة وتحرىٰ فيها فسيصل إلىٰ ما وصلتُ إليه، والمسائل التي طرقتها عموما قد سبقني إليها بعض الأئمة الكبار ممن تقدم أو تأخر، ولم نعلم أحدا بدّعهم، أو شنّع عليهم، أو دوّن أقوالهم ضمن عقائد أهل البدع، ومن أراد أن يبدّعني لمجرّد قناعته بفكرة زوال النعم العصرية دون النظر للأدلة الشرعية فهذا شأنه، وهذا الفرس وهذا الميدان، ولا أنصح أحدا بالتهور...

وعلىٰ كل فمن حذر مني ومن كتابي هذا من الشيوخ وحاول التصدي له فسيتسبب بنشر البحث عند الناس أكثر وأكثر، لأنه يحذر مما لا يستطيع مناقشته والرد عليه، ليس لانشغاله ولكن لعجزه، وإن قوبل بحثي بالقبول والتسليم فالحق كالشمس ليس به خفاء فلا ترده الفطر السليمة والأفهام المستقيمة.

لكن بقاء الود بيننا وبين بعض إخواننا من الذين ثاروا علينا أو غيرهم نعتبره مغنم من المغانم الحسنة، أما الثورة والعرامة فكل يتحمل تبعات ما أحدث ولن يضر إلا نفسه.

ولقد اعتقدنا انحراف أقوام من المتقدمين والمتأخرين، وحذرنا منهم ومن مخالفتهم، ولم نتهيب من أحد منهم، ولم نعتقد انحرافهم تقليدا لأحد من الناس، بل بينا ذلك بما يقربنا لله تعالىٰ، وعندنا أن إخراج رجل من السنة إلىٰ البدعة والحكم عليه بها أعظم بأضعاف مضاعفة من مسألة تقرير قضية السد هل زال أو لم يُزَل؟ ومسألة النعم العصرية هل ستزول أو لا؟ فنسأل الله أن يلهمنا رشدنا ويردنا إلىٰ سواء السبيل.

❊❊❊

## الفصل الثاني
## بعض القواعد والمقاصد الشرعية التي ترد على من زعم زوال هذه النعم العصرية وزعم أن أحداث آخر الزمان لن تقع إلا بعد ذهابها

يتبين من خلال هذه المقاصد جمودهم علىٰ ظواهر بعض النصوص مع قوة القرائن والصوارف التي يمكن من خلالها تفسيرها بما يتوافق مع مقاصد الشريعة العظام.

### المقصد الأول

ما ذكره البخاري في الجامع عن علي رضي الله عنه أنه قال: **"حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ"**

فهذا من أعظم مقاصد الشريعة أن الناس يُحدَّثون بما يعرفون حتىٰ لا يقع منهم التكذيب لله ولرسوله عليه الصلاة والسلام، وهذا متجل واضح في نصوص الكتاب والسنة، فإنها موجهة للناس علىٰ قدر علمهم وإدراكهم.

ومن أوضح ما يفسر هذا ويشهد له حديث ثوبان عند الترمذي قال النبي عليه الصلاة والسلام: **"وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي فَلَنْ يُرْفَعَ عَنْهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ"** فالمراد بالسيف هنا ليس مجرد حقيقته الموافقة للفظه، ولكن المراد عموم السلاح والقتل بأي نوع من أنواعه القديمة أو الحديثة، لأن السيف بحقيقته قد رُفع من زمن قديم ولما تقوم الساعة بعدُ!

وهذا أسلوب من أساليب اللغة العربية أن يطلق اللفظ والمراد به ما هو أعم منه مما يشترك معه في العلة، وليس كما يقوله بعض إخواننا مما يشابه مذهب الظاهرية القدامىٰ، وهو الجمود علىٰ ظاهر اللفظ، ومن ذلك ما جاء في وصف الجنة والنار فإنه ليس فيهما مما في الدنيا إلا الأسماء، ومع هذا خاطبهم الله بها مخاطبة العارفين لها من

باب ضرب الأمثال، ولم يمنع أحدا من المسلمين أن يتصور حقيقة ذلك النعيم وحقيقة ذلك العذاب، حتىٰ قال حنظلة رضي الله عنه لرسول الله عليه الصلاة والسلام: (تحدثنا الجنة والنار كأنّا رأي عين...).

وكذلك ما أخبر الله به عن نفسه من صفات الجلال والعظمة فإن الناس لا يعرفون من حقيقتها شيئا، لأن الله تعالىٰ لم يطْلِع عباده علىٰ حقيقة كيفيتها مع كثرة ما وصف به نفسه منها في كتابه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، لكنه نبه عباده أنه لا يجوز لهم القول علىٰ الله بغير علم، وأنه يجب عليهم الوقوف في أسمائه وصفاته حيث أوقفهم الله تعالىٰ، ولهذا نهىٰ عن ضرب الأمثال له سبحانه وتعالىٰ، وأخبر عن نفسه أنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشُورَى : ١١] وأخبر أنه ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه : ١١٠] وأنه ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأَنْعَام : ١٠٣] أما من دون الله سبحانه وتعالىٰ فهم خلقه وعبيده وصفاتهم هي صفات المخلوقين، يتفاوتون فيما أعطاهم الله تعالىٰ من صفات القوة والضعف والجمال وغير ذلك، ورؤيتهم في الدنيا ليست ممتنعة كرؤية الله تعالىٰ، فإن حجاب الله عز وجل النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه، فلهذا كان ممتنعا علىٰ أحد من الخلق أن يرىٰ الله في الدنيا، أو يطلع علىٰ حقيقة صفاته سبحانه وتعالىٰ، بينما بالإمكان الاطلاع علىٰ حقيقة وكيفية صفات المخلوقين لمن شاء الله تعالىٰ من خلقه، أو تشبيهها وتقريبها للفهم.

ولهذا قعّد أهل العلم القواعد، وأصّلو الأصول، ودونوها في كتب العقيدة، وردوا علىٰ المخالفين في أسماء الله تعالىٰ وصفاته، وخلاصة ما دونوه أننا لا نسمي الله إلا بما

سمىٰ به نفسه أو سماه به رسوله عليه الصلاة والسلام، ولا نصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله عليه الصلاة والسلام، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل.

ولم يذكر سلفنا الكرام مثل هذه القواعد والأصول في حق أحد غير الله تعالىٰ، لا مما جاء في وصف الجنة والنار، ولا مما جاء في وصف الملائكة ولا غيرهم من خلق الله تعالىٰ، مع الاتفاق أنه لا يجوز أن يتكلم الإنسان بغير علم في شيء من ذلك.

والملائكة كانوا يتشبهون بالبشر وينزلون علىٰ صورهم، وكذلك من البشر من شُبه بالملائكة كيوسف عليه الصلاة والسلام، وجرير البجلي.

ومرادنا من هذا كله أن ما جاء من نصوص الشرع في ذكر بعض أمور الغيب قد لا يراد منها حقيقة الوصف المطابق للفظ، ولكن المراد هو تقريب المعنىٰ للفهم بضرب المثال، خصوصا إذا كان هذا الغيب من جنس الأمور التي لم يطّلع الناس علىٰ نظير لها عندهم، وهذا شيء معلوم وظاهر في نصوص الكتاب والسنة.

ولم يرد في القران والسنة ولا ثبت عن السلف أنه لا يجوز تأويل شيء من النصوص الشرعية التي تتعلق بالغيب مطلقا، سواء من أحداث آخر الزمان أو ما بعد الموت والبعث، وأنه لا يجوز حملها علىٰ غير ظواهرها، وأنه ليس لها معان سوىٰ ما كان مطابقا للفظها المصرح به في القران والسنة مما يعرفه العرب حسب مداركهم، وأنه لا يجوز صرفها عن ظاهرها بالقرائن الجلية لا بتأويل ولا بتشبيه ولا بتمثيل، إلا ما جاء في حق الله تعالىٰ.

وإن كان الأصل عندنا أن نصوص الشرع تُحمل علىٰ ظاهرها ولا يجوز صرفها عن الظاهر إلا بقرائن واضحة، فهذا أمر لا شك فيه ولا نختلف عليه، لكننا نختلف مع من يمنع الخروج عن ظواهر بعض النصوص مع وجود القرائن الواضحة الصارفة، أو يمنع تفسير بعض ظواهر النصوص علىٰ ما تقتضيه ظواهرها، بحجة أن هذه النصوص من أمور الغيب، وبالغ في ذلك حتىٰ جعل الكلام فيها كالكلام في أسماء الله تعالىٰ وصفاته.

ومثال ذلك ما أخبر به النبي صلىٰ الله عليه وسلم من أن أول نسائه لحوقا به أطولهن يدا، فجعل نساؤه يتذارعن أيهن أطول يدا؟

وفهمن من النص ظاهرَه، أنها اليد الحقيقية، فكانت سودة أطولهن يدا.

فلما ماتت زينب قبلهن علمن أن المقصود بطول اليد ليس هو المعنىٰ المتبادر من ظاهر اللفظ، ولكنه كناية عن كثرة الصدقة، وهكذا ما جاء في غزوة قريضة حين قال لهم عليه الصلاة والسلام: **"لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ "**. فَأَدْرَكَ بَعْضَهُمُ الْعَصْرُ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا نُصَلِّي حَتَّىٰ نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ نُصَلِّي ؛ لَمْ يُرَدْ مِنَّا ذَلِكَ. فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ" فبعضهم أجرىٰ اللفظ علىٰ ظاهره، وبعضهم صرفه لقرينة، وما جاء في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥﴾ [الأنفال : ٢٥] قال بعض الصحابة لما حصلت الفتنة بينهم: لم نكن نحسب أنا أهلها حتىٰ وقعت منا حيث وقعت، وما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ

ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٧] فقد ظن عدي ابن حاتم أنه العقال الأبيض والعقال الأسود وحمل اللفظ علىٰ ظاهره، حتىٰ بين له النبي عليه الصلاة والسلام أن المراد ظلمة الليل وضوء النهار.

وهذا معروف في نصوص الشرع وهي كثيرة.

فالكلام في الملائكة ليس كالكلام في حق الله تعالىٰ، والكلام في الجنة والنار ليس كالكلام في حق الله تعالىٰ، وهذه أمور غيبية.

وهكذا أيضا من الأمور الغيبية ما يكون من حال المسلمين آخر الزمان فالكلام فيهم ليس كالكلام في أسماء الله تعالىٰ وصفاته، والكلام في المهدي وعيسىٰ عليه الصلاة والسلام ليس كالكلام في أسماء الله وصفاته، والكلام في المسيح الدجال ويأجوج ومأجوج ليس كالكلام في أسماء الله وصفاته.

فهؤلاء بشر يجري عليهم ما يجري علىٰ البشر، ولا يوجد مانع شرعي من ضرب الأمثال في حالهم وصفاتهم آخر الزمان بما يوافق فهم الناس في العصر الأول، ولا مانع أن يخاطبوا بما يعرفون حفاظا علىٰ إيمانهم وتصديقهم، كما تقدم في حديث علي السابق، ويشهد لهذا قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا ٦٠﴾ [الإِسْرَاء: ٦٠]

قال الإمام السعدي رحمه الله في تفسيرها: والمعنىٰ إذا كان هذان الأمران قد صارا فتنة للناس حتىٰ استلج الكفار بكفرهم وازداد شرهم، وبعض من كان إيمانه ضعيفا رجع عنه بسبب أن ما أخبرهم به من الأمور التي كانت ليلة الإسراء ومن الإسراء من

المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ كان خارقا للعادة، والإخبار بوجود شجرة تنبت في أصل الجحيم أيضا من الخوارق فهذا الذي أوجب لهم التكذيب. فكيف لو شاهدوا الآيات العظيمة والخوارق الجسيمة؟ أليس ذلك أولىٰ أن يزداد بسببه شرهم؟! فلذلك رحمهم الله وصرفها عنهم، ومن هنا تعلم أن عدم التصريح في الكتاب والسنة بذكر الأمور العظيمة التي حدثت في الأزمنة المتأخرة أولىٰ وأحسن، لأن الأمور التي لم يشاهد الناس لها نظيرا ربما لا تقبلها عقولهم لو أُخبِروا بها قبل وقوعها، فيكون ذلك ريبا في قلوب بعض المؤمنين ومانعا يمنع من لم يدخل الإسلام ومنفرا عنه، بل ذكر الله ألفاظا عامة تتناول جميع ما يكون.اهـ

فمما تقدم يتبين أنه لا يصح أن نُجري قواعد سلفنا الصالح في أسماء الله الحسنىٰ وصفاته العلىٰ علىٰ أحد من الخلق، كما غلط في هذه المسألة من شبّهني بالجهمية والمعتزلة حين صَدَمَتْهُ رسائلي السابقة، حيث أجرىٰ قواعد السلف الصالح المتعلقة بصفات الله وذاته علىٰ كل الأمور الغيبية، حتىٰ أجراها علىٰ أفجر وأكفر خلق الله كالدجال ويأجوج ومأجوج! تعالىٰ الله عما يقولون علوا كبيرا.

وإن كان بعض الناس قد توسع توسعا مفرطا في تفسير بعض النصوص الشرعية وتنزيلها علىٰ بعض النظريات المعاصرة كما هي طريقة العقلانيين وغيرهم فهذا التوسع غير مرضي، لكن لا ينبغي مقابلته بالغلو المفرط في البقاء علىٰ ظواهر بعض

الأدلة والجمود عليها ومصادمتها بالنصوص الشرعية، حتىٰ يصير الكلام في صفات الناس آخر الزمان كالكلام في صفات الله عز وجل، لأن هذا من الغلط.

فلا نرضىٰ بالتوسع المطلق ولا بالجمود المطلق، لكن نسلك سبيلا وسطا، وهو السبيل الذي سار عليه سلفنا الصالح في عقيدتهم وعباداتهم من الأخذ بعموم الأدلة والجمع بينها بقدر الإمكان وعدم ضرب بعضها ببعض، وعندنا قواعد أصولية نمشي عليها في تفسير نصوص الشرع والجمع بينها، مبسوطة في كتب العلم، وقد جمعها شيخ الإسلام في رسالة مستقلة، وهذا هو الذي سلكناه في هذه الرسالة، والله المستعان.

❊❊❊

## المقصد الثاني

من مقاصد الشريعة العظيمة أن درء المفاسد مقدم علىٰ جلب المصالح.

وليس ثمة مصلحة راجحة أو مساوية من الإخبار عما سيكون فيه الناس من سبل الحياة في العصور المتأخرة، بل ربما تكون المفسدة في هذا الباب راجحة حيث يُحدَّث الناس بما لا يعرفون فتفتح عليهم إشكالات وتساؤلات ليس في السؤال عنها وبيانها في زمانهم مصلحة، وربما أدىٰ ذلك لتكذيب البعض لأدلة الشرع كما تقدم في حديث علي رضي الله عنه، وسيتخذ المشركون هذه الأخبار وسائل للصد عن الإسلام، كما استغلوا حادثة الإسراء للصد عن رسول الله عليه الصلاة والسلام لأنها لم تبلغها عقولهم.

ومن ذلك الإخبار عن الساعة الكبرىٰ، فقد كان السلف يظنون أنها ستقوم عليهم أو علىٰ أبنائهم، فمرت أربعة عشر قرنا إلىٰ عصرنا ولم تقم الساعة، فكانت المصلحة في إخفاء هذا الغيب عنهم.

ومن هذا المقصد يتبين لنا أنه في حال بقيت هذه النعم العصرية ووقعت أحداث آخر الزمان عند علامات الساعة الكبرىٰ في ظل هذه النعم، فإنه ليس بلازم أن يبين الشرع الحنيف هذه الأحداث للناس زمن التشريع، وليس هناك أي ضرورة من ذلك، بل الضرورة والمصلحة في عدم إخبارهم كما ذكر السعدي رحمه الله، وعليه فإن اجتهادات بعض الشراح لتفسير النصوص الشرعية وأفهامهم المجردة لا تكون حجة في تفسير النصوص المتعلقة بالغيب علىٰ من بعدهم.

والناظر في نصوص الشرع يراها قد بينت هذا لكن بأسلوب جعل كثيرا من المتقدمين يحمل هذه الدلالات علىٰ خوارق العادات، وها نحن في هذا العصر نشاهد ونلاحظ هذه الحوادث العظيمة التي أنشأها الله لعباده عيانا، فمالها لم تذكر في الشرع علىٰ وجه التصريح حتىٰ نستلزم التصريح بها آخر هذه الأمة؟

فلو أنا تحدثنا عن أشياء ليس لها نظير في عصرنا ولم نشاهد لها مثيلا أنها ستكون كذا وكذا فلعله هنا يحق لهم الاعتراض علينا، لكن أن نتحدث عن واقع ملموس وحوادث مشاهدة فإن إنكارها في مثل هذه الحال يعتبر من العناد والخطأ.

❊❊❊

## المقصد الثالث

من مقاصد الشريعة العظيمة تقريب الساعة للناس، وأن القيامة آتية لا ريب فيها، وأنها قريبة جدا، حتىٰ أخبر الله عنها وعن قربها كأنها في الغد ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحشر: ١٨] ولا يجوز تأخيرها للناس بربطها ببعض الأحداث الحاصلة مستقبلا إلا بتوقيف من الشرع، وهو ما يسمىٰ بأشراط الساعة، قال الله تعالىٰ: ﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ٦٣﴾ [الأحزاب: ٦٣] وقال الله تعالىٰ: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١﴾ [القمر: ١] وقال الله تعالىٰ: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١﴾ [الأنبياء: ١] وذكر النبي صلىٰ الله عليه وسلم الدجال حتىٰ ظنه الصحابة في طائفة النخل.

فالأصل أن الساعة قريبة لا تأتي إلا بغتة كما قال تعالىٰ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٦٦﴾ [الزخرف: ٦٦] وقال: ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ ١٨﴾ [محمد: ١٨]

فمن أخّر للناس قيام الساعة لشرط يأتي به من تلقاء نفسه دون توقيف من الشرع فقد قال علىٰ الله بغير علم، ومن ربط قيام الساعة بزوال نعم الله العصرية علىٰ عباده فقد جاء بشرط جديد من أشراط الساعة ما أنزل الله به من سلطان، ظلمات بعضها فوق بعض! وهذا من البدع والحدث في الدين الذي حرمه الله عز وجل، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

فأشراط الساعة توقيفية وهي نوعان: أشراط كبرىٰ وأشراط صغرىٰ كما هو مبسوط في مصنفات أهل العلم، ولا يجوز الزيادة فيها إلا بدليل شرعي.

كما لا يجوز القضاء علىٰ نعم عظيمة من نعم الله عز وجل التي أحدثها لعباده، والحكم بفنائها وزوالها عن الناس مستقبلا لمجرد إخبار الشرع عن أحداث آخر الزمان بألفاظ تعيها عقول أهل ذلك الزمان، ورد فيها ذكر الآلات التي كانت تستعمل قديما في الحروب ونحوها، وهذه النعم الحديثة أعظم منزلة من نظيرها من النعم القديمة من حيث النفع في أبواب كثيرة، فكيف نجعل زوال هذه النعم شرطا من أشراط الساعة؟ وهذا ما سنشير إليه في المقصد الآتي من مقاصد الشريعة.

❊❊❊

## المقصد الرابع

من مقاصد الشريعة أن ما بالناس من نعمة فهي من الله عز وجل، وأن الناس إن يعدوا نعم الله فإنهم لن يحصوها.

وفي القران والسنة نصوص لا تحصىٰ كثرة يمن الله تعالىٰ فيها علىٰ عباده بذكر أصناف النعم والمنن من مأكل ومشرب وملبس ومسكن ومركب، ﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨﴾ [النَّحل : ٨] ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١١٤﴾ [النَّحل : ١١٤] فله الحمد والمنة والفضل، وله الشكر وله الثناء الحسن سبحانه وتعالىٰ.

وهذه النعم المذكورة تزداد من الله بشكرها، وتحل العقوبة بكفرها، ولكنها لا تزول من جميع العباد كليا إلا بزوال الدنيا، فلم يرد بزوالها نص لا من الكتاب ولا من السنة ولا من أقوال السلف، وليس هذا من سنن الله الكونية التي يجريها علىٰ عباده، بل الوارد في السنة أن الله يُنقِّل النعم بين عباده حسب القيام بها ولا يذهبها منهم مطلقا، كونا وشرعا.

روىٰ الطبراني من حديث ابن عمر وحسنه الألباني أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: **"إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَىٰ أَقْوَامًا يَخْتَصُّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ وَيُقِرُّهَا فِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ فَحَوَّلَهَا إِلَىٰ غَيْرِهِم"**

والشاهد أن الله يحول النعم بين عباده ولا ينزعها عنهم مطلقا.

وهذه الصناعات الحديثة بشتىٰ أنواعها لا تعدو كونها نعما من نعم الله تعالىٰ، التي امتن بها علىٰ عباده، وهي امتداد للنعم التي ذكرها الله تعالىٰ في كتابه الكريم من مأكل ومشرب وملبس ومسكن ومركب وغير ذلك، فكلها من هذه الأجناس، فتستدعي شكرا لله تعالىٰ أعظم من شكره علىٰ النعم السابقة لأن هذه النعم قرّبت البعيد

وسهلت الصعب وجعلت آحاد الناس في عصرنا يعيشون حياةً أحسن من حياة الملوك في العصور المتقدمة، وهذا كله من فضل الله تعالىٰ ومنته ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [النَّحل : ١١٤] ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأَعْرَاف : ٣٢] فهذه الوسائل العصرية المباحة تعتبر من الطيبات التي أخرجها الله تعالىٰ لعباده، والذين يزعمون أن الله تعالىٰ سيأخذ هذه النعم الحديثة ويسلبها من أهل العصر حتىٰ يردهم لحياة من سبقهم من العصور؛ فإنهم بحاجة للأدلة الصحيحة الصريحة التي تبين ذلك، ولن يستطيعوا لذلك سبيلا، إلا مجرد بعض ظواهر النصوص التي يتشبثون بها، وليس فيها دلالة علىٰ ما يزعمون لا من قريب ولا من بعيد.

علىٰ أنه يلزمهم من هذا القول أن يزعموا أن أهل الأرض جميعا سيكفرون بهذه النعم، مسلمهم وكافرهم، حيث ستنزل عقوبة الله بحرمانهم جميعا من هذه النعم، لأن النعم لا تزول إلا بكفرها، وهذا يحتاج منهم إلىٰ دليل، ولا دليل عليه! ويلزمهم أيضا أن يزعموا أن الله سيأخذ هذه النعم فقط دون أن يعاقب أهلها بإهلاكهم كما هي سنة الله التي خلت في الأولين حين كفروا ولن تجد لسنة الله تبديلا، لأن أحداث آخر الزمان ستأتي والغلبة لأهل الكفر والجور والظلم، فمتىٰ يهلكون مهلكا واحدا بزوال ما هم فيه من هذه النعم العظيمة؟ ثم يعلوا الدين وأهله، ثم يعود الكفار للعلو في الأرض حتىٰ يخرج عيسىٰ والغلبة لهم؟

ونحن الان نعيش زمن الحكم الجبري الذي أخبر عنه النبي عليه الصلاة والسلام وليس بعده إلا الخلافة علىٰ منهاج النبوة.

والسر في ذلك والله أعلم أنه حين أظهر الله تعالىٰ هذه النعم العصرية علىٰ أيدي من ينتسبون للكفر، واستعملوها في حرب المسلمين، وتأخرت هذه النعم عن المسلمين، وتخلف المسلمون عن العلوم العصرية تخلفا عظيما لحكمة يعلمها الله تعالىٰ، ظن كثير من المسلمين أن هذه النعم عبارة عن وسائل عصرية تعتبر من خصائص الكافرين، فهي حضارتهم الخاصة بهم، وأنها من أعظم الأسباب في تُسلِّط الكافرين علىٰ المسلمين حيث تفوقوا فيها تفوقا عظيما لا نظير له عند أهل الإسلام، وعليه فإنه لابد عندهم أن يذهبها الله حتىٰ ينتصر المسلمون عليهم، لأنه في نظرهم لن ينتصر المسلمون ما دامت هذه الوسائل والنعم بأيدي الكافرين، فلابد أن يزول في نظرهم ما بأيدي الكافرين ثم يعود الناس للوسائل القديمة حتىٰ ينتصر المسلمون زمن المهدي وعيسىٰ عليه الصلاة والسلام.

وزاد هذا الوهم عندهم حين نظروا لبعض النصوص التي تتحدث عن أحداث آخر الزمان بالنظر القاصر، فحين لم يروا التصريح بذكر شيء من النعم والصناعات الحديثة، ورأوا بالمقابل شيئا من ذكر الوسائل القديمة، ظنوا أن ذلك دليلا قاطعا علىٰ زوال النعم العصرية الحديثة، وهذا من قلة الفقه في هذا الباب، ومن المناقضة الصريحة لمقاصد الشريعة العظيمة.

ويعتبر هذا أيضا من سوء الظن بالله تعالىٰ، ومن القنوط من رحمة الله عز وجل، إضافة لكونه لا يدل عليه دليل صريح لا من القران ولا من السنة الصحيحة، فإن

وراثة الأرض ستكون للمتقين فما من نعيم دنيوي مباح إلا والعاقبة فيه للمتقين كما أخبر الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء : ١٠٥] ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف : ١٢٨] فهذا كائن لا محالة، فما بال هذه النعم العصرية العظيمة تزول ولا يرثها المتقون الصالحون! من يأتينا بأثارة من علم؟

بل في هذا المعتقد مفاسد عظيمة من أبرزها ركون المسلمين إلىٰ ما هم عليه من الضعف وعدم الإعداد الحسي من هذه الوسائل الحديثة، لأنها في نظرهم ستئول للزوال ولن يبقىٰ عندهم إلا الوسائل القديمة، وهذا مما يسعىٰ له أعداء الإسلام لإبقاء المسلمين في حال الضعف والتخلف في جانب الإعداد العسكري وغيره، والله أعلم، وسيأتي شيء من تفصيل ذلك في الفصل التاسع إن شاء الله.

والذي عرفناه من طريقة أهل العلم المتقدمين والمتأخرين هو الجمع بين الأحاديث والتوفيق بينها، وليس الأخذ بطرف منها ورد الطرف الآخر بغير مبرر شرعي، وهكذا الاهتمام بمقاصد الشريعة وقواعد الدين العظام، وقد ذكرتُ في هذا البحث ولله الحمد بضعة عشر حديثا فيها ما يشير لبقاء النعم والصناعات الحديثة آخر الزمان، وهكذا ما يتعلق بالدجال وعيسىٰ ويأجوج ومأجوج، ولا يمكن تجاهل مثل تلك الأحاديث العظيمة ودلالاتها الواضحة لمجرد رأي أحد من الناس.

فلو لم يكن إلا وجود تلك المقاصد الشرعية التي ذكرناها لما جاز لأجلها القول بزوال ما امتن الله به علىٰ عباده من هذه النعم العصرية الحديثة، فكيف وقد ورد في السنة ما يشير إلىٰ وجودها آخر الزمان؟ والله المستعان.

وما ذُكر من زوال بعض النعم في بعض الأزمنة المتقدمة فهو من قبيل النعم الخارقة للعادة، كمائدة بني إسرائيل، وناقة صالح، وما أشبه ذلك، وليست من النعم الجارية علىٰ العادة، وعلىٰ فرض زوالها فزوالها إنما هو زوال وصف من أوصافها مع بقاء الأصل، كما في حديث أبي هريرة المتفق عليه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **" لَوْلَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْنَزِ اللَّحْمُ، وَلَوْلَا حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَىٰ زَوْجَهَا "** أو زوالها عن قوم دون قوم، أما النعم التي هي من متاع الحياة الدنيا عموما فقد وقت الله لزوالها وقتا معينا وهو قيام الساعة عند النفخ في الصور كما قال تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٢٤﴾ [الأعراف : ٢٤] وقال أيضا: ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ٨﴾ [الكهف : ٨] فإذا جاء ذلك الحين زالت جميع النعم، أما قبل ذلك فقد جرت سنة الله الكونية بهلاك المكذبين وزوال دولهم وما هم فيه من متاع الدنيا، لكن مع بقاء أصل نعم الله تعالىٰ في هذه الدنيا، يرثها الصالحون، والزوال إنما هو للمكذبين، فقد هلك قوم عاد الذين قالوا من أشد منا قوة، وبقيت القوة يعطيها الله من شاء من خلقه، وهلك ثمود الذين جابوا الصخر بالواد وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا، وبقيت الصخور والجبال وبقيت الآلات ينحت فيها من شاء الله من عباده وينتفع بها الخلق في بناء مساكنهم وغير ذلك، وهكذا دمر الله تعالىٰ ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون، لكن لم يدمر الله الأسباب التي كانوا يعرشون بها، والصناعات التي ينتفع الناس بها، بل نقلها لمن شاء من عباده، فيزول ساكن الأرض وتبقىٰ الأرض، ويزول صاحب النعم وتبقىٰ النعم.

ولم يقع قط في تاريخ البشرية حسب علمي أن النعم زالت وبقي الناس كما هم، الكافر في كفره وجبروته والمسلم في ذله وضعفه، فهذا المعتقد الذي يسير عليه هؤلاء لم يقع قط في سنن الله الكونية، فليت شعري علىٰ أي أساس بنوه وما هي أسوتهم فيه!؟

ولا زالت نعم الله علىٰ عباده تترىٰ علىٰ مد العصور والدهور، فيجزي الشاكرين ويعاقب الكافرين، ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾ [آل عِمۡرَان : ٢٦]

فالذي يقطع بزوال هذه النعم، ويجزم بزوال هذه الصناعات العصرية الحديثة قد خرج عن هذا الأصل العظيم، وما جرت عليه سنن الله الكونية مذ أسكن اللهُ تعالىٰ آدمَ علىٰ وجه الأرض، وهذا الخروج لابد له من أدلة صريحة واضحة ولا تكفي فيه مجرد آراء بُنيت علىٰ معتقد حادث ما أنزل الله به من سلطان.

❊❊❊

## المقصد الخامس

من مقاصد الشريعة وقواعد الدين: أن حقيقة الغيب لا يعلمها إلا الله، كان الغيب فيما مضىٰ من الزمن أو فيما يستقبل منه، وأن المشاهِد للأخبار ممن وقعت في زمنه المتأخر أو المتقدم أعلم بها وبتفاصيلها من الذي لم يبلغه إلا شيء من العموم عنها.

وأصل هذا المقصد ما جاء عند أحمد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **"لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ "** وأيضا حديث أبي بكرة في البخاري **"رُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَىٰ مِنْ سَامِعٍ"** ولا نطّرد هذا في جميع مسائل الشرع، ولكننا نتكلم عن مسائل غيبية خاصة.

فالأولون الذين لم يشاهدوا الوقائع التي حصلت بعدهم ليسوا كمن عاينها وشاهدها وإن كان عندهم شيء من العلم عنها، وهكذا الآخرون الذين نُقلت إليهم أخبار من سبق ليسوا بأعلم منها ممن سبق وحضرها وعاينها، فليس الخبر كالمعاينة، فالأولون معهم أخبار من الغيب أُخبروا بها في الشرع، ولهم أن يجتهدوا في تفسيرها حسب قواعد التفسير في الإسلام، وحسب ما عرفوه واطلعوا عليه من واقعهم، لكنهم ليسوا أعلم بحقيقتها ممن عاينها، أو ممن جاء بعدهم واطلع علىٰ أمور ووقائع لم تكن معروفة مسبقا، وهذه الوقائع ممكن أن تضاف للمدارك والمعارف التي تُفسّر من خلالها أخبار الغيب، مع فضل الأولين في معرفة أصول الدين وقواعده علىٰ من بعدهم.

فإذا أمكن حمل أفعال الناس وأحوالهم علىٰ العادة والأسباب التي جعلها الله لعباده فهو أولىٰ في الشرع من حملها علىٰ خرق العادة، لأن خرق العادة في الشرع يخالف

سنة الله الكونية، ولا يمكن إثباته إلا بتوقيف من الشرع، ولا يكفي فيه مجرد الاجتهاد والفهم من بعض المتأخرين، وخرق العادة علىٰ وجه التحدي لا يكون إلا علىٰ يدي نبي مؤيد بالوحي حتىٰ يصدقه الناس.

فالأولون حين رأوا أخبارا يستحيل وقوعها عندهم إلا عن طريق خرق العادة فإنهم حملوا تلك الأخبار علىٰ خرق العادة، واستسلموا لظواهر النصوص حسب علمهم.

فلما يأتي الآخرون وتتهيأ في زمنهم أسباب لم تتهيأ لمن كان قبلهم، وأمكن حمل النصوص الشرعية عليها بدلا من حملها علىٰ خرق العادة الذي ظنه الأولون، فهو أولىٰ من حملها علىٰ خرق العادة، وما هو المانع الشرعي من ذلك؟

والخوارق الثابتة في الشرع عموما ثلاثة أنواع لا غير: إما بمعجزات الأنبياء، وإما بكرامات الأولياء، وإما بسحر السحرة والدجالين وتمويههم، وليس ثمة نوع رابع وهو خرق العادة علىٰ يدي الدجالين حقيقة كما هي علىٰ يدي الأنبياء تماما، وجعلوا الدجال الأكبر مثالا لذلك، فهذا القول غير صحيح ولو قال به من قال، فكل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وسيأتي إن شاء الله بيان ذلك في الفصل المتعلق بالدجال.

❊❊❊

## الفصل الثالث
## الرد على شبهات من منعني الكتابة في أحداث آخر الزمان.

وكثير من هذه الشبهات أرسلها لي أحد الشيوخ الفضلاء قاصدا بها الرد عليّ قبل أن أجمع رسالتي هذه (الفرقان) وقد انتفعت بجمعه لها وإرسالها إلي، من باب معرفة ماذا عند مخالفيّ وماذا ينقمون علي؟.

### الشبهة الأولى

زعم البعض أن كتابتي في هذا الباب لا طائل تحتها، وأن الإنسان ينبغي أن يسخّر جهوده في غيره من علوم الشريعة.

والرد علىٰ هذه الشبهة وبيانها بأمور:

الأمر الأول: أن ما كان من عند الله فهو خير، ولا مانع أن تضيع فيه الأعمار ما دام من الوحي، فليس شيء من الدين لا طائل للكتابة فيه وفي مدارسته، ومثل هذه الكلمة خطيرة علىٰ قائلها ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النِّسَاء : ٧٨] فأعظم ثمرة من الكتابة في هذا الباب هي تصحيح مفاهيم تُقَرَّرُ للناس في الواقع علىٰ خلاف الأدلة الشرعية وكفىٰ بها ثمرة وفائدة، من ذلك اعتقاد زوال النعم العصرية ورجوع الناس للوسائل القديمة، وليس مع من يعتقد ذلك ويقطع به أي أثارة من علم، ومن ذلك اعتقاد بقاء يأجوج ومأجوج محصورين خلف سد ذي القرنين حتىٰ ينزل عيسىٰ، وهذا أيضا ليس مع من قال به إلا تقليد بعض المتأخرين لبعض المتقدمين، وهي إلىٰ الخرافة أقرب منها للحقيقة الشرعية، ومن ذلك اعتقاد أن خوارق الدجال حقيقية فليست كذبا ولا دجلا، وغير ذلك مما ناقشناه في هذه الرسالة وبيناه بيانا شافيا كافيا بفضل الله عز وجل.

الأمر الثاني: أن من نظر لمكتبات العالم الإسلامي فسيجدها قد أثريت بالكتابة في شتىٰ الفنون والعلوم، ما بين كتب عقيدة وتفسير وتاريخ وأخبار وطرائف وأحداث آخر الزمان، ووصف الدور الثلاثة الدنيا والبرزخ والآخرة وكثير من الفنون الشرعية العلمية، ولم يعب أهل العلم المتأخرون علىٰ المتقدمين تآليفهم في شيء من ذلك! أفلما حاولنا أن ندلي بدلونا مع الدلاء، وحاولنا تحري الصحيح من الضعيف في أحداث آخر الزمان وربطها بمقاصد الشريعة، صارت الكتابة في هذا الباب لا طائل تحتها؟ وصار البحث في هذا العلم لا ثمرة من ورائه ولا يستحق أن تفنىٰ فيه الأعمار؟ وهو باب مهم من أبواب الدين، والإيمان به من لوازم العقيدة الصحيحة كما في حديث جبريل في مراتب الدين وأشراط الساعة!

والأمر الثالث: أن التحقق من هذه المسألة يحل إشكالات كثيرة واردة في بعض الألفاظ النبوية من أحداث آخر الزمان، أشكلت علىٰ كثير من المتقدمين الذين لا يعرفون ما أنعم الله به علىٰ أهل هذا العصر من هذه النعم، فحاولوا حل هذه الإشكالات حسب فهمهم ومداركهم، حتىٰ جعلوا كثيرا من الأحداث آخر الزمان من قبيل الخوارق التي يجريها الله في ذلك الزمن لاقتراب الساعة، حتىٰ صادموا ببعض التأويلات بعضا من مقاصد الشريعة العظيمة، وبعضا من النصوص الشرعية، وبعضا من سنن الله الكونية، ظنا منهم الوقوف علىٰ ظواهر النصوص، وما عليهم من ملامة لأنهم ما قالوا إلا بما علموا وما كانوا للغيب حافظين، ولو علموا ما سيئول إليه حال الناس فستتغير أقوالهم في بعض تلك النصوص حسب الفهم والإدراك الذي سيكون عندهم، لأن جل تأويلاتهم التي ذكروها في أحداث آخر الزمان قد قالوها باجتهادهم

ولا يوجد فيها نصوص موقوفة علىٰ الشرع حتىٰ يلزم من جاء بعدهم الوقوف عليها وعدم الخروج عنها.

وأيضا فالقارئ لكتابي هذا وما فيه من التحقيقات العلمية يرىٰ أن الساعة أقرب إليه من كل شيء كما كان يعتقده سلفنا الكرام رحمهم الله.

خصوصا أن الناس مع طول الزمان وبعدهم من زمن النبوة، وما ظهر لهم في هذا الزمن من زينة الدنيا، وقوة الناس فيها وتمكنهم منها ربما ظنوا أنه سيأتي علىٰ الناس قرون بعد زماننا كما مرت قرون قبل زماننا، وأن الأمر بعيد، وأنه لن تأتي أشراط الساعة الكبرىٰ حتىٰ تزول هذه الزينة الدنيوية العصرية، كما يقوله بعض إخواننا، لكن هذه التحقيقات بفضل الله تعالىٰ تجعل المسلم يرىٰ أن الساعة قاب قوسين أو أدنىٰ كما كان يراها الصحابة رضوان الله عليهم.

فإن كان من أمارات كونية كبرىٰ للساعة غير ما هو منصوص عليه في الشرع من الأمارات الكبرىٰ فهي هذه المكنة التي انفتحت للناس، والقدرة العظيمة علىٰ الدنيا في هذا العصر، يشهد لهذا قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يُونُس : ٢٤] فأي اقتدارعلىٰ الأرض أعظم من هذا الذي نراه في زماننا! وأي زخرف وأي زينة للأرض أعظم من زينة عصرنا!؟

فلقد رأينا في الأرض الزينة والزخرف الذي لا نظير له، ولم يسبق له مثيل، ورأينا قوة الناس وقدرتهم التي لم تصل البشرية إليها قط، ولم يبق إلا أن يأتيها أمر الله حتىٰ

يجعلها حصيدا كأن لم تغن بالأمس، فناسب أن يكون الأخذ الأكبر لهذه الدنيا عند زينتها الكبرىٰ والله أعلم.

الأمر الرابع: أنه قد عُرف من عهد النبوة أنه ما من باطل يظهر وينتشر إلا وجاء الحق ليدمغه، إما بالوحي من الله في زمن النبوة، وإما علىٰ أيدي أهل العلم بعد زمن النبوة، فما من شبهة ولا بدعة ولا مخالفة إلا وقد بينها أهل العلم وردوا علىٰ صاحبها حتىٰ بان الصبح فيها لكل ذي عينين، وليس هناك بدع ولا مخالفات أعيت أهل العلم عن الرد عليها، ولم يقع قط أن صار ردهم علىٰ أهلها مجرد أن يغلقوا معهم النقاش، ويكون ردهم عليها أنه لا ثمرة من هذا الموضوع، خصوصا من تكلم بالكتاب والسنة وزعم أنه يدعو بهما وإليهما!

وما ذكر عن السلف من إماتة البدع بعدم ذكرها فهذا إنما هو بعد دحضها بالحق ودمغ باطل أهلها به.

هذا وإنه لم يستعمل العصا لصبيغ إلا عمر بن الخطاب، أما من بعده من أهل العلم فإن عصاتهم علمية، وهي الحق الذي يدمغون به الباطل وأهله، أما العاجز عن طريقتهم بما أعياه من الأقوال التي يراها مخالفة، وليس معه عصاتهم العلمية التي يدمغون بها الباطل فإنه يتمنىٰ عصا صبيغ ليسكت بها من خالف رأيه وهواه!

وإن أكثر مؤلفات أهل العلم وتصانيفهم عبارة عن ردود علىٰ المخالفين، فنقول لهؤلاء الزاعمين أنه لا ثمرة من الكتابة في هذا الباب: هاتوا لنا ردودكم حتىٰ ينتفع بها الناس بعدكم كما انتفعتم بردود السلف قبلكم.

﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِيۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنبياء : ٢٤]

فكثير ممن أعرض عن الحق في هذه القضية إنما هو بسبب عدم العلم به كما أخبر الله جل شأنه، فنأسف أن يكون هذا الإعراض متحققا عند بعض من ينتسب للعلم.

الأمر الخامس: أنه لا يلزم أن تظهر ثمرة هذا الباب لكل أحد من الناس، فقد يجتمع عند الباحث من الأسباب والموانع ما يجعله يغفل عن ثمرة هذا الباب العظيم، لكن من علم حجة علىٰ من لم يعلم، وقد كتب في هذا الباب أئمة أعلام كبار من المتقدمين والمتأخرين، بعد ظهور ثمرة الكتابة لهم، وحرصهم علىٰ نشر العلم، وأن لا يكون شيء من الدين في زاوية الهجران.

فمتىٰ صار البحث في أحداث آخر الزمان والكتابة فيها لا طائل تحتها ولا ثمرة مرجوة منه؟

وأما حديث أبي هريرة في البخاري: (**حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وِعَاءَيْنِ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ**).

فقالوا إن أبا هريرة ترك التحديث بالأخبار التي أخبر عنها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وليس لها تعلق بالعبادة، مما يحكي حال الأمراء الذين يأتون بعدُ، كما قال أهل العلم، كل ذلك لأجل المصلحة.

والرد علىٰ هذا من وجوه:

الأول أن أبا هريرة ما منعه من التحديث إلا خوف القتل علىٰ نفسه، ونحن ولله الحمد ما وصلنا لهذه المرحلة، ونسأل الله العافية، ولعل الإمام السعدي حين ترك هذا الباب قد خشي علىٰ نفسه ما خافه أبو هريرة علىٰ نفسه أو قريب من ذلك.

والوجه الثاني أن الذي تركه أبو هريرة لا تعلق له بالعبادة ولا بالمعتقد، وتداركه ممكن لمن أدرك ذلك الزمن وعايش أحداثه، وهو خاص بهم لا يتعلق بمن قبلهم ولا من بعدهم، إلا ما يتعلق بتراجمهم وسيرتهم فهذا يغني فيه بيان أهل العلم، كما قد دونوه في كتب التاريخ.

الوجه الثالث أن مسألتنا هذه وإن لم تتعلق بالعبادة فهي متعلقة بالمعتقد تعلقا لا انفكاك لها عنه، ولها أيضا تعلق عظيم وارشاد لما يفعله المسلمون في ذلك الزمن، فهي وإن كانت أخبارا لكنها تحمل دلالات عظيمة فيما ينبغي أن يعمله المسلمون آخر الزمان، مثاله علامات خروج المهدي واسمه وأوصافه، ومنها ذكر غزواته وترتيبها، ففيه إشارة بمن يبدأ المسلمون بالقتال آخر الزمان، وهكذا حديث ابن مسعود في الملحمة مع الروم فيه ذكر اشتراط ثلاث شرط للموت، وأن اليوم الرابع هو الذي ينهد فيه بقية أهل الإسلام، ففيه ارشاد للمسلمين أن لا يتأخروا عن اليوم الرابع.

وهكذا فيما يتعلق بالدجال فإنهم بعد الملحمة الكبرىٰ حين يأتيهم الصريخ لا يصدقونه ويرجعون بالجيش، بل يرسلون عشرة فوارس، أما بعد فتح القسطنطينية فإنهم يرجعون بالجيش كله، وغير ذلك كثير، كل هذا عملا بحديث رسول الله عليه الصلاة والسلام.

الوجه الرابع أن الذي منع أبا هريرة هو خوف جور السلطان الذي لا يتورع عن الدماء المحرمة المعصومة، أما نحن فإن المخالف هم ممن ينتسب للعلم ويسير بسير أهله! فيجب عليهم أن يسعهم ما وسع أهل العلم.

فشتان بين الذي كتمه أبو هريرة من العلم وبين ما هو مذكور من أحداث آخر الزمان، فإنه من أشراط الساعة التي يجب الإيمان بها، فلم يكتمها لا أبو هريرة ولا غيره.

الأمر السادس: أن الكتابة في هذا الباب فيها ذب عن أعراض أئمة من أئمة الإسلام كالسعدي وغيره رُمُوا بالخطأ والزلل وموافقة العقلانيين ظلما وجورا، ولم نجد من يتجرد للدفاع عنهم والذب عن أعراضهم كما ينبغي، بسبب عدم الفقه في هذه المسألة، فلو لم يكن من فوائد الكتابة في هذا الباب إلا هذه لكانت كافية.

الأمر السابع: أني لو أفنيت عمرا طويلا في هذه المسائل التي جمعتها في هذا الكتاب لكانت أهلا لذلك، ولكن هذه الكتابات التي نشرتها سابقا لم تأخذ من وقتي الكثير، فربما كتبت المقال الواحد في مجلس أو مجلسين ولو زاد ففي ثلاثة مجالس ارتجالا، وأول مقال كتبته كان في آخر ربيع أول.

فيشعر الإنسان أحيانا بشيء من الملل والضيق فيتفرغ لمثل هذه الكتابات، وكنت أكتب المقالة الواحدة وأبقىٰ بعدها فترة أنشغل بما أنشغل به، ثم أعود لهذا الموضوع وأكتب المنشور الذي بعده حتىٰ وصلت للمنشور السابع، وقد كان هذا في خلال شهرين وقليل تقريبا.

ثم تركت النشر في هذا الباب بعدما حصل من النزاع، وجلست مع شيخنا يحيىٰ في أواخر شعبان لعام أربعة وأربعين وأربع مائة وألف ووعدته بغلق الباب تماما، وبعد

رمضان أعدت ترتيب هذه الكتابات والمنشورات في خلال شهرين ونصف تقريبا حتىٰ جهزت هذه الرسالة وفرغت منها أواخر ذي الحجة ، علىٰ أني لم أتفرغ لها تفرغا كليا، فقد خلفت شيخنا زايد علىٰ مركزه ودعوته حين ذهب للحج في هذا العام.

فما هو العمر الذي ضيعناه والوقت الذي فرطنا فيه للإنشغال بهذه الرسالة، وكان ينبغي علينا أن ننشغل بغيرها؟ وأكثر أوقاتنا ربما تضيع علينا مع أهالينا وإخواننا في أمور مباحة والله المستعان!

فلستُ ابن تيمية ولا ابن الجوزي ولا أبا الوفاء الحنبلي حتىٰ أحرص علىٰ كل لحظة من أوقاتي في العلم والتأليف، فما أنا إلا رجل من عامة المسلمين نحب السنة وأهلها ونسأل الله العفو والعافية والستر والسلامة.

❊❊❊

## الشبهة الثانية

أن هذا الباب من الغيبيات، وأن أكثر الكلام فيه عبارة عن ظنون.

والرد علىٰ هذه الشبهة أيضا بأمور.

الأمر الأول: أننا ما تكلمنا في الغيب اعتمادا علىٰ كلام المنجمين والكهان، ولا علىٰ كلام المتخرصين الذين يحسبون حساب الساعة أنها ستقوم لعام كذا وكذا، ولا علىٰ توقعات واحتمالات أتينا بها من تلقاء أنفسنا أو قلدنا فيها غيرنا، ولا علىٰ نظريات وآراء شرقية أو غربية، ولا علىٰ إسرائيليات، بل ولا حتىٰ علىٰ أحاديث وآثار ضعيفة. لكن اعتمادنا في هذا البحث علىٰ الكتاب وصحيح السنة النبوية، وفهم الصحابة إن وجد، وما تقتضيه لغة العرب مع مراعاة قواعد الشريعة لا غير، ومَن وجد في بحثنا غير هذا فليأتنا به، ونحن له شاكرون.

الأمر الثاني: أن المتقدمين قد تكلموا في مسائل الغيب آخر الزمان بما وصلهم من العلم، بل وصنفوا في ذلك التصانيف الكثيرة، منهم من اقتصر علىٰ الصحيح، ومنهم من جمع الصحيح والضعيف بل حتىٰ الموضوع والإسرائيليات، ولا يخلو كتاب من كتب التفسير من ذكر هذه الأنواع، حتىٰ تفسير ابن كثير الذي يعد من أفضل التفاسير، ومع هذا لم يعب عليهم من جاء بعدهم من أهل العلم: أن هذا الباب من الغيبيات، وأن أكثره مبني علىٰ الظنون! وإن كان بعضهم قد استحب أن لو ترك المفسرون ذكر الإسرائيليات واقتصروا علىٰ ما صح عن السلف، لكنهم جملة قد شكروهم علىٰ جهدهم، ويعتقدون أنهم دائرون بين الأجر والأجرين.

ونحن حذونا حذوهم وسرنا بسيرهم إلا أننا تركنا الأحاديث الضعيفة والموضوعة وتركنا الإسرائيليات فلا نعتمد علىٰ شيء منها، وتركنا تقليد اللاحق للسابق، وتجردنا للدليل تجردا مطلقا بفضل الله تعالىٰ.

الأمر الثالث: أننا في بحثنا هذا لا نعتمد علىٰ العقل، أو الرأي المجرد، أو الظنون في تفسير معاني الأدلة الشرعية التي تتحدث عن آخر الزمان، لكننا نسلك طريقة أهل العلم من تفسير النصوص الشرعية بالنصوص الشرعية، أو بفهم السلف، أو باللغة العربية مع مراعاة مقاصد الشريعة العظيمة، وقواعد الدين الثابتة، وسنن الله في عباده، وجمعها مع ظواهر النصوص.

ومن وجد في بحثنا هذا موضعا اعتمدنا فيه علىٰ الرأي المجرد، أو علىٰ العقل، أو علىٰ الظن والحدس أو النظريات العصرية فليأتنا به، ولن يستطيع لذلك سبيلا إن شاء الله تعالىٰ.

❊❊❊

## الشبهة الثالثة

أن هذا الموضوع طريق من طرق العقلانيين.

والرد عليها بأمور أيضا

الأمر الأول: أن من كبار العلماء من أهل السنة والجماعة من قد تطرق لهذه المسألة، وهكذا من أهل العلم المتقدمين من تطرق لبعض هذه المسائل التي ذكرناها، فليست مما اختص بالكلام فيه العقلانيون.

الأمر الثاني: أنه كما سبق في الشبهة الثانية أن اعتمادنا في بحثنا هذا إنما هو علىٰ الكتاب وصحيح السنة النبوية وفهم الصحابة ولغة العرب.

وهذه ليست طريقة العقلانيين، فالعقلانيون يقدّمون العقل علىٰ النقل، وهذا نبرأ إلىٰ الله منه.

والعقلانيون يرون أن طريقة السلف أسلم وطريقتهم أعلم وأحكم، وهذا ليس عندنا ولله الحمد.

والعقلانيون لهم قواعد منطقية في تفسير النصوص الشرعية يسيرون عليها، ونحن في رسالتنا هذه نسير علىٰ القواعد التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في مقدمة أصول التفسير.

والعقلانيون يفسرون النصوص الشرعية بالنظريات الحادثة، ويسمونه الإعجاز العلمي، وهذا ليس في رسالتنا هذه ولا في غيرها ولله الحمد والمنة.

والعقلانيون أنكر كثير منهم خروج المهدي، ونزول عيسىٰ عليه الصلاة والسلام، وخروج الدجال، وغير ذلك من أمور الغيب، لمجرد أهوائهم وردوا النصوص الواردة

في ذلك أو تأولوها بتأولات بعيدة مخالفة لطريقة السلف، وحاشا لله أن نسلك سبيلهم.

ومن وجد في رسالتنا هذه شيئا من طرق العقلانيين فليأت به؟

ومن زعم أن ما ذكرناه في هذه الرسالة من البحوث العلمية النافعة أنه من طرق العقلانيين، فإنه مقلد لا يعرف العقلانية، ولا يميز بينها وبين طريقة العلماء في الاستنباط الصحيح المبني علىٰ القواعد المعروفة من النصوص الشرعية.

الأمر الرابع: أن هذه مسألة عصرية حادثة مطروحة للنقاش، وما من مسألة إلا وفيها راجح ومرجوح، حسب قواعد الفقه الشرعي.

فكيف أصبح البحث والترجيح في مسألتنا هذه عقلانية مذمومة مع أن المختلفين فيها من أهل السنة والجماعة؟

❊❊❊

## الشبهة الرابعة

أنه لم يسبق لهذا التقرير أحد من المتقدمين فيعتبر هذا مخالة صريحة لهم.

والجواب عن هذه الشبهة من أوجه.

الوجه الأول: أن هذه المسائل لم ينعقد عليها إجماع الأولين، حتىٰ يُذم المخالف فيها لخرقه الإجماع! ومن زعم الإجماع فلينقله، ونحن نعلم أن نجوم السماء أقرب له من ذلك.

الوجه الثاني: أن هذه مسائل عصرية متأخرة، لا يعرفها الأولون ولم يطلعوا عليها ولا علىٰ نظيرٍ لها، لا بتجربة ولا بوحي، فكيف يسبقُ الأولون للفتوىٰ في حادثة وقعت بعد موتهم بقرون؟

وكيف نخالفهم في شيء لا يعرفونه أصلا؟

الوجه الثالث: أن الله تعالىٰ جعل شرعه ودينه صالحا لكل زمان ومكان، وهذه المسائل وإن لم يسبق إليها الأولون بصريح العبارة فإن عندنا قواعد شرعية سار عليها سلفنا الصالح، ونحن نسير علىٰ هذه القواعد ولا نحيد عنها، ومن خلالها نستنبط أحكاما للحوادث النازلة.

ولو لم يكن الأمر كذلك لما كان الدين صالحا لكل زمان ومكان، فإن الشرع لم يخبر عن كل الحوادث القادمة فيما يستقبل من الزمن بالتفصيل حتىٰ نقتصر علىٰ اجتهادات الأولين، ولكنه جعل قواعد ثابتة ومقاصد معلومة يسير الناس عليها، ويقيسون عليها كل نازلة في كل عصر من العصور، ولهذا تجد أنه ما من عصر من العصور إلا

وتوسعت فيه اجتهادات العلماء، وتطرقوا لمسائل لم يكن يعرفها الذين من قبلهم، ولا زال الناس كذلك إلىٰ أن يشاء الله.

حتىٰ جاءت هذه العصور المتأخرة تحمل في طياتها نعما عظيمة لله سبحانه وتعالىٰ علىٰ عباده، وتوسعا عظيما في الحياة الدنيوية لم يكن الأولون يتصورون أن يصل الناس بعدهم فيما يستقبل من الزمن لعشر معشاره، ولو سمع الأولون بهذه النعم العصرية لما تصورا إلا أنها من خوارق العادات الإلاهية التي لا يمكن أن يصل الناس إليها ببذل الأسباب الحسية، كطيران الناس في السماء بسرعة فائقة للبلدان البعيدة وهم يحملون معهم مئات الأطنان من متاعهم الدنيوي، وتحدثهم مع بعضهم البعض أينما كانوا علىٰ وجه الأرض وكأنهم متقابلين، فيحدث الرجل صاحبه في بلد بعيد عنه بآلة يحملها في فخذه أو حقوه، أو بسلك كعذبة السوط يعلقه في أُذُنه!

وحياة عامة الناس حياة أرقىٰ من حياة الملوك في الأمم السابقة، وغير ذلك من الغرائب والعجائب التي لم نستوعب بعضها إلىٰ الان وهي في عصرنا! ولولا أنا شاهدناها ولامسناها ما صدقنا بها! فكيف حال الأولين؟

الوجه الرابع: أن من أهل العلم المعاصرين من بحث هذه المسألة وخلص فيها إلىٰ ما خلصنا إليه، ولكنه تعرض للأذية والتضييق والمنع من الكلام في هذا الباب من قبل الملوك بعد تحريض أهل الأهواء، وهو الإمام السعدي علامة زمانه رحمه الله.

ولا أعلم لساعتنا هذه من بحث هذه المسألة بعده بحثا علميا نافعا متجردا للدليل حسب علمي والله أعلم.

لكني رأيت بعض الردود عليه وفيها من التعسف، والبعد عن المنهج العلمي الشيء الكثير، كرد التويجري رحمه الله، وسأنقل بإذن الله تعالىٰ في كتابي هذا ردا عليه وعلىٰ من أخذ بقوله من مقلديه في الإنكار علىٰ العلامة السعدي رحمه الله.

الوجه الخامس: أن المتقدم والمتأخر في هذه المسائل علىٰ حد سواء مالم يكن مع أحد منهم نقل عن السلف، فكلام المتقدم برأيه واجتهاده لا يعتبر حاكما علىٰ كلام المتأخر! فكل يؤخذ من قوله ويرد.

وعلىٰ هذا فنقول من تعنون بالمتقدمين الذين خالفناهم؟ هل خالفنا الصحابة أو خالفنا رجالا جاءوا بعد عصر الصحابة؟

الجواب حاشا وكلا أن نخالف الصحابة، ولكنا خالفنا رجالا ليسوا من الصحابة.

ونقول أيضا: فيما خالفنا هؤلاء الرجال أفيما نقلوه بأسانيدهم عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، أو بشيء قالوه اجتهادا من أنفسهم؟

الجواب حاشا أن نخالف ما نقله الأئمة المتقدمون بأسانيدهم عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، ولكنا خالفناهم في اجتهاداتهم وآرائهم.

ونقول أيضا: هل خالفناهم فيما أجمعوا عليه أو خالفناهم في مسائل اختلفت فيها أقوالهم؟

الجواب حاشا أن نخالف ما أجمع عليه الأئمة المتقدمون خصوصا في القرون المفضلة، ولكنا خالفناهم في مسائل اختلفوا فيها بأنفسهم.

ونقول أيضا: هل المسائل التي خالفناهم فيها متعلقة بزمانهم حيث يكونون أعرف بها ممن يأتي بعدهم، أو خالفناهم في مسائل غيبية يستوي في معرفتها هم وغيرهم من حيث الأدلة الشرعية؟

الجواب خالفناهم في مسائل غيبية لا يعرفونها، ويستوي هم وغيرهم في معرفتها من حيث الأخبار الشرعية، أما من حيث تنزيلها علىٰ الواقع فربما يظهر للمتأخر ما لم يظهر للمتقدم، لمعايشته بعضا من الأخبار المذكورة في الغيب علىٰ حقيقتها في زمنه المتأخر، وقد تبين لمن تأخر من الصحابة ما لم يتبين لمن تقدم منهم في معنىٰ قوله عليه الصلاة والسلام لأزواجه **"أَطْوَلُكُنَّ يَدًا"** بعد أن سألنه أيتهن أول لحوقا به؟

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥﴾ [الأنفال : ٢٥] وقوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾ [آل عِمۡرَان : ٧] فقد تبين لبعض الصحابة المتأخرين من معانيهما ما لم يتبين مثله للمتقدمين.

فإن قالوا إننا جئنا بأقوال لم يقلها السلف، فنقول إن مسألتنا هذه حادثة من أصلها لم يعرفها السلف فأنىٰ يكون لهم فيها قول؟

وبعد هذا نقول ما وجه اعتبار المخالفة عندنا للأولين؟

هاتوا مخالفتنا في بحثنا هذا ولو في مسألة واحدة للأحاديث الصحيحة، أو لفهم الصحابة، أو لإجماع من تقدم؟

لن يجدوا إلا مجرد الدعوىٰ، والدعاوىٰ إذا لم تقم بينات فأهلها أدعياء.

## الشبهة الخامسة

زعموا أن البحث في هذه المسألة يسبب النزاع والفرقة بين أهل السنة.

فنقول إن الخلاف في المسائل العلمية لم يزل قائما منذ زمان السلف إلىٰ زماننا، ولم يؤثر عن أحد أنه يقول: إن الخلاف في الترجيح بين المسائل يسبب النزاع والفرقة بين أهل السنة، إلا ما كان من أهل البدع والأهواء فإن الخلاف معهم هو الذي يسبب الفرقة بسبب بدعهم، وهو مستمر معهم إلىٰ أن يشاء الله.

فإن كانت مسألتنا هذه مسألة علمية فقهية فلنا أسوة بمن سبقنا من السلف والأئمة بعدهم، يسعنا ما وسعهم من الأخذ والرد، بدون ولاء وبراء وفرقة ونزاع، وتشويه وتشهير، وكل يدلي بدلوه، ويقول بما يقربه إلىٰ الله، ويرىٰ أنه ترجح عنده بالأدلة الشرعية.

وإن كانت مسألتنا هذه محدثة من المحدثات، وبدعة من البدع التي تسبب النزاع والخلاف الذي ذمه السلف عند أهل الأهواء فهنا وجب بيانها والرد عليها، وبيان المخطئ والمصيب فيها، كما هي طريقة السلف في الأقوال والآراء المحدثة، ولنا بهم أسوة حسنة.

أما أن تكون المسألة لا من هذا ولا من هذا، فيؤمر بغلقها وعدم البحث فيها فهذا ليس من هدي السلف، وهو نفَس غريب علىٰ أهل السنة.

***

## الشبهة السادسة

زعم بعضهم أني بكتابتي نصرتُ أقوالا شاذة ومهملة.

فنقول كما تقدم إن هذه المسألة عصرية حادثة، فمتىٰ انعقد فيها الإجماع حتىٰ صار قولي فيها ترجيح للشاذ والمهمل؟

ومَن هو الذي بحث هذه المسألة من أهل العلم المعاصرين وذكر فيها الأقوال والخلاف، حتىٰ استقرت عند الناس حالها وصارت الأقوال فيها ما بين صحيح ثابت وما بين شاذ ومهمل؟ الجواب كل ذلك لم يكن، وإن زعموا خلافه فليأتوا لنا بأقوال أئمة العصر الأربعة ابن باز والعثيمين والألباني والوادعي رحمة الله عليهم، وليأتوا لنا بأقوال من عاصرهم من العلماء ممن جاء بعد الإمام السعدي، وأين ردودهم علىٰ السعدي، وحكمهم علىٰ كلامه بالشذوذ؟

لن يجدوا إلا كتابة تفرد بها التويجري عن علماء عصره، وشذ عنهم في التشنيع علىٰ العلامة السعدي رحمه الله، فواقع الحال أن الشذوذ حاصل فيمن خالف السعدي لا فيمن وافقه أو سكت عليه.

فهذه المسألة حقيقة لم تعط حقها من البحث والتحقيق العلمي، وقد بدأ العلامة السعدي رحمه الله بالتحقيق في شيء من ذلك، وهو من أئمة العلم المعاصرين، بل هو علامة زمانه، فمُنِع بقوة السيف والسلطان من قبل الملوك، فمنذ متىٰ صار فعل السلاطين حجة في الشرع، وصار خلافهم من الشذوذ؟

والواقع أن الإمام ابن عثيمين حكم علىٰ الذين ثاروا علىٰ السعدي أنهم من أهل الأهواء الذين يتشبثون بخيط العنكبوت، ويريدون تشويه سمعته لما آتاه الله من فضله، وأن مسائله التي تطرق إليها لم يقلها إلا بدليل من الكتاب والسنة.

كما هو مطبوع في لقاءات الباب المفتوح.

وعلىٰ هذا فالقول بأني نصرت أقوالا شاذة ومهملة إنما هو في الأصل قول أهل الأهواء الذين ثاروا علىٰ العلامة السعدي رحمه الله.

وقد علم في الأصول أن العالم المعتبر ينقض الاجماع علىٰ الصحيح إذا خالف في مسألة من مسائل الفقه، فكيف بهذه المسألة التي لم ينعقد فيها إجماع أصلا، بل الواقع أن منعه جاء بالقوة من السلطان، ثم سار الناس علىٰ هذا المنع وهذا السكوت، حتىٰ ظن بعض إخواننا من الشيوخ أن سكوتهم هذا إجماع لا يجوز الخروج عليه!

❊❊❊

## الشبهة السابعة

يقول بعضهم: إن تنزيل أحاديث الفتن أو أحداث آخر الزمان علىٰ قضايا بعينها خلاف طريقة السلف، وهو صنيعي عندهم.

فأقول مستعينا بالله: الحكم علىٰ الشيء فرع عن تصوره.

فالقائلون بهذه الشبهة بين أمور

الأمر الأول: أن يكون قصدهم بهذا أن الكلام في أحاديث آخر الزمان كالكلام في ذات الله عز وجل، وأن السلف أمرّوها كما جاءت ولم يتعرضوا لتفسيرها أبدا.

فهذا يكذبه الواقع، فها هي كتب التفسير والشروح موجودة منتشرة، قد ذكروا فيها النصوص المتعلقة بأحداث آخر الزمان وفسروها حتىٰ تجاوز البعض وحشر الأحاديث الضعيفة والموضوعة والإسرائيليات مستعينا بها علىٰ شرح النصوص المتعلقة بأحداث آخر الزمان.

وقد ذكرتُ الرد علىٰ هذا عند ذكر مقاصد الشريعة العظيمة.

والأمر الثاني: أن يكون قصدهم أن السلف لهم طريقة خاصة وقواعد معروفة يسيرون عليها في تفسير النصوص الشرعية فلابد من التزام سيرهم وقواعدهم.

ونحن في بحثنا هذا إن شاء الله ملتزمون بهذا، وكذب علينا من زعم غير ذلك، فليأت بمثال واحد من رسالتنا هذه خرجنا فيه عن طريقة السلف وهديهم؟

الأمر الثالث: أن يكون مرادهم إلحاق بحثي بما فعله بعض أهل البدع المعاصرين من تفسير نصوص الشرع بغير ما فسرها السلف، وبغير القواعد التي سار عليها السلف،

حيث جعلوا المخترعات العصرية والنظريات الحديثة مصدرا من مصادر التفسير للنصوص الشرعية، كالتفسير بالقران وبالسنة وبأقوال السلف وبلغة العرب.

وهذا هو الأقرب عندي أنهم يقصدوني به.

وعليه فنقول ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البَقَرَة: ١١١] فهذا بحثي وهذه مسائلي؟

ليس عندي ولله الحمد مسألة واحدة تركت فيها تفسير السلف للنص الشرعي لأجل نظريات أو مخترعات عصرية، وغاية ما هنالك أني بحثتُ مسألة ما أنعم الله سبحانه وتعالىٰ به علىٰ عباده في هذا العصر من المراكب في الجو والبر والبحر، والمساكن، والمآكل، والمشارب، ووسائل التواصل بين الناس، وغير ذلك من النعم التي لم يكن الأولون يتصورن أن يصل لها البشر يوما من الدهر في هذه الدنيا، حتىٰ سمي بسببها عصرنا بعصر السرعة هل سيزيلها الله عز وجل ويذهبها عن عباده؟ أم أنها ستبقىٰ حتىٰ قيام الساعة، وأن الأحاديث التي تصف آخر الزمان وظنها الأولون من خوارق العادات ما هي إلا من قبيل هذه النعم التي أحدثها الله تعالىٰ لعباده، ويدخل في ذلك الدجال وغيره؟

ففرق واسع وبون شاسع بين ما فعله أهل البدع المعاصرون من تأصيل القواعد التي خالفوا فيها منهج السلف وعقيدتهم في تفسير النصوص الشرعية، حيث ألغوا فهم السلف، أو زادوا مصدرا من مصادر التفسير وهو النظريات العصرية تحت مسمىٰ الإعجاز العلمي وغيره، وبين ما ذكرته من هذه المسائل العلمية التي سلكتُ فيها طريقة السلف.

وتتلخص الفروق في الآتي:

الفرق الأول: أن أهل البدع المعاصرين تركوا نصوصا صحيحة ثابتة عن السلف في تفسير بعض الآيات أو الأحاديث واستبدلوها بآراء ونظريات عصرية.

بينما نحن لم نتكلم في شيء ثبت عن السلف فيه نص مرفوع، أو له حكم الرفع، وإنما كلامنا في العمومات التي تكلم في تفسيرها بعض الشراح المتقدمين حسب اجتهادهم وفهمهم وإدراكهم وما تقتضيه لغة العرب عندهم.

الفرق الثاني: أنهم فسروا النصوص بمجرد النظريات مستقلين بها عن طريقة السلف.

بينما نحن فسرناها بطريقة السلف، بالقران وبالسنة وبما ورد عن السلف إن ثبت، وبما تقتضيه لغة العرب حسب مقاصد الشريعة.

الفرق الثالث: أن أقوال أولئك المعاصرين قوبلت بالإنكار من أئمة العصر، وواجهوها بالردود الحاسمة، أما بحثنا في هذه المسألة فقد قال به إمام العلماء في زمانه العلامة السعدي رحمه الله، ودافع عنه وعن قوله العلامة العثيمين رحمه الله تعالىٰ.

ولم يوجد من أئمة الإسلام حسب علمي من تجرد لهذه المسألة وناقشها نقاشا علميا إلا ما كان من التويجري رحمه الله فقد رد برد هزيل جدا، وناقش رسالة السعدي بنقاش بالغ فيه بالنكير عليه وكأنه ما تلقاه إلا عن أولئك الذين وصفهم العثيمين بأنهم أهل أهواء أرادوا تشويه سمعة العلامة السعدي.

ونلتمس له عذرا أنه ساق الرد علىٰ السعدي ضمن رسالة له في الرد علىٰ بعض أهل البدع المعاصرين الذين نحن بصدد الكلام عن مخالفاتهم لهدي السلف.

وهكذا الشنقيطي رحمه الله رد برد مختصر لم يأت فيه بكبير شيء مقابل ما ساقه السعدي من الأدلة والحجج علىٰ ما قرره رحمه الله، علىٰ أنه لم يتهم السعدي بالعقلانية أو البدعة ومخالفة طريق السلف.

ولم نعلم أن أئمة الإسلام المعاصرين سطروا في مؤلفاتهم وفتاويهم الرد علىٰ طريقة السعدي، كما سطروا الرد علىٰ طرق هؤلاء العقلانيين أرباب الإعجاز العلمي وأشباههم.

والذي نرد به علىٰ هذه الشبهة ونأتي به بنيانهم من القواعد فيخر عليهم السقف من فوقهم أن نقول: من هم السلف الذين تعنونهم؟

وما هي القضايا التي تتحدثون عنها؟

وما المقصود بآخر الزمان عندكم؟

فإن كنتم تعنون بالسلف الصحابة فقد أخطاتم، وقلتم عليهم بغير علم، فإنهم كانوا ينزلون أحاديث رسول الله عليه الصلاة والسلام المتعلقة ببعض الحوادث الغيبية علىٰ القضايا الواقعة أتم التنزيل، ولم يكونوا يتورعون هذا التورع البارد.

فها هو عثمان رضي الله عنه ينزل حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام علىٰ واقعه، ويفسر القميص الذي أخبره عنه رسول الله أنه الخلافة التي نازعه عليها الخوارج وقتلوه لأجلها، وهذا علي رضي الله عنه ينزل أحاديث رسول الله آخر الزمان في الخوارج علىٰ قضيته مع الخوارج الذين خرجوا عليه بأنهم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، وقاتلوا عليا وقاتلهم، فصار بعد المعركة يتيقن منهم، حيث بحث عن ذي الثدية حتىٰ وجده، وهذا أبو بكرة يأتي إلىٰ الحسن ويخبره بخبر رسول الله عليه الصلاة

والسلام "إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيْمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ"

فينزل الحديث علىٰ قضية الحسن ومعاوية، أيضا ما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عِمْرَان : ٧]

فقد ظهر من معاني هذه الآية بالتفصيل الدقيق للمتأخرين مالم يظهر نظيره لكثير من الصحابة مع أنها نزلت عليهم، فإنه حين خرج المعتزلة والجهمية والأشاعرة وغيرهم ممن خاض في أسماء الله تعالىٰ وصفاته علم الناس أنهم هم المعنيون بقوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ مع أن السلف لم يكونوا يعرفونهم ولا يدرون من هم، ولا كيف يتبعون المتشابه.

مع قوله عليه الصلاة والسلام كما في البخاري عن عائشة: "فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّىٰ اللهُ، فَاحْذَرُوهُمْ ".

وهكذا لم تزل الأحداث تقع وفق ما أخبر رسول الله عليه الصلاة والسلام، وكلما وقعت قضية وحدثت حادثة فسروها بحديث رسول الله عليه الصلاة والسلام حتىٰ قال حذيفة كما في البخاري: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامًا مَا تَرَكَ فِيهِ شَيْئًا يَكُونُ قَبْلَ السَّاعَةِ إِلَّا قَدْ ذَكَرَهُ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، إِنِّي لَأَرَىٰ الشَّيْءَ فَأَذْكُرُهُ، كَمَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ غَابَ عَنْهُ ثُمَّ رَآهُ فَعَرَفَهُ.

هذا هو طريق السلف أنهم يفسرون أحاديث رسول الله عليه الصلاة والسلام بالقضايا الحادثة.

وأما القضايا التي ذكرها أرباب هذه الشبهة فلا أدري ما ضابطها عندهم أهي ما يسميه أهل العلم بدلائل النبوة؟

فإن دلائل النبوة عبارة عن أحداث تقع آخر الزمان بعد موته عليه الصلاة والسلام، وكلما حصلت قضية من تلك الأخبار النبوية أنزلها أهل العلم علىٰ ما حصل في الواقع وفسروها به وقالوا هذا من دلائل النبوة، حتىٰ جمع بعضهم مصنفات في هذا الباب.

أم أن أرباب هذه الشبهة يعنون بالقضايا ما يتعلق بأشراط الساعة؟

فإنه ما تقع قضية إلا وقال أهل العلم الذين وقعت في زمنهم: هذه من أشراط الساعة التي أخبر عنها رسول الله عليه الصلاة والسلام وينزلون الحديث النبوي الذي يتحدث عن آخر الزمان عليها، ولا زال أئمة الإسلام علىٰ هذا خلال أربعة عشر قرنا، حتىٰ أن بعضهم يكاد أن يقول إن أشراط الساعة الصغرىٰ قد مرت كلها ولم يبق إلا الكبرىٰ.

فليت شعري ما هي القضايا بعينها التي كان السلف يتحاشون تنزيل أحاديث الفتن أو آخر الزمان عليها عند أرباب هذه الشبهة؟

وبالنسبة لآخر الزمان فكذلك لا ندري ما هو ضابطه عند أرباب هذه الشبهات!

هل يقصدون به آخر الزمان بالمصطلح الشرعي الذي أوله بعثة رسول الله عليه الصلاة والسلام؟

أم أن عندهم مصطلح خاص يقصدون به آخر الآخر مما يصاحب علامات الساعة الكبرىٰ؟

هذا راجع إليهم، وعلىٰ كل لم نجد السلف يفرقون بين أول آخر الزمان، ووسط آخر الزمان، وآخر آخر الزمان!

فآخر الزمان عند السلف شيء واحد وهو كل ما يقع بعد موت رسول الله عليه الصلاة والسلام، لأن بعثته عليه الصلاة والسلام وموته من أشراط الساعة، وهو القائل عليه الصلاة والسلام: "**بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**" يعني الوسطىٰ والسبابة.

و"**هَاتَيْنِ**" بالنسبة للصحابة أمر غيبي لا يدرون كم مدتها؟

وكانوا يتوقعون أن يدركوا الساعة أو يدركها أبناؤهم.

فمتىٰ اصطلح السلف هذا الاصطلاح الذي ذكره أرباب هذه الشبهة؟

فقد ظهر للمتأخرين في عصرنا وما قبله أن ظن السلف ومن عاصرهم كان ظنا خاطئا حين ظنوا قيام الساعة الكبرىٰ عليهم أو علىٰ أبنائهم، مع أن هذا الظن كان شبه إجماع عند السلف، وهم بهذا الظن مأجورون لأنهم مشوا فيه علىٰ مقاصد الشريعة التي تحذر الناس من الساعة وأنها قريبة جدا، ولا يصح استبعادها كما يستبعدها أرباب هذه الشبهات، الذين يشترطون لها شرطا ما أنزل الله به من سلطان وهو زوال ما نحن فيه من النعم العصرية.

وفعلا قد قامت قيامة كل إنسان بموته، فإنه بمجرد أن يموت لا يشعر بطول الزمن الذي يمر عليه وهو مدفون تحت التراب حتىٰ يُبعث يوم القيامة فلا يدري كم لبث يوما أو بعض يوم!

وإذا كان بعض السلف قد أخطئوا في تصورهم لمدة الزمن الذي تقوم إليه القيامة الكبرىٰ، لأنه أمر غيبي بالنسبة لهم ولغيرهم، ولأنه لم يبلغهم خبره عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، فما هو اللازم لأن يكون من بعدهم من بعض الشراح مصيبين في

تصورهم لحال أهل ذلك الزمن الذي نتحدث عنه فيما لم يبلغهم خبره عن رسول الله عليه الصلاة والسلام؟

فهل يستطيع أحد بعد هذا أن يلزمنا بالأخذ بفهم بعض العلماء المتقدمين ممن جاء بعد الصحابة، من الذين قالوا في بعض النصوص الغيبية باجتهادهم مما لم ينقلوه عن رسول الله عليه الصلاة والسلام؟ وهل بان لأصحاب هذه الشبهة طريقةُ السلف في التعامل مع النصوص المتعلقة بالحوادث الغيبية، وأن عملي في هذا البحث لم يخرج عن منهج السلف لابقليل ولا بكثير؟

❊❊❊

## الشبهة الثامنة

يقول بعضهم: إن التزامي بهذا البحث أدىٰ بي لتضعيف أحاديث أو ألفاظٍ فيها، لأجل نصرة القول الذي أريد.

فنرد علىٰ هذا أن نقول سبحانك هذا بهتان عظيم!

حاشا لله أن نعمد لأحاديث رسول الله الثابتة عنه صلىٰ الله عليه وسلم ثم نردها لأجل فكر نمشي عليه.

والقضية عبارة عن ثلاثة أحاديث ولفظة شاذة في حديث، هذه الأحاديث ليست في الصحيحين ولا أحدهما، عمدنا لدراستها دراسة حديثية علىٰ طريقة المحدثين لم نخرج عنها قيد أنملة، حسبما نعرفه من قواعد المصطلح التي اتفق عليها المحدثون قديما وحديثا، في إعلال الحديث بسنده أو متنه أو بهما جميعا، أما الأحاديث فأحدها حديث أبي هريرة عند أحمد، وقد أعله الحافظ ابن كثير في التفسير، وتبعه العلامة الوادعي فكتبه ضمن أحاديث معلة ظاهرها الصحة، وأما الحديثان الآخران فأحدهما عند الترمذي وابن ماجه عن النواس بن سمعان، والآخر في مسند أحمد عن أبي سعيد الخدري، وأما اللفظة فهي في حديث حذيفة بن أسيد عند النسائي وغيره.

وقد أوردتُ دراستي لهذه الأحاديث في رسالتي هذه، وسنأتي عليها في موضعها إن شاء الله تعالىٰ.

فإن كان التزامي بهذا القول الذي خلصتُ إليه في رسالتي هذه هو السبب في تضعيفي لهذه الأحاديث، فبيننا وبينهم منهج المحدثين يحكم به علماء الحديث من المعاصرين.

لكننا رأيناهم يحتجون علينا بحجة واهية ليست من الحجج العلمية التي يسلكها أهل السنة في نقاشاتهم، وهي قولهم من سبقك لتضعيف هذه الأحاديث؟

والجواب عليهم أن نقول: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٤﴾ [الجُمُعَة : ٤]

فهذا القول معناه إنك لستَ أهلا لأن يقبل منك تضعيف هذه الأحاديث ولو بحثتَ ما بحثتَ.

وهذا المعنىٰ هو اللائق صدوره من العاجز عن النقاش العلمي والله المستعان.

فنقول لهم هذا الفرس وهذا الميدان، فدافعوا عن هذه الأحاديث حسب قواعد المحدثين، وستأتي معنا إن شاء الله في الباب الرابع من الفصل السابع.

***

## الفصل الرابع
## في التحقيق في مسألة النعم العصرية الحديثة وبقائها، وذكر الأدلة على ذلك.

فإن من المسائل العصرية التي لم يتطرق لها السلف بل لم تدُر في خلدهم، ولم يكونوا يتصورونها، لهو موضوع النعم العصرية الحديثة التي وصلت إليها البشرية في هذا العصر بفضل الله عز وجل، وقد تقدم ذكرها في الفصل الأول في المقدمة.

ومما ننبه عليه قبل البدء في هذه المسألة هو الوهم الذي عند كثير من الناس أنهم يظنون أنه ورد عن السلف أن الله سيأخذ هذه النعم العصرية علىٰ عباده، ويعيدهم للزمن الأول والوسائل القديمة في الحياة، ولست أدري من هو الذي جاء بهذه الفكرة العصرية المحدثة التي ما أنزل الله بها من سلطان، بل إنها بنيت علىٰ مذهب الظاهرية القدامىٰ، حتىٰ صارت رائجة علىٰ كثير من الفضلاء من شيوخ العلم الذين لا يحبون مذهب الظاهرية!

والسلف لا يعرفون هذه النعم أصلا فكيف يرد عنهم أن الله سيأخذها؟

ويبقىٰ العمد علىٰ ما ورد من الأدلة الشرعية والاستنباطات الصحيحة من هذه الأدلة، لأنه لا يوجد من حقق هذه المسألة من أهل العلم المعاصرين، ولما حاول الإمام السعدي فتح الكتابة في هذا الباب فإنه قوبل بالشدة والمنع من ولاة الأمور حتىٰ أغلق هذا الباب تماما بسبب وشاية من بعض أهل الأهواء والله أعلم، واستمر الناس علىٰ إغلاقه والسكوت عنه إلىٰ وقتنا هذا لأكثر من نصف قرن.

وقد ذهب بعض الشيوخ المعاصرين إلىٰ أن الله تعالىٰ سيأخذ هذه النعم ويعيد الناس للزمن الأول جزما، ولهم أدلة يستدلون بها استدلالا ظاهرا بعيدا عن التحقيق العلمي، وسنأتي علىٰ أدلتهم إن شاء الله تعالىٰ.

ولست أدري من هو سلفهم من العلماء في جعل هذه الفكرة من أصول الدين التي ينبني عليها الولاء والبراء! هل هو التويجري؟ الله أعلم.

وإنه لا مانع أن يتصور المسلم الأحاديث النبوية ويحاول فهمها وتنزيلها علىٰ واقع الحال كما تقدم معنا في الفصول السابقة، وقد سأل الصحابة رضوان الله عليهم النبي عليه الصلاة والسلام عن الدجال حين قال لهم عليه الصلاة والسلام: "**إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللهِ، فَاثْبُتُوا** ". **قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ ؟ قَالَ : " أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ** ". **قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ، فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ ؟ قَالَ : " لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ** ". **قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ ؟ قَالَ : " كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ**" رواه مسلم عن النواس بن سمعان.

فإن الصحابة حين أخبرهم النبي عليه الصلاة والسلام بقوله "**فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا**" فهموا من ذلك أنه سيطأ الأرض كلها كما في بعض الأحاديث، فلما نظروا إلىٰ مسافة الأرض تصوروا الحديث علىٰ واقع حالهم الذي يعرفونه في زمانهم من الركوب علىٰ الإبل ونحوها، فظنوا أنه سيعمر طويلا حتىٰ يطأ كل الأرض، فسألوا عن لبثه في الأرض؟

فلما أخبرهم النبي عليه الصلاة والسلام عن المدة الزمنية القصيرة بالنسبة لقطع الأرض عرفوا أن سرعته ليست عادية كالتي يعرفون، فسألوه عنها فأخبرهم.

وسنذكر إن شاء الله تعالىٰ في هذا الفصل بابين من أبواب العلم في الرد علىٰ هذه الفكرة التي أقام عليها بعض إخواننا الفضلاء مالا ينبغي أن يقيموه إلا علىٰ بدعة من البدع المحدثة من التشنيع والولاء والبراء وغير ذلك والله المستعان.

❊❊❊

## الباب الأول في ذكر الأدلة السمعية من الأحاديث النبوية التي فيها إشارة لوجود نعم الله تعالى على أهل هذا العصر عند وقوع العلامات الكبرى للساعة.

### الحديث الأول

ما مر معنا آنفا عن الدجال، فإن الصحابة لم يسألوا النبي عليه الصلاة والسلام عن الوسيلة التي تسرع به هذه السرعة هو وجنوده وما معه!

والنبي عليه الصلاة والسلام لم يبدأ الصحابة بالإخبار عن سرعة الدجال ليبين للناس أنها من فتنته وخوارقه ووسائله الخاصة به، ولكنه أجابهم حين سألوه.

وهذه النعم العصرية بفضل الله تسرع بالناس سرعة عظيمة جدا، فليس هناك ضرورة شرعية للقول بأن الله سيذهبها، ثم يأتي الدجال بشيء خارق للعادة يمكّنه الله منه ليسرع به وبجنده هذه السرعة وهم ألوف مؤلفة!

فالقول ببقاء نعم الله علىٰ عباده حتىٰ آخر الزمان، أهون من دعوىٰ ذهابها ودعوىٰ خرق العادة للدجال، حيث لم يثبت أن سرعته مختصة به، وأنها من فتنته وخوارقه، بل أخبر النبي عليه الصلاة والسلام عن سرعته جوابا عن سؤال الصحابة إخبارا مجردا.

وهناك ما يدل علىٰ أن سرعة الدجال هي من قبيل هذه النعم التي أوجدها الله لعباده في زماننا، وأن الدجال يسلك طرقا كالطرق العصرية التي يمشي فيها الناس في زماننا، منها وهو

## الحديث الثاني

ما رواه البخاري عن أبي بكرة عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : **"لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ رُعْبُ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، عَلَىٰ كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ"**

والأبواب هي الطرق والمداخل المرصفة المعدة للعبور، ولا يتصور أنه سيكون علىٰ المدينة سور مغلق ليس فيه إلا سبعة أبواب لأنها في دار إسلام خصوصا مع اتساعها وكبر مساحتها **"وَلَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ"** والإيمان **"يَأْرِزُ إِلَىٰ الْمَدِيْنَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ لِجُحْرِهَا"**

والمدينة حاليا لها ثمان جهات معدة للدخول إليها عبر الطرق المهيأة للسيارات، ولا شك أن أحد هذه المداخل سيتعطل بسبب جيش الخسف، حين يخسف بهم فيه وهم قاصدون الذهاب لمكة لغزو الكعبة، حين يبايع للمهدي، فيبقىٰ للمدينة سبعة أبواب كما في هذا الحديث والله أعلم، فإذا كان الدجال عنده أمور خارقة للعادة في تنقله مع السبعين الألف من يهود أصفهان وغيرهم فإن الملائكة لن تجلس علىٰ السبعة الأبواب فقط، إلا إذا كان الدجال يعبر حيث يعبر الناس، ويتخذ الوسائل التي يتخذها الناس.

❊❊❊

## الحديث الثالث

حديث أُمُّ شَرِيكٍ ، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : **"لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَّالِ فِي الْجِبَالِ "** . **قَالَتْ أُمُّ شَرِيكٍ : يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : " هُمْ قَلِيلٌ"**

والشاهد أن الجبال قد أصبحت ملاجئا وملاذات آمنة من الدجال، ولو كان تحركه خارقا للعادة فلن تعصم منه الجبال ولا غيرها.

والناس في عصرنا الان مع ما مكنهم الله منه من هذه النعم والوسائل السريعة إلا أن الجبال تعتبر من أحصن الأماكن لمن أراد الهروب والتخفي إذا ما أصبح مطاردا في المدن الحديثة، لأنه يشق علىٰ الوسائل الحديثة الدخول للجبال.

وأمر آخر مهم وهو إذا كان الدجال ذا سرعة خارقة مختصة به، والناس قد عادوا إلىٰ حالهم وأذهب الله عنهم هذه النعم التي تسرع بهم كسرعة الدجال، فكيف سيفرون إلىٰ الجبال ومسالح الدجال في كل مكان وهم ألوف كثيرة، وليس عند المسلمين من السرعة ما عند الدجال وجنده؟ وكيف تكون الجبال عاصمة لهم مع أن الدجال صاحب وسائل خارقه للعادة في تنقله فلا يعيقه سهل ولا جبل عندهم؟

ويدل علىٰ هذا ما رواه أبو داود عن عمران بن حصين وهو

❋❋❋

## الحديث الرابع

قال قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **"مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ ؛ فَوَاللهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ"**

كيف سيسمع الناس بالدجال، ثم يفرون منه بالجبال وهم علىٰ حميرهم وجمالهم؟ فإنهم لن ينتبهوا إلا والدجال فوق رؤوسهم ولا يستطيع أحد أن ينأ بنفسه ولا بأهله! وعلىٰ هذا يكون أمر النبي عليه الصلاة والسلام بالفرار أمر بما لا يطاق، وحاشاه عليه الصلاة والسلام أن يأمر الناس بشيء قد سبق في علم الله أنهم لا يطيقونه، فهذا تتنزه عنه الشريعة الغراء.

لكن لو كان عند الناس يومئذ ما أنعم الله عليهم به من الوسائل في هذا العصر فسيسمعون بالدجال قبل وصوله إليهم، ثم يفرون منه لأن عندهم سرعة نظير سرعة الدجال.

ففي الزمن الأول كانت تقع الحادثة فيعرفها الناس بوسائل التواصل القديمة من إبل ودواب بريد ونحوها، لكن كيف يتصور مثل ذلك في زمنٍ العدو يملك سرعة خارقة هو وجنده لا توجد عند غيره من ساكن الأرض؟

فالإصرار علىٰ رد دلالة هذه الأحاديث يعتبر جمودا من جنس جمود الظاهرية الذين ذمهم السلف، ويوقع أصحابه في الحرج لاستلزامه خرق العادة في عدة مواطن، الأول سرعة الدجال وأتباعه وهم ألوف مؤلفة، والثاني فرار الناس من الدجال وهم لا يملكون سرعة كسرعته وهم ألوف كذلك، فيحتاجون لخرق العادة كي يفروا،

والثالث أمانهم في الجبال وعدم قدرة الدجال علىٰ الوصول إليهم مع ما عنده مما ليس عندهم، وكل هذا ليس عليه أي أثارة من علم.

***

## الحديث الخامس

حديث ابن مسعود في الملحمة مع الروم وفيه (**حَتَّىٰ إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّىٰ يَخِرَّ مَيْتًا**) والسؤال هو ما الذي يجعل الطائر يخر ميتا بمجرد عبوره بجانبهم مع أن بعض الطيور تعيش بين الجيف؟

ففي هذا إشارة لنوعية السلاح العصري المستخدم من النيران والكيماويات ونحوها؟

والطائر اسم جنس لكل ما يطير من الحيوانات، فليس المقصود نوع دون نوع،

ومعلوم أن بعض الطيور حياتها الجيف والنتن.

ومن الخطأ مقارنة موت الطير الذي يمر فوق تلك المقتلة بموت الطير الذي كانت تدلك به الحائض نفسها، فهذا الطير يموت لمجرد مروره بجنباتهم وهو في السماء، أما طير الحائض فيتعرض للدلك ونحو ذلك.

فهذا الحديث صريح في تعليل موت الطير وأنه ليس لمجرد النتن ولكنه لنوع المقتلة التي لا يرىٰ مثلها كما في لفظ الحديث"**فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً – إِمَّا قَالَ : لَا يُرَى مِثْلُهَا، وَإِمَّا قَالَ : لَمْ يُرَ مِثْلُهَا** ...".

فإن حملنا الحديث علىٰ نفي الماضي "**لَمْ يُرَ مِثْلُهَا**" فأين المعارك العصرية التي لم ير لها مثيل علىٰ مر التاريخ من حيث شدة القتل والفتك والآلات الحربية إذا كانت هذه الآلات الفتاكة زائلة ويعود الناس للوسائل القديمة؟

وإن حملنا الحديث علىٰ نفي المستقبل "**لَا يُرَى مِثْلُهَا**" فأين يأجوج ومأجوج وما يتصورونه فيهم من شدة الفتك الذي لا نظير له؟

لكن المعنىٰ الصحيح الذي تتفق فيه الأدلة إن حملناه علىٰ نفي الماضي " **لَمْ يُرَ مِثْلُهَا**" فهي معركة شديدة جداً بالوسائل الحديثة الفتاكة المدمرة، ولا يمكن أن توصف بهذا الوصف إلا بالوسائل الحديثة.

وإن حملناه علىٰ نفي المستقبل "**لَا يُرَى مِثْلُهَا**" فإنه لم يثبت في الشرع أن يأجوج ومأجوج يخوضون معارك لم ير مثلها، بل حتىٰ لم يثبت في الشرع حسب علمي أنهم يقاتلون عدوا غير عيسىٰ علىٰ وجه التفصيل، فإنهم يخرجون لقتاله بعد أن يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويهلك ملل الكفر، فيغيضهم ذلك، ثم يخرجون كما وصفهم نبينا عليه الصلاة والسلام، ويقتلون من شاء الله من الناس قتلا ذريعا بدون معارك ضارية لم ير مثلها، ثم يهلكهم الله بعذاب من عنده بغير قتال، ولا شك أن قتلاهم ونتنهم يفوق قتلىٰ الملحمة بما لا مقارنة، وعليه فليس هناك مقتلة أعظم من هذه المقتلة حتىٰ مع الدجال.

❊❊❊

## الحديث السادس

ما جاء في مسلم عن حَفْصَةُ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : "**يَؤُمَّنَّ هَذَا الْبَيْتَ جَيْشٌ، يَغْزُونَهُ، حَتَّىٰ إِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوْسَطِهِمْ، وَيُنَادِي أَوَّلُهُمْ آخِرَهُمْ، ثُمَّ يُخْسَفُ بِهِمْ، فَلَا يَبْقَىٰ إِلَّا الشَّرِيدُ الَّذِي يُخْبِرُ عَنْهُمْ**". فَقَالَ رَجُلٌ : أَشْهَدُ عَلَيْكَ أَنَّكَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَىٰ حَفْصَةَ، وَأَشْهَدُ عَلَىٰ حَفْصَةَ أَنَّهَا لَمْ تَكْذِبْ عَلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والشاهد منه كيف يحصل النداء بين الأوائل والأواخر مع طول المسافة وكبر الجيوش وضمها لمن ليس منها من الناس من أهل الأسواق وغيرهم، مع ما يتوقع حصوله من الصخب وارتفاع الأصوات بسبب الخسف؟

❊❊❊

## الحديث السابع

ومن هذه الأحاديث وأصرحها مارواه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **"وَاللهِ لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا، فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ، وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ، وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ، وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ ، فَلَا يُسْعَىٰ عَلَيْهَا ، وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ، وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَىٰ الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ"**

والشاهد ترك القلاص في زمن عيسىٰ ابن مريم عليه الصلاة والسلام، والقلاص هي الإبل، وتركها دليل علىٰ الإستغناء عنها بغيرها من الوسائل الحديثة، لأن الناس لا يمكن أن يستغنوا عن الأسفار مهما حصل من نعيم ورخاء، تلك الدار الآخرة التي لا يبغون عنها حولا، أما دار الدنيا فقد جبل الناس علىٰ محبة التنقل فيها، وتقوم الساعة والرجل يلوط حوض إبله.

وذكر الإبل إشارة لما دونها من المراكب، وليس المقصود ترك الزكاة فقط كما فهم البعض، فالإبل متروكة الركوب في وقتنا الحاضر إلا ما ندر قد استغنىٰ الناس عنها بهذه المراكب، بل أصبحت الإبل تَركَب ويُسافَر بها راكبة من بلد لآخر!

وحديث رسول الله عليه الصلاة والسلام في ترك الإبل إنما هو في السعي عليها فقط، وليس في جميع منافعها من اقتنائها والانتفاع بلحمها وألبانها وغير ذاك من المنافع!

فإنه عليه الصلاة والسلام لو لم يذكر قوله **"فَلَا يُسْعَىٰ عَلَيْهَا"** لتبادر إلىٰ الذهن الاستغناء عنها تماما، وهذا يخالف ما ورد في السنة أن الساعة تقوم والرجل يلوط حوض إبله، فالتخصيص بهذه الفقرة إنما هو من عموم المنافع، ومن خصص هذا التخصيص فعليه بالدليل.

ولو سلمنا جدلا أن المقصود هو مجرد السعي علىٰ الزكاة دون أنواع السعي، فإن منافع السعي علىٰ الإبل بهذا المفهوم مقتصرة علىٰ جمع الزكاة عليها فقط، فلا يعرف الناس سعيا علىٰ الإبل إلا لجمع الزكاة، فصح التعبير بالترك لأن الناس لا يعرفون منها إلا جمع الزكاة عليها، فإذا تركت تبادر إلىٰ الذهن جمع الزكاة عليها، لكن حقيقة الحال أن السعي علىٰ الإبل ليس للزكاة فقط، فهو لها ولغيرها أكثر منها، وإذا أراد المتكلم أن ينفي نوعا واحدا من أنواع السعي دون غيره فإنه يذكره بنفسه، فما هي الثمرة والفائدة من التعميم في ترك السعي علىٰ الإبل مع أن المراد السعي علىٰ الزكاة فقط؟ وهذا ما ينزه عنه كلام من أوتي جوامع الكلم صلىٰ الله عليه وسلم.

فعلم بهذا أن الحديث علىٰ عمومه من ترك السعي مطلقا فلا يسعىٰ عليها لا لزكاة ولا لغيرها، وإذا ورد في الشرع دليل يحتمل معنيين أحدهما عام والآخر خاص فإنه يحمل علىٰ العام ويندرج تحته الخاص.

❊❊❊

## الحديث الثامن

حديث النواس ابن سمعان في صحيح مسلم **"قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ ؟ قَالَ : " أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ ". قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ، فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ ؟ قَالَ : " لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ"**

والشاهد منه كيف يستطيع المسلمون أن يقدروا قدر الصلوات دون وجود ما أكرمنا الله به من هذه الساعات بالتكنلوجيا الحديثة؟

فالناس كانوا يقسمون الليل والنهار إلىٰ ساعات معلومة ودليلهم فيه الشمس والقمر والنجوم، وعلىٰ هذا ساروا.

فلو طلعت الشمس في أول أيام الدجال وبقيت في جهة الشرق لم تصل قيد رمح إلا بعد شهر أو نصف شهر

فكيف يستطيع الناس أن يقدروا للصلوات بالوسائل القديمة، في خلال هذا الشهر وهم يرون الشمس لا تتحرك، وتمر الصلاة بعد الصلاة؟

وهكذا كيف يستطيعون صيام رمضان، والشمس تقطع في نصف شهر ما كانت تقطعه في ساعة ربما؟

هذا إذا ساوينا الليل والنهار ستة أشهر بستة أشهر!

ولو أن النبي عليه الصلاة والسلام كلف الناس في أقطار الأرض أن يقوموا بأعمال يقيسون بها الوقت من قراءة قران وحرق السعف ونحو ذلك باستمرار طوال أيام الدجال الأولىٰ لكان من التكليف بما لا يطاق، وهذا لا يوجد في شريعة الإسلام.

وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من أمرين إما وسائل مستعملة آنذاك لم تكن معروفة قبل، وقد ظهر في زماننا بفضل الله إمكانية ضبط الوقت ضبطا متقنا بالدقيقة والثانية دون الإستعانة بالشمس ولا بالنجوم.

فيستطيع الإنسان معرفة أوقات الصلوات في السنة القادمة قياسا علىٰ السنة الماضية واللتي قبلها وهكذا، منذ أن بدأت هذه التقاويم فكلها موجودة مطبوعة،

وبها أو بمثلها من النعم العصرية يستطيع الناس أن يقدروا قدر أوقات الصلوات زمن الدجال

تقديرا للسنة القادمة أو قياسا علىٰ السنة الماضية.

والأمر الثاني بادعاء خرق العادة في قياس الوقت، ولا شك أن الأول أولىٰ والله أعلم.

❊❊❊

## الحديث التاسع

ما جاء في مسلم من حديث ابن مسعود وفيه "فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً – إِمَّا قَالَ : لَا يُرَىٰ مِثْلُهَا، وَإِمَّا قَالَ : لَمْ يُرَ مِثْلُهَا – حَتَّىٰ إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّىٰ يَخِرَّ مَيْتًا، فَيَتَعَادُّ بَنُو الْأَبِ كَانُوا مِائَةً، فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ، فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ، أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ : إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ. فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيُقْبِلُونَ، فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ، وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ ؛ هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ"

وموضع الشاهد منه قوله عليه الصلاة والسلام "إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ"

ولك أن تتصور هذه المعركة التي هي الملحمة الكبرىٰ مع الروم، في أرض ساحة معركة، لا يعرفون إلا الدم، مقتلة لم يرىٰ مثلها أو لا يرىٰ مثلها، كان بنوا الأب مائة فلا يجدونه بقي بعد المعركة إلا واحد.

تصور لو سمع هؤلاء الأخيار خبرا، وجاءهم صريخ وهم في ذلك المكان المنقطع حسب الزمن الأول: إن الدجال خلفهم في ذراريهم، أفيكون هذا الخبر الكاذب عندهم أشد بأسا مما حصل لهم من القتل!

وهم يعلمون يقينا أن هذا الخبر كاذب، ففيهم المهدي ومعه خيار أهل الأرض في هذه المعركة، وهم يعلمون أن الدجال لا يخرج إلا بعد فتح القسطنطينية، فما الذي يجعل ما سمعوه بأسا أكبر مما حصل لهم من القتل؟

لا يمكن أن تؤثر تلك الشائعة علىٰ ذلك الجيش حتىٰ يتركوا حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام في تأخر خروج الدجال لما بعد القسطنطينية، ثم يصدقون هذه الشائعة وتكون أشد وقعا في نفوسهم من حر القتل الذي عاينوه!

والمتأمل للحديث يرىٰ أنه لا يمكن حصول ذلك إلا في وجود نعم الله سبحانه وتعالىٰ العظيمة علىٰ أهل زماننا لأمور:

الأول: اختيار المهدي لعشرة فوارس، ولا يرجع المهدي بالجيش كله كما في فتح القسطنطينية، فإنهم في القسطنطينية حين يصيح الشيطان فيهم: إن الدجال خرج. يرجعون إلىٰ الشام بالجيش كله ثم يخرج الدجال بعد رجوعهم.

ولو كانت هذه الشائعة وقعت في نفوسهم موقع التصديق والقبول لرجعوا بالجيش كله، لكن والله أعلم أن البأس الذي هو أشد عليهم من القتل هو الزوبعة والفتنة التي تحصل بعدهم عند بقية الناس من نشر خبر الدجال، في وسائل الإعلام المتاحة بين الناس يومئذ، ولا يتصور وقوف الجيش علىٰ عظم هذه الشائعة حتىٰ تصير عندهم أشد بأسا من القتل الذي لم يرىٰ مثله من مجرد صريخ الصارخ الذي جاءهم فقط!

الأمر الثاني: هؤلاء الفوارس لا يخرجون لقتال الدجال فإنه لا طاقة لهم بالدجال، كما هو معلوم، ومثل هؤلاء الأخيار لا يخفىٰ عليهم حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام في كون خروج الدجال بعد فتح القسطنطينية، لكنهم يخرجون لأجل إبطال هذه الشائعة الكاذبة وتثبيت الناس وطمأنتهم، وهذه مهمة العلماء، وهذا والله أعلم هو البأس الذي سمعوا به وهو أكبر مما حصل فيهم من القتل، ولهذا اختار المهدي عشرة هم من خير فوارس علىٰ ظهر الأرض يومئذ.

لأن مثل هذه الشائعات يستغلها الشيطان وأهل النفاق لإفساد ما تعب فيه المهدي وجنده من إقامة العدل والقسط في الجزيرة العربية وفارس.

أما الإستطلاع للتأكد من صدق خبر أو كذبه فهذا يكلف به أي فرد من الجيش من ذوي الخبرة ولا يلزم انتقاء الأخيار منهم.

وهكذا لا يلزم إرسال هذا العدد فالجيوش القديمة يكفيها للإستطلاع رجل أو رجلان، لأن الخبر جاء من بلاد الإسلام وهي بلاد أمان وظهر للمسلمين، والجيش كذلك لا زال في الشام لم يبتعد ويتوغل جهة بلاد الروم حتىٰ يحتاجوا لكثرة العدد والله أعلم.

الأمر الثالث: لفظ الحديث "**إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ**..." وفيه إشارة أن سماعهم لذلك البأس قبل مجيء الصريخ والفاء تدل علىٰ الترتيب مع التعقيب، والسؤال هو من أين يسمعون ذلك إذا لم توجد وسائل حديثة؟

الأمر الرابع: الناس الان في العصر الحديث قد فتنوا بمن هو دون الدجال بمراحل ممن لا تجري الخوارق علىٰ يديه، والعلماء يصيحون ويحذرون ولا تكاد تجد من ينصت ويسمع للعلماء، ولا زلنا نسمع عن الدجاجلة الذين يدعون المهدية، ويظهرون بين الحين والآخر، فإذا خرج المهدي الحق صارت الأرض خصبة لنشر أخبارا كاذبة عن خروج الدجال، والناس يصدقون، وأهل الخير حينها بحاجة ماسة للنزول بأنفسهم لنصح الناس وإبطال مثل هذه الشائعات، ولا تكفي مجرد كلمة تنشر في وسائل التواصل.

فمن ظن أن مهمة هؤلاء العشرة هي التأكد من الخبر هل هو صحيح أو غير صحيح فهو فهم قاصر.

ولو فرضنا أن مهمتهم هي التأكد من الخبر فإن الدجال لو خرج بين الشام والعراق أو خراسان وانطلق الراكب المسرع من موطن خروج الدجال حتىٰ موقع المعركة فإنه يحتاج أياما بالوسائل القديمة ليَصِل، وهذه الأيام كافية في معرفة تأخر الشمس في أول أيام الدجال الذي كسنة، فيتبين لهم خروج الدجال بتوقف الشمس ويقدرون للصلوات قدرها قبل أن يصل إليهم الصريخ، فلا حاجة حينئذ لإرسال هؤلاء العشرة إن كان خروجهم لأجل التأكد من صحة خبر الدجال!

❊❊❊

## الحديث العاشر

ما رواه مسلم من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما وفيه بعد ذِكْر قتل عيسىٰ للدجال وبقاء الناس بعد عيسىٰ وليس بين اثنين عداوة حتىٰ قال: "**ثُمّ يُرْسِلُ اللهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ، فَلَا يَبْقَىٰ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّىٰ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ تَقْبِضَهُ**".

**قَالَ : سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : " فَيَبْقَىٰ شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ، وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ : أَلَا تَسْتَجِيبُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ...**"

والشاهد من الحديث قوله عليه الصلاة والسلام "**فَيَبْقَىٰ شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ، وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ**"

ذكر كثير من أهل العلم أن المقصود بخفة الطير هي السرعة لكن اختلفوا في هذه السرعة

فتأولوا لها عدة معان ولم يحملوا اللفظ علىٰ ظاهره بأن السرعة الحقيقية للناس تكون كسرعة الطير في تنقلهم واختلاطهم، وذلك لعدم تصورهم أنها ستكون للناس فيما يستقبل من الزمن سرعة عظيمة جدا يتنقلون بها في سفرهم وحضرهم، كما هي في عصرنا الذي يسمىٰ عصر السرعة.

ولو رأوا سرعة الناس في زماننا لما تردد متردد في حمل الحديث علىٰ ظاهره ولما تكلف التأويل مع إمكان حمل اللفظ علىٰ ظاهره.

فالناس الان في واقع مثل خفة الطير وليسوا كالزمن الأول، لكنهم ليسوا في أحلام السباع.

فهذا من أوضح الأدلة وأظهرها في بقاء نعم الله العصرية آخر الزمان وأن الساعة تقوم والناس كذلك، ومن حمل اللفظ علىٰ غير ظاهره فهو المتأول الصارف للفظ عن ظاهره بغير قرينة.

ومن احتج بتأويل المتقدمين وتمسك بتفسيرهم لرد ظاهر الحديث، فأولئك المتقدمون ليس عندهم نص مرفوع وقفوا عنده في تفسيرهم، مع إجماعهم أن المقصود هو السرعة، ولكنهم تأولوا السرعة باجتهادهم لاستحالة حمل اللفظ علىٰ ظاهره في تصورهم وفهمهم، أما في زماننا فالأمر يختلف، وحمل الحديث علىٰ ظاهره في غاية الإمكان، بل هو الذي لا يصح الميل عنه، والقول بغيره.

ومن تأمل الحديث فإنّ كل ما ذكروه من تأويل خفة الطير من السرعة إلىٰ الشر موجود فيما ذكره النبي عليه الصلاة والسلام في أحلام السباع فعندها السرعة للشر والإضطراب والميل للشهوات وغير ذلك مما فسروا به "**خِفَّةِ الطَّيْرِ**"

والنبي عليه الصلاة والسلام ذكر خفتهم وسرعتهم وذكر أحلامهم، فجمع بين مفهوم حسي ومعنوي، ومن تأول الخفة بغير ظاهرها فقد ألغىٰ المفهوم الحسي وأبقىٰ المفهوم المعنوي، بلا دليل ولا قرينة.

ولا يجوز صرف اللفظ عن ظاهره إلا بقرينة، وكل ما احتج به من خالفنا في هذه الرسالة فيما تقدم معنا من المسائل وغيرها فإننا نلزمه بظاهر هذا الحديث.

ومما نستفيده من ظاهر الحديث أن الله سيجعل الناس يبلغون مبلغا عظيما في سرعتهم حتىٰ يكونوا كالطير في خفته، وقد بدأت بعض الدول في زماننا تصنيع سيارات طائرة تكفي للراكبين والثلاثة فقط، فما المانع أن ينفتح المجال دوليا للصناعة حتىٰ يصبح الراكب الواحد يطير في الهواء بمركبته كما يمشي علىٰ الأرض بسيارته ودراجته، حتىٰ يصلوا لمستوىٰ أن يكونوا جميعا في خفة الطير، وأحلام السباع؟ وليس المانع للناس من الوصول لهذا المستوىٰ العجز عن ذلك، فإن القدرة موجودة ومشاهدة، بل المانع هو المصلحة الأمنية الدولية.

وبالنظر للواقع فإن الصناعات في عصرنا قد بلغت مبلغا يفوق الخيال، وطيران الناس في السماء أمر أوضح من ضوء النهار، فلا معنىٰ لإنكاره!

فالطائرات مصنعة بشتىٰ أنواعها سواء ذاتية القيادة، أو التي يتحكم بها عن بعد، وتختلف أوصافها وأنواعها ما بين صغير وكبير، أو سريع وبطيء، وغير ذلك.

لكنها لا تستعمل إلا تحت المراقبة الشديدة من الدول، ولا يسمح للناس باستعمالها حسب اختيارهم، فالمطارات تعتبر مثل المنافذ البرية الحدودية بين الدول، فلا يصعد الإنسان الطائرة للسفر أو غيره إلا بعد معاملات رسمية.

ولو أطلق العنان لشركات الطيران في تصنيع الطائرات وبيعها للناس بطريقة عشوائية فسيكون هناك الفساد العريض الذي لا يتصور، من ذلك أنها تنتهي حصانة القادة والملوك ويستطيع آحاد الناس الوصول إلىٰ مساكنهم عبرها، وهذا ما لا يسمح به القادة ولا تسمح به الدول، وهكذا تنتهي الفواصل الحدودية ونظام الجنسيات بسبب

اختلاط الناس، وهذا أيضا ما لا يُسمح به عالميا، وغير ذلك من أنواع الفساد العريض.

فهذا هو المانع في الواقع من تصنيع وبيع الطائرات التي تجعل آحاد الناس يتحكمون بها في خفة الطير، وليس المانع عدم القدرة علىٰ الصناعة أو عدم وصول الناس لهذا المستوىٰ من الصناعات الحديثة الفائقة.

ولا يتصور تصنيع وبيع الطائرات الصغيرة المركوبة للناس واستعمالها من أفرادهم بحرّية مطلقة إلا في حصول أمرين:

الأول أن يكون الناس جميعا في الأرض كلها علىٰ قلب رجل واحد، بحيث لا توجد حدود ودول كما هي الان، ولا يخاف الراعي من غدر أحد رعيته، ولا يكون للقائد حجابا عن رعيته، ويعيش القائد كما يعيش أفراد الناس، والناس أيضا يأمن بعضهم بعضا، وهذا لا يكون إلا زمن عيسىٰ عليه الصلاة والسلام حيث تُلقىٰ المحبة بين الناس، ولا يكون بين اثنين عداوة.

والأمر الثاني أن يعيش الناس حياة كحياة الحيوانات ليس لهم نظام ولا حكم، بحيث يذهب الإنسان حيث أراد من الأرض، ويفعل ما يشاء، ولا يزجره زاجر ولا رادع، ولا يحده شيء، وهذا هو ما أخبر عنه النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث أن الناس يصيرون بعد عيسىٰ قبل الساعة في أحلام السباع.

أما قبل حصول هذين الأمرين فلن تستطيع البشرية استعمال الطائرات إلا تحت مراقبة حكوماتها. والله أعلم

وليس هذا من تعظيم أفعال الناس في عصرنا كما قد يتوهم البعض فإن هذا كله حاصل بإذن الله عز وجل، والناس فيه لا يعدون أن يكونوا في خفة الطير الذي هو خلق واحد من مخلوقات الله الكثيرة في هذا الكون المشاهد فما بالك بالعالم الغيبي!

فما ذكره الله في كتابه مما في الجنة والنار لن يبلغ ما أكرمنا الله به من النعم في عصرنا هذا عشر معشاره بل هو لا شيء بالنسبة له.

قال الله تعالىٰ ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يُونُس : ٢٤].

ومما ننبه عليه أن الطير اسم جنس يدخل فيه كل أنواع الطيور، المتوحش منها والمتأهل، فنسبة العدوان في الطير مختلفة من نوع لآخر، فبعضها فيها طباع السباع وبعضها ليس فيها طباع السباع، والصفة المشتركة بين كل أنواع الطير هو الطيران والخفة، وهو موضع التشبيه بين الناس وبين الطير، فظاهره أن خفة الناس ستكون كخفة الطير.

وأما السباع فالصفة المشتركة بينها هي التوحش، فليس لها أحلام تتآلف بها، فقويها يأكل ضعيفها.

فظاهر الحديث الذي لا يجوز الخروج عنه إلا بقرينة أن الناس سيكونون في خفة كخفة الطير، وأحلام كأحلام السباع، ومن جعل الخفة صفة للأحلام أيضا فقد خرج عن الظاهر بدون قرينة، إلا مجرد استحالة أن يكون الناس كالطيور في الحركة، وهذا

كان سابقا أما الان فليس هناك استحالة، وعليه فإنه لم يبق مانع لحمل الحديث علىٰ ظاهره والله أعلم.

❊❊❊

## الحديث الحادي عشر

ما رواه أبو داود من حديث ذي مخبر في قصة الصلح مع الروم وغدر الروم وجمعهم للملحمة، زاد في الحديث " **وَيَثُورُ الْمُسْلِمُونَ إِلَىٰ أَسْلِحَتِهِمْ فَيَقْتَتِلُونَ، فَيُكْرِمُ اللهُ تِلْكَ الْعِصَابَةَ بِالشَّهَادَةِ** ".

والشاهد منه أن المسلمين يثورون إلىٰ أسلحتهم وهذا لا يكون إلا في الحروب الحديثة حيث العتاد والسلاح الثقيل من الدبابات والمدرعات التي يثور إليها المقاتلون للإعتصام بها والقتال بها.

أما الوسائل القديمة فلا يثور إليها المقاتلون فكلٌ سيفه بيده، وما كان منها أقوىٰ من ذلك فإنه لا يثار إليها لأنها لا تستعمل إلا في وضعية خاصة في القتال ليس هذا موضعها.

❊❊❊

## الحديث الثاني عشر

ما رواه مسلم في صحيحة من حديث عمر رضي الله عنه وهو في الصحيحين بمعناه عن أبي هريرة، أن جبريل قال للنبي صلىٰ الله عليه وسلم: **" فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ : " مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ". قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ : " أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَىٰ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ"**

والشاهد منه أن التطاول في البنيان يقع حين تقوم الساعة، وأي تطاول أعظم مما نراه في عصرنا فقد بلغت بعض البنايات في جزيرة العرب مبلغ السحاب، وسميت بناطحات السحاب، وهم يبنونها ليس لمجرد السكن، ولكن ليقال إن هذا أطول برج في العالم، كما هو معلوم.

فأمارة الساعة ليس مجرد ارتفاع البناء ولكنه التنافس علىٰ أي البناء أطول؟ كما يدل عليه لفظ الحديث **"يَتَطَاوَلُونَ"**.

والذي يتصور أن الله سيأخذ عن العباد هذه الوسائل العصرية ويعيدهم للزمن الأول فهو لاغ لهذه الأمارة أن تكون مقترنة بالساعة، والنبي عليه الصلاة والسلام ذكر هذه العلامة حين سئل بـ (متىٰ؟) كما هو في بعض الروايات.

فالزمن الأول وإن أبطأت بهم التكنلوجيا الحديثة فقد أسرعت بهم قوتهم البدنية التي كانوا عليها، ولا يزال الخلق يتناقص حتىٰ تقوم الساعة علىٰ أضعف البشر من حيث قوة الجسد والخلقة، كما يدل عليه حديث أبي هريرة في الصحيحين عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال **"خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ : اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَىٰ أُولَئِكَ نَفَرٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٍ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ ؛ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ**

**وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ. فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ. فَقَالُوا : السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ. فَزَادُوهُ : وَرَحْمَةُ اللهِ. فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّىٰ الْآنَ ".**

فلن يحصل تطاول في البنيان إن عاد الناس للزمن الأول وأخذ الله علىٰ عباده الوسائل العصرية.

والنبي عليه الصلاة والسلام حين أخبر عن التطاول فالمراد به ذروته لا ما كان في زمانه أو قبله.

وأيضا فالأولون تطاولوا في البنيان بفعل دولهم وامكانياتها لا بفعل رعاتها وفقرائها كما هو حاصل في زماننا، فالأولون يبنون بإمكانيات الدولة إلا فيما ندر، أما الآخرون فبإمكانياتهم الفردية، وهذا لا يتأتىٰ مع ضعف الأجساد وزوال النعم العصرية، لكن يتأتىٰ في قوة الناس بما أكرمهم الله به من البأس الشديد بالصناعات الحديثة المعروفة، وليس للدولة في عصرنا مهمة إلا أن تعطي ورقة فيها ترخيص بالبناء فقط.

❊❊❊

## الحديث الثالث عشر

ما رواه أحمد وغيره وحسنه الألباني عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " **سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي رِجَالٌ، يَرْكَبُونَ عَلَىٰ السُّرُوجِ كَأَشْبَاهِ الرِّحَالِ، يَنْزِلُونَ عَلَىٰ أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ، نِسَاؤُهُمْ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ...**"

فسر الألباني وغيره أشباه الرحال بأنها السيارات والمراكب الحديثة.

وشاهدنا من الحديث قوله عليه الصلاة والسلام "**آخِرِ أُمَّتِي**" ومعلوم أن أمته عليه الصلاة والسلام آخر الأمم، وهذا الخبر في آخر هذه الأمة، فهو واقع في آخر الأمة خصوصا وليس آخر الزمان عموما، لأن آخر الزمان يدخل فيه موت النبي عليه الصلاة والسلام وما يكون من الأحداث بعده، وهو أول هذه الأمة، أما آخر الأمة فهو الذي يقارن أشراط الساعة الكبرىٰ أو قبلها بقليل.

ولو كان ما نحن فيه من النعم العصرية زائلا كما يزعمون فإن أول ما يزول هو السيارات لأن أكثرها لا تتحرك إلا بالبترول والنفط ونحوهما من الطاقة العصرية، فإذا زالت هذه النعم واستمرت هذه الأمة بعد زوالها حتىٰ يأتي زمن الملاحم وما بعدها، ثم يبقىٰ الناس بعد عيسىٰ ما شاء الله، فينقص الدين وتنقض عراه عروة عروة حتىٰ يبقىٰ الشيخ الهرم والمرأة العجوز بعد طول الزمن يقولون أدركنا آباءنا علىٰ هذه الكلمة ونحن نقولها لا إله إلا الله، ولا يدرون ما صلاة ولا صيام، ثم يموت من في قلبه ذرة إيمان، ويبقىٰ شرار الخلق ما شاء الله، يتهارجون تهارج الحمر، وعليهم تقوم الساعة.

فحينها يكون قوله عليه الصلاة والسلام "آخِرِ أُمَّتِي" مخالفا للواقع لأن هذا حال آخر أمته!

فتبين بهذا أن الساعة ستقوم علىٰ أناس يركبون السروج كأشباه الرحال وهذا هو آخر أمته عليه الصلاة والسلام، وظهور المهدي ونزول عيسىٰ يكون في آخر الأمة.

فبين خروج المهدي وقيام الساعة زمن طويل جدا لا يعلمه إلا الله، وإليك سرد الأحداث حسبما ورد في الأدلة:

فالمهدي يبقىٰ سبع سنين، ثم ينزل عيسىٰ ويبقىٰ إما سبع سنين أو أكثر، ثم يبقىٰ المسلمون بعده ما شاء الله والإسلام ظاهر علىٰ جميع الأرض، ثم يبدأ الضعف في الدين ويموت الصالحون، ويُترك الدين حتىٰ يصلوا بعد زمن طويل لمستوىٰ أنهم لا يعرفون إلا لا إله إلا الله يعرفها الشيخ الكبير والمرأة العجوز.

وللمسلم أن يتصور كم هي الفترة التي يصل فيها الناس لهذا المستوىٰ؟ لا شك أنها ليست قلية، وأقل ما يقال إنها عمر ذلك الجيل الذي نشأ مع عيسىٰ ومن كان مدركا من أبنائهم، وأقله خمسون سنة أو ستون سنة، ثم ينشأ الطفل الصغير الذي أدرك أصحاب عيسىٰ وخيرهم فيكبر في السن حتىٰ يأتي جيل لم يعقل من المسلمين إلا كلمة التوحيد، ويعيش هذا الجيل في الدنيا حتىٰ يصبح الواحد منهم شيخا كبيرا أو امرأة عجوزا، وأقل لبثه ستون أو سبعون سنة.

وهذا الذي ذكرناه علىٰ أقل تقدير يقارب القرن ونصف من خروج المهدي إلىٰ أن يقول الشيخ الكبير والمرأة العجوز: أدركنا آباءنا علىٰ هذه الكلمة.

أليست هذه الفترة خالية في نظر من يرون أن الله سيذهب هذه النعم العصرية من السيارات والمركوبات الحديثة؟

فكيف ينسب النبي عليه الصلاة والسلام لآخر أمته شيئا قد انقضىٰ من قرن أو قرنين من آخرها؟

هذا إذا قامت القيامة حين يبقىٰ شرار الخلق مباشرة ولم يمهلهم الله فترة يعيشون فيها في الدنيا بعد آخر عهد لهم بالصلوات بعد زمن عيسىٰ والله أعلم.

ومما يؤيد ما تقدم أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أخبر أن في آخر أمته خليفة يحثي المال ولا يعده، وهذا الخليفة هو المهدي، كما في مسلم من حديث جابر قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **"يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ، يَحْثِي الْمَالَ حَثْيًا، لَا يَعُدُّهُ عَدَدًا"**

ففي آخر الأمة يركبون السروج كأشباه الرحال، وفي آخر الأمة يتطاولون في البنيان، وفي آخر الأمة يكون الخليفة المهدي، وفي آخر الأمة يقاتلون الدجال.

وفرق كما تقدم بين آخر الزمان وآخر الأمة، فآخر الزمان يدخل فيه بعثة رسول الله عليه الصلاة والسلام وموته، وما بعد ذلك كله من آخر الزمان، أما آخر الأمة فهي أمة محمد عليه الصلاة والسلام، ولا يكون في آخرها إلا ما صح في السنة مما ذكرناه وغيره، كله حاصل في آخر الأمة، ومن حاول الفصل فعليه الدليل.

***

## الحديث الرابع عشر

ما رواه الترمذي عن ثوبان وهو حديث صحيح أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: **"إِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعَ عَنْهُا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ"** وقد تقدم في الفصل الثاني في المقاصد، ومثله أيضا حديث عبدالله ابن أبي أوفىٰ في الصحيحين، قال عليه الصلاة والسلام: **"وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السِّيُوْفِ"** والشاهد منه أن وسائل الناس القتالية في العصر الحديث قد تسمىٰ بأسماء الآلات القديمة وتدخل تحت عموم ألفاظها، فالذين يزعمون أن الله سيأخذ عن أهل عصرنا ما أنعم عليهم به من الوسائل الحديثة يلزمهم أحد ثلاثة أمور:

إما أن يكذبوا واقعهم الذي رفع فيه السيف ولم يعد له أي استعمال لا في الحروب ولا غيرها إلا فيما ندر.

وإما أن يردوا حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام لأنه يخالف واقعهم الذي يعيشونه.

وإما أن يتركوا الظاهرية ويقولوا بأن المقصود عموم السلاح وليس المعنىٰ المتبادر من ظاهر اللفظ فقط، فيدخل في لفظ السيف كل وسائل القتل من الرشاشات النارية والمدفعيات وغيرها من الأسلحة العصرية.

فإن أقروا بأنه عموم السلاح، قلنا لهم إن هذا العموم في عرف الأولين مخصوص بما يعلمونه من الرماح والنشاب والحراب وغيرها، فهل يدخل فيه السلاح الحديث؟

فإن قالوا: نعم. غُلبوا، وإن قالوا: لا. فقد اختلت عقولهم.

ويلزمهم أن يقولوا إنه لا يترتب دخول الجنة تحت ظلال الرشاشات والمدفعيات الحديثة لأن الفضيلة جاءت خاصة بالسيوف، وهذه الآلات الحديثة لا تدخل في مسماها لا من قريب ولا من بعيد!

وهل هناك ظاهرية أشد من هذه؟

❊❊❊

## الحديث الخامس عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : **" لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّىٰ يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ : يَا مُسْلِمُ، يَا عَبْدَ اللهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ. إِلَّا الْغَرْقَدَ ؛ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ "**. رواه مسلم بهذا اللفظ وأصله متفق عليه.

والشاهد منه أن اليهودي يختبئ خلف الحجر والشجر، وهذا في المعارك العصرية أوفق منه من المعارك السابقة، فالسيف والرمح والوسائل القديمة لا يمكن معها الاختباء بحيث لا يشعر به المسلم إلا بخبر الحجر والشجر، فالمواجهة حاصلة والقتل الذريع حاصل، وأيضا تكون ساحة المعركة قديما في الأماكن الخالية غالبا وليس بين الأحجار والأشجار، أما الوسائل العصرية فالتخفي خلف الأحجار والأشجار حاصل، بل لا تكون كثير من المعارك إلا بالتخفي، ويكون الرمي من بعيد، ولا يقع الالتحام إلا بعد انتصار أحد الفريقين غالبا.

❊❊❊

## الحديث السادس عشر

عن النواس ابن سمعان في حديثه الطويل في قصة الدجال عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "...**فَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ وَأَصْحَابُهُ حَتَّىٰ يَكُوْنَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْراً مِنْ مِائَةِ دِيْنَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ**" رواه مسلم.

والشاهد منه أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ذكر قيمة الدينار في زمانه، ومثّل بمائة منه لرأس الثور في زمن عيسىٰ، ولو كان للدينار استعمال في زمن عيسىٰ أو قيمة لذكرها عليه الصلاة والسلام، ولكنه خصص قيمته بزمن أصحابه بقوله: "**خَيْراً مِنْ مِائَةِ دِيْنَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ**" فمعنىٰ هذا الحديث أن لرأس الثور زمن عيسىٰ قيمة لا يعرفها الصحابة، وهذه القيمة تساوي بما يعرفون أكثر من مائة دينار.

ولو لم يكن كذلك لكان التعبير بـ"**مِائَةِ دِيْنَارٍ**" كافية في فهم المعنىٰ ولا حاجة لزيادة "**لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ**" وقد انقرض التعامل بالدينار من زمن قديم، ولا يرجىٰ أن يعود الناس للتعامل به والله أعلم.

❊❊❊

## الحديث السابع عشر

في الصحيحين عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **" إِنَّ أَكْثَرَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللهُ لَكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ "**. قِيلَ : وَمَا بَرَكَاتُ الْأَرْضِ ؟ قَالَ : **" زَهْرَةُ الدُّنْيَا "**. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : هَلْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ ؟ فَصَمَتَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ ظَنَنَّا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَعَلَ يَمْسَحُ عَنْ جَبِينِهِ، فَقَالَ : **" أَيْنَ السَّائِلُ ؟ "**. قَالَ : أَنَا. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : لَقَدْ حَمِدْنَاهُ حِينَ طَلَعَ ذَلِكَ، قَالَ : **" لَا يَأْتِي الْخَيْرُ إِلَّا بِالْخَيْرِ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ، وَإِنَّ كُلَّ مَا أَنْبَتَ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ ، إِلَّا آكِلَةَ الْخَضِرَةِ، أَكَلَتْ حَتَّىٰ إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسَ فَاجْتَرَّتْ، وَثَلَطَتْ وَبَالَتْ، ثُمَّ عَادَتْ فَأَكَلَتْ، وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ حُلْوَةٌ، مَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ وَوَضَعَهُ فِي حَقِّهِ، فَنِعْمَ الْمَعُونَةُ هُوَ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ، كَانَ الَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ "**.

ولا شك أن هذه النعم العصرية تعتبر رحمة من الله لعباده، فتدخل دخولا أوليا في هذا الحديث، إن لم تكن هي المقصودة بذاتها أنها بركات الأرض، ويفسر هذ الحديث ما رواه ابن ماجه من حديث أبي الدرداء أَنَّ النَّبِيَّ صَلىٰ الله عَلَيهِ وسَلمَ قَالَ: **"وَالَّذِي نَفْسِيْ بِيَدِهِ لَتُصَبَّنَّ عَلِيكُمُ الدُّنْيَا صَبًّا حَتَّىٰ لَا يُزِيغَ قَلْبَ أَحَدِكُمْ إِزَاغَةً إِلَّا هِيَهْ"**

ولا تتضح دلالة حديث أبي سعيد إلا مع قوله تعالىٰ: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢﴾ [فَاطِر : ٢]

فالله تعالىٰ من رحمته أخرج للناس بركات الأرض المذكورة في الحديث خصوصا في عصرنا، ورحمة الله إذا فتحها لا ممسك لها، وإذا أمسكها لا مرسل لها، فما هو الدليل

الصريح الذي يمكن أن نخصص به هذه الآية، فنجزم من خلاله أن الله يمسك هذه النعم العصرية العظيمة التي هي أعظم بركات الأرض؟!

❊❊❊

## الحديث الثامن عشر

ما جاء في الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : **"يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَىٰ ثَلَاثِ طَرَائِقَ رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَىٰ بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةٌ عَلَىٰ بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَىٰ بَعِيرٍ، وَعَشَرَةٌ عَلَىٰ بَعِيرٍ، وَيَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا"**.

والشاهد **"وَعَشَرَةٌ عَلَىٰ بَعِيرٍ"** فأنىٰ لبعير واحد أن يحمل عشرة؟

قال الحافظ رحمه الله في شرح هذا الحديث: وإنما لم يذكر الخمسة والستة إلىٰ العشرة إيجازا واكتفاء بما ذكر من الأعداد مع أن الاعتقاب ليس مجزوما به ولا مانع أن يجعل الله في البعير ما يقوىٰ به علىٰ حمل العشرة. اهـ

فأنىٰ للحافظ ابن حجر أن يذكر إمكانية حمل البعير عشرة معا دون أن يوجد في الحديث ما يدل عليه؟ فليس في الحديث دليل علىٰ التعاقب كما ذكر، ولو كان ثمة تعاقب فإنه يستوي هؤلاء ومن بعدهم في السير، فكيف تدرك النارُ بقيتَهم، ويفوتها هؤلاء وهم في السير سواء؟ إلا إذا كان البعير غير البعير، ولا شك أن الأولىٰ في الشرع الجريُ علىٰ العادة والأسباب قبل اللجوء لخرقها بدون دليل شرعي، وعليه فإنه يمكن أن يحمل البعير علىٰ المركوبات العصرية التي لم يطلع عليها الحافظ ابن حجر

ولا غيره، كما حمل بعض أهل العلم النار المذكورة في هذا الحديث علىٰ نار الحرب وليس النار الحقيقية.

وسيأتي في الفصل الثامن إن شاء الله مزيد كلام علىٰ هذا الحديث.

❊❊❊

## الدليل التاسع عشر

قوله تعال: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنبياء : ٩٥ - ٩٦]

والشاهد كما هو ظاهر الآية أن قرىٰ الكفر لن ترجع للعلو في الأرض حتىٰ تفتح يأجوج ومأجوج وهم جميعا يسرعون في الأرض كلها، وقد فتحت يأجوج ومأجوج قبل القرن السادس الهجري تقريبا، وبدأ ضعف المسلمين وقوة الكافرين من ذاك الزمن حتىٰ زماننا، وسببوا الدمار علىٰ المسلمين وغيرهم، أما السرعة فقد بدأت تتحقق في هذين القرنين قرننا والذي قبله ووصلت في أيامنا لشيء فائق لا يتصور عند الأولين حتىٰ في الخيال، حتىٰ تتكامل القوة ليأجوج ومأجوج حين يخرجون علىٰ الناس زمن عيسىٰ، وسيأتي تفصيل الاستدلال بهذه الآية إن شاء الله في الفصل السابع المتعلق بيأجوج ومأجوج.

❊❊❊

## الباب الثاني في ذكر النقاش العقلي الذي يبطل فكرة زوال النعم العصرية

فمما لا شك فيه أن العقل الصريح لا يخالف الشرع الصحيح، وقد انقسم المنتسبون للإسلام في مسألة العقليات إلىٰ ثلاثة أقسام طرفين ووسط، أما الطرفان فأحدهما من مال إلىٰ سلب العقل قدرته التي مكنه الله منها، وميّز بها الإنسان عن غيره من الحيوان، فيجوّز الخرافات والأساطير التي عليها السادة والكبراء، أو الآباء والأجداد، ويتقبلها مسلما لمن جاء بها دون أدنىٰ نكير، ومن جنس هؤلاء أمم من الصوفية والرافضة وغيرهم من الهمج الرعاع الذين ما عندهم مسكة عقل في التمييز بين الحق والباطل والغي والرشاد، ممن ينقاد للمتبوعين كما تنقاد البهائم.

والطرف الثاني علىٰ العكس من ذلك تماما وهم من طغىٰ بالعقل فوق القدرة التي مكنه الله منها، فصاروا يخوضون فيما ليس لهم به علم، ويتحكمون في الأمور الغيبية التي لا يمكن أن يطلع عليها العقل بمفرده علىٰ حدود مداركه التي خلقه الله عليها، ومن جنس هؤلاء الفلاسفة والعقلانيون من أصحاب الكلام والمنطق الذين ذمهم السلف، حيث صاروا يحكمون علىٰ نصوص الشرع بعقولهم، فردوا كثيرا من دلالات النصوص الشرعية بحجة أن العقل لا يقبلها، وقد رد علىٰ هؤلاء شيخُ الإسلام ابن تيمية في كثير من رسائله، ومن أبرزها كتابه درء تعارض العقل والنقل، ورد عليهم غيره من أئمة الإسلام.

وأما الوسط فهم أهل السنة والجماعة وهم الذين يمشون مع العقل في حدود القدرة التي جعله الله فيها، فلا يميلون به للخرافات والخزعبلات التي لا يدل عليها الشرع، ولا يتسلطون به علىٰ أدلة الكتاب والسنة فيحكمون عليها به.

وإن من المسائل الحديثة التي لا يدل عليها الشرع دلالة صريحة مسألة زوال النعم العصرية قبل أحداث آخر الزمان، وقد تقدم معنا من الأدلة السمعية ما يثبت ما قررناه فيها، وسنذكر هنا إن شاء الله ما يدل علىٰ أن اعتقاد زوالها قبل أحداث آخر الزمان أقرب إلىٰ الخرافة منه إلىٰ الحقيقة الشرعية.

من ذلك أن الذي يعتقد زوالها مع كونه ليس عنده نص صريح في زوالها فهو لا يدري كيف ستزول، فبعضهم يقول: الله أعلم كيف ستزول، وبعضهم يزعم أن مذنبا فضائيا سيصيب الأرض ويسبب زوال هذه النعم بعد توقف التكنلوجيا الحديثة، وبعضهم يزعم أن الناس قد صنعوا قنبلة مغناطيسية تعيد الناس لما قبل مائتي سنة، وبعضهم يدعي أنها ستزول بسبب الحروب، وبعضهم يقول إن عاصفة شمسية تهدد الأرض وستذهب هذه التكنلوجيا الحديثة بضرب الأقمار الاصطناعية، وبعضهم يقول: إن زوالها بزوال النفط، وهلم جرا.

ولا يخفىٰ علىٰ عاقل أن هذه المزاعم لا تعدو كونها تخمينات وخرافات من جنس خرافات الصوفية والرافضة وغيرهم، وليس المقام مقام التفصيل في الرد علىٰ كل قول

منها، فإنه لا يقبلها عقل ولا يدل عليها شرع، وأحسن ما يكون فيها هو من رد أمرها لله عز وجل، وأنه لا يدري كيف ستزول.

ومما يدل علىٰ أن اعتقاد زوالها أقرب للخرافات التي يروّج لمثلها جهلة الصوفية والرافضة أن الذي يعتقد زوالها لا يستطيع أن يتصور كيف سيعيش الناس بعدها إذا زالت بصورة مفاجئة، فلا شك أن جل الناس سيموتون جوعا إن لم نقل كلهم لو فرضنا زوالها، لأن معيشتهم قائمة عليها، فإذا توقفت فجأة انعدم الطعام والشراب، ولا يتسنىٰ لبلدة من البلدان خصوصا ذات الكثافة السكانية أن توجِد الأسباب البديلة الموفرة للطعام والشراب كالزراعة مثلا، فإنه ليس عند الناس القدر المخزون الكافي من الطعام الذي يعيشون به حتىٰ يزرعوا ويحصدوا! علىٰ أن الزراعة ستكون من أصعب الأمور حيث لن يستطيع الناس استخراج الماء من بواطن الأرض إلا بكمية قليلة جدا بالكاد تكفي لطعامهم وشرابهم.

وأما من الاستيراد والتجارة، ففي حال حصول هذا فالعالم كله سيكون مشغولا بنفسه ولن يصدّر أحد حبة شعير.

والناس في هذه الحال بحاجة لفتح باب خوارق العادات التي تنقذ البشرية من هذه الكارثة المدمرة، وما أسهل اللجوء لهذا الباب عند كثير من المتفقهين من أرباب لعله سيكون ولعله...!

ومن تصور أنها ستزول ببطء فإن الناس في عصرنا لا يعتمدون علىٰ مصدر واحد لاستخراج الطاقة الحديثة، ولكن يعتمدون علىٰ وسائل كثيرة لا يمكن أن تزول إلا بزوال الدنيا، فالنعم العصرية ليست مقتصرة علىٰ النفط وحده! بل تعتمد علىٰ غيره أيضا من أمواج البحار، والرياح، والشمس، وغيرها من المصادر في استخراج الطاقة العصرية، والأسباب التي يستخرج منها الناس هذه الطاقة موجودة في أرض الله سبحانه وتعالىٰ في الجبال والرمال ولا يمكن أن يستهلكها الناس حتىٰ تزول الدنيا، فمتىٰ عساها ستزول الشمس وتنتهي البحار وتتوقف الرياح وينعدم التراب وتنتهي الجبال حتىٰ نعلق زوال النعم العصرية بزوالها؟

ومما يدل أيضا علىٰ خرافية هذه الفكرة أن وسائل الصناعات القديمة قد انقرضت تماما ولا تكاد توجد إلا في بعض المتاحف النادرة في بعض الدول خاصة، ولم يبق إلا المصنوعات، ولكنها جميعا تصنّع بوسائل حديثة، فإذا زالت هذه الوسائل الحديثة والنعم العصرية فسيزول معها كل شيء ولن يبقىٰ إلا الآدمي والحيوان والشجر، ولن يستطيع الناس أن يصنعوا شيئا جديدا حتىٰ إبرة مخيط ولا شفرة حلاقة، فضلا عن أدوات الزينة والآلات الحربية وغيرها، مما تفنن الأولون في صناعتها غاية التفنن عبر آلاف السنين، فالقول بزوال الوسائل العصرية فيه هلاك البشرية،لأنه ليس عندهم

وسائل قديمة ولا حديثة، فالقديمة قد انقرضت، والحديثة كما يزعمون قد زالت، وسيعود الناس إلىٰ زمن آدم عليه الصلاة والسلام! وهل يدل علىٰ هذا شرع أو عقل؟

فنربأ بعد هذا بطلاب العلم وشيوخ السنة من مجاراة الخرافيين في أساطيرهم وخرافاتهم التي تتنزه عنها الفطر السليمة، ونربأ بهم أن يتعسفوا في الجمود علىٰ بعض ظواهر النصوص الشرعية كما تجمد الظاهرية، كل ذلك لأجل الدفاع عن هذه الفكرة المحدثة، والحق أحق أن يتبع، ولا ينبل الرجل حتىٰ يتواضع للحق ويأخذه ممن هو فوقه وممن هو مثله وممن هو دونه، وخير للمسلم أن يأتيه الحق من أخيه المسلم ممن يثق في دينه وأمانته فيأخذه ويتمسك به رافعا به رأسه، من أن يأتيه من بعض المخالفين والمضادين للحق وأهله، وقد جرت سنة الله أن الحق لا يأتي من أهل البدع والضلال، فيتفردون بنصرته والدفاع عنه دون أهل السنة.

❊❊❊

## الفصل الخامس
## ما يتعلق بالدجال واستعانته بالنعم العصرية.

فمن سنة الله في عباده أن يدعوهم إلىٰ عبادته، ويبين لهم سبل الهداية علىٰ يدي أنبيائه، ويعطيهم من الآيات والمعجزات ما مثله آمن عليه البشر، لئلا يكون للناس علىٰ الله حجة بعد الرسل.

والله تعالىٰ جعل أسبابا للهداية وأسبابا للضلالة، فبينها للناس حق البيان، وإن من أسباب الهداية ما أجراه علىٰ يدي أنبيائه ـ مع ما جبلهم عليه من حسن الخلق والسلامة من النقائص والمعايب التي لا تليق بمقام النبوة ـ من المعجزات الخارقة للعادات، التي تدل علىٰ صدقهم، وعلىٰ أن ما جاءوا به هو الحق من عند الله سبحانه وتعالىٰ.

فأخبر عن نفسه عز وجل فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥﴾ [يُونُس : ٢٥] فالله تعالىٰ يدعو بكلامه، ويدعو بأفعاله، فكلامه الكتب المنزلة علىٰ رسله، وأفعاله إرسال الرسل وبيان صفاتهم وبيان صفات أعدائه المتشبهين بهم. فليس من حكمة الله تعالىٰ إضلال الناس وصرفهم عن الحق بالأسباب والمعجزات الخارقة للعادات التي جرت علىٰ يدي الأنبياء وكانت سببا في هداية الخلق، بأن يجريها علىٰ يدي أعدائه كما يتوهم البعض.

ونخصص الكلام هنا في المسيح الدجال الذي حذرنا منه نبينا صلىٰ الله عليه وسلم، وأمرنا أن نستعيذ منه في كل صلاة.

وإننا نقرر فيه مقالَ الإمام الطحاوي رحمه الله حيث قال عنه بعد أن ذكر بعضا مما ينسب إليه من خوارق العادات: **إن هذه الأشياء إنما تكون منه علىٰ جهة السحر الذي**

**يخيل إلىٰ من لحقه ذلك السحر أنها حقائق، وليست بحقائق، وفي هذا الباب أيضا آثار كثيرة من هذا الجنس تركنا شيئا منها خوف طول الكتاب بها، ترجع معانيها التي فيها إلىٰ معاني ما ذكرناه، وأن ذلك كله علىٰ السحر لا علىٰ الحقيقة، ونعوذ بالله من ذلك.**

اهـ من شرح مشكل الآثار للطحاوي.

ومقالَ العلامة السعدي رحمه الله حيث قال عنه في رسالته المتعلقة بالدجال: **ومما يؤيد أن العلوم العصرية المتنوعة هي من خوارق الدجال ما تقدم في حديث النواس بن سمعان**...الخ كلامه رحمه الله.

وسنورد إن شاء الله تعالىٰ من النصوص الشرعية ما نثبت فيه أنه يستعين علىٰ باطله إما بالسحر وإما بالعلوم والصناعات العصرية ونحوها.

وإنه قد أشكل أمره علىٰ كثير من المتقدمين بسبب عدم معرفتهم بما قدره الله في زماننا من النعم والأسباب العادية التي لا يعرفها الأولون، ولو أُخبروا بها لجزموا بأنها من خوارق العادات التي لا تجري علىٰ الأسباب العادية.

فلو أخبر النبيُّ عليه الصلاة والسلام بأن الدجال يطير في الهواء ويكلم أتباعه ويكلمونه مهما تباعدت أجسامهم حيثما كانوا من الأرض، ويراهم ويرونه كذلك، وأنه يرىٰ في الليل كما يرىٰ في النهار، وغير ذلك من الأمور الجارية علىٰ الأسباب العادية في هذا العصر لجزم الأولون بأن هذه خوارق للعادات، ولن يقول أحد منهم بأنها مبنية علىٰ الأسباب والصناعات العلمية الدنيوية، والعارف منهم ربما نسب كل ذلك للسحر كما فعل الإمام الطحاوي رحمه الله، لأنه يُستحال في زمنهم فعل هذه الأمور بحسب العادة وبذل الأسباب، ولا لوم عليهم، لكن اللوم علىٰ من عاصر ما أنعم الله به علىٰ أهل هذا

العصر من أصناف النعم والمنن مما لا يحسبه الأولون إلا من خرق العادة، التي تكون إما بسحر السحرة، وإما بكرامات الأولياء، وإما بمعجزات الأنبياء، ثم يريد أن ينفيها عن الدجال ويجمد علىٰ ما خفي علىٰ الأولين معرفتُه من الأسباب العادية في زمانهم، ويثبت للدجال من الخوارق نظير ما مع أنبياء الله تعالىٰ!

وقد جعلتُ هذا الفصل عدة أبواب، فأبدأ مستعينا بالله تعالىٰ بذكر الباب الأول وهو قواعد عامة من أصول الإسلام تشهد لما قررناه في حق المسيح الدجال، نرد بها علىٰ بعض من ساءهم ما كتبناه وقررناه في حق الدجال وكأننا عندهم ما نتكلم إلا في حق نبي من الأنبياء وليس في دجال البشرية!

❊❊❊

# الباب الأول
# قواعد عامة من أصول الإسلام تبين حقيقة الدجال
## القاعدة الأولى

أن الله تعالىٰ وحده يحيي الموتىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ١١٦﴾ [التَّوْبَة : ١١٦] وقال: ﴿هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٥٦﴾ [يُونُس : ٥٦] وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٨٠﴾ [المُؤْمِنُون : ٨٠] وقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨﴾ [الدُّخَان : ٨]

ولا يمكن الخروج من هذه القاعدة إلا بأدلة صريحة واضحة.

والدجال بين ثلاثة أمور:

الأول أنه يخلق مع الله تعالىٰ، وفيه مضادة صريحة لهذا الأصل العظيم من أصول الدين، ومن اعتقد هذا وقع في الشرك والكفر، لأنه معلوم من الدين ضرورة.

والأمر الثاني أن الله جعل المَلائكة الموكلين بقبض الأرواح والنفخ فيها تحت أمر الدجال حين يحيي ذلك الشاب، وأن ملك الموت حين قبض روح ذلك الشاب لم يسلمها لملائكة الرحمة أو لملائكة العذاب، ولكنه سلمها لملك يعيدها في جسدها، فيكون الدجال حين يحيي ذلك القتيل بمنزلة عيسىٰ حين يخرج الموتىٰ، والفاعل حقيقة هو الله تعالىٰ لكنه أجراها علىٰ يد الدجال.

والأمر الثالث أن الدجال يفعل هذه الأمور فيما يبدو للناس لا غير، وأن هذا هو الأليق بحاله من السحر والدجل.

وحقيقة الأخبار التي تتحدث عن الدجال تدل علىٰ الثالث، فليس هناك دليل صحيح صريح أن الله مكّن الدجال من إحياء الشاب بعد قتله، وأن الدجال يفعل ذلك بإذن الله كما فعل عيسىٰ، ومن زعم وجود الدليل فليأت به ولن يستطيع لذلك سبيلا، إلا مجرد الإخبار عن الدجال أنه يفعل كذا وكذا... ولا يلزم أن تكون هذه الأخبار علىٰ وجه الحقيقة إلا علىٰ مذهب الظاهرية المذموم، الذين شابهوا الجبرية في نسبة أفعال العباد لله، فينسبون الأفعال لله تعالىٰ، ويجردون المخلوقين من أفعالهم، وهنا نسب النبي عليه الصلاة والسلام قتل الشاب وإحياءه للدجال، وإخواننا يقولون: لا، إنما يفعل هذا الله.

فجرَّدوا الدجال من أفعاله المنسوبة إليه ونسبوها لله، كما جردت الجبرية العباد من أفعالهم ونسبوها لله.

فإذا تبين هذا لم يبق إلا أحد أمرين: إما أن الدجال يقوم بها حقيقة، وهذا شرك بالله تعالىٰ لا يجوز اعتقاده، وإما أنه يقوم بها علىٰ وجه الخداع والسحر وهذا هو المتعين، كما هي سنة الدجاجلة سلفا وخلفا.

لكن هان علىٰ المنكرين عليّ مناقضة أصل التوحيد من تفرده سبحانه وتعالىٰ بإحياء الموتىٰ، وهان عليهم تشبيه الدجال بعيسىٰ من حيث إحياء الميت كل ذلك حفاظا علىٰ هذه الظاهرية، فيا لله العجب!

❊❊❊

## القاعدة الثانية

أن من مات من هذه الأمة لا يرجع، ولو رجع أحد لرجع عبدالله بن حرام والد جابر حين كلمه الله كفاحا، ولرجع ذلك الأنصاري الذي قتلته الحية حين سألوا النبي عليه الصلاة والسلام أن يحييه لهم، روىٰ الترمذي عن جابر بن عبدالله أن النبي عليه الصلاة والسلام قال له: **"مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابِهِ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا ، فَقَالَ : يَا عَبْدِي، تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ. قَالَ : يَا رَبِّ، تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً. قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ : إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ لَا يُرْجَعُونَ"**.

فما بال قتيل الدجال يرجع؟ وما هو المخصص لهذا **"إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ لَا يُرْجَعُونَ"**؟

***

## القاعدة الثالثة

أن الله تعالىٰ وكّل ميكائيل بالمطر، فلا ينزل إلا بإذن الله، ولا يعلم متىٰ نزول المطر إلا الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ٣٤﴾ [لُقْمَان : ٣٤] فهذه الخمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **" مِفْتَاحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ، لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي غَدٍ، وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي الْأَرْحَامِ، وَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَمَا يَدْرِي أَحَدٌ مَتَىٰ يَجِيءُ الْمَطَرُ "** وفي حديث أبي هريرة **"إِذَا وَلَدَتِ الْأَمَةُ رَبَّهَا فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا كَانَتِ الْعُرَاةُ الْحُفَاةُ رُءُوسَ النَّاسِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رِعَاءُ الْبَهْمِ فِي الْبُنْيَانِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ"**، ثُمَّ تَلَا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ٣٤﴾ [لُقْمَان : ٣٤]

وبوب عليه البخاري بَابٌ : لَا يَدْرِي مَتَىٰ يَجِيءُ الْمَطَرُ إِلَّا اللهُ. وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **"خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ"**.

فمن خصائص الله أنه ينزل الغيث، وقد سار المسلمون علىٰ هذا من زمن السلف، ولم يذكر أحد منهم أن عموم هذه الآية مخصص بالدجال، ولم يذكر أحد من المفسرين هذا عند هذه الآية قط، وأن الدجال ينزل الغيث مع الله تعالىٰ، أو أنه حتىٰ يعلم متىٰ

ينزل المطر، وهذا العلم قد أخبر الله أنه لا يطلع عليه أحدا إلا من ارتضىٰ من الرسل، فهل صار الدجال رسولا أو في مقام الرسل؟ وهل يخلف الله تعالىٰ وعده آخر الزمان حين يطلع الدجال علىٰ وقت نزول المطر بل يجعله تحت تصرفه؟ وقد قال ربنا عز وجل: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ٢٧﴾ [الجن : ٢٦ - ٢٧] وقال عز من قائل: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عِمۡرَان : ١٧٩] فهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين؟

❊❊❊

## القاعدة الرابعة

أن أمر الدجال من علم الغيب، فلا يُقبل فيه إلا ما صح عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، إما بنص مرفوع، أو استنباط صحيح، وما عدا ذلك فهو مردود علىٰ صاحبه كائنا من كان، وليس هناك من قوله وفهمه حجة بنفسه لا من المتقدمين ولا من المتأخرين، لا بنفي ولا بإثبات، فلا ننفي إلا بنص مرفوع، ولا نثبت إلا بنص مرفوع

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾

[الإسْرَاء : ٣٦]

ولا يمكن القول بظواهر بعض الأدلة مع وجود المعارض لها من المقاصد الشرعية والنصوص الثابتة حتىٰ تفصل المسألة، فكيف بأفهام فهمها بعض المتأخرين عن زمن الوحي إذا عارضت مقاصد الشريعة وقواعد الإسلام؟

وإن الجزم من بعض المتأخرين عن الصحابة بتفسير بعض النصوص المتعلقة بالغيب لا يقبل منهم إلا بتوقيف من الشرع، فلا يعتبر تصريح بعض المتأخرين في مسائل الغيب فهما للسلف، بل يحتاج هذا المتأخر إلىٰ سلف من الصحابة أو دليل يبين أن المراد ما ذهب إليه.

وللأسف فقد صار بعض إخواننا ربما يتشبث في تفسير النصوص المتعلقة بالغيب ببعض أقوال المتأخرين عن زمن الصحابة ويظنها سلفا كافيا للحجية وهو واهم، فإن السلف هم أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام، وكل من جاء بعدهم مفسرا

النصوص الشرعية باجتهاده فهو بحاجة لدليل أو سلف من الصحابة، ولا يكون مجرد قوله حجة، كان في القرن الثاني أو الثالث الهجري، فضلا عمن يأتي في القرن الرابع أو الخامس أو السابع والعاشر فقوله أحوج للدليل من غيره، والمحزن أن يأتي بعض إخواننا ممن يلفلف أقوال بعض الشراح المتأخرين من المفسرين أو غيرهم ثم يرفع بها رأسا أنه نقل عن السلف، فمن سلفك يا مسكين؟ هؤلاء الذين تلفلف أقوالهم وتتشبع بها قد قال شيخ الإسلام ابن تيمية واصفا لهم كما في مقدمة أصول التفسير كما تقدم معنا: فإن الكتب المصنفة في التفسير مشحونة بالغث والسمين، والباطل الواضح والحق المبين. اهـ

ونقل القرطبي في تفسير سورة الحج عن القاضي عياض في توهين قصة الغرانيق التي يذكرها المفسرون في سورة النجم قوله: أما المأخذ الأول فيكفيك أن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواه بسند صحيح سليم متصل ثقة، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم. اهـ

وقال الإمام السعدي رحمه الله في تفسير سورة النمل: وهذه التفاسير التي توجد وتشتهر بها أقوال لا يعرف غيرها، تنقل هذه الأقوال عن بني إسرائيل مجردة، ويغفل الناقل عن مناقضتها للمعاني الصحيحة وتطبيقها علىٰ الأقوال، ثم لا تزال تتناقل

وينقلها المتأخر مسلما للمتقدم حتىٰ يظن أنها الحق، فيقع من الأقوال الردية في التفاسير ما يقع. اهـ

فرحم الله أئمتنا رحمة واسعة، ما كان أخبرهم وأبصرهم بتصانيف من سبقهم، فإلىٰ الله المشتكىٰ ممن أخذ الغث والسمين وجعله منهجا للسلف الصالحين، ثم تراه يعلن العداوة والتصدي لمن سبر هذه الأقوال ورد سقيمها وحرر صحيحها، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وإنه لا يخلو عصر من العصور المتأخرة من أمثال هؤلاء الذين ينشطون لمعارضة ما لا يعلمون من الحق فيتسببون بنشره بين الناس بعد أن كان خامدا.

وإذا أراد الله نــشر فضــيــلــة طويت أتاح لهــا لســان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

فألله ألله يا مشايخنا الكرام ويا إخواننا الفضلاء أن يكون البعض منكم سالكا مسلك هؤلاء وهو لا يشعر.

❊❊❊

## القاعدة الخامسة

أن النبي عليه الصلاة والسلام حذرأمته مما يشاهدونه مع الدجال من الشبهات التي يَفتن بها الناس، وعليه فإنه لم يتعرض عليه الصلاة والسلام ولا أحد من الصحابة عن الإخبار عن حقيقة ذلك في نفس الأمر، هل هو من السحر والتمويه؟ أم أنه حقائق يخلقها الله تعالىٰ للدجال؟ إلا في جنة الدجال وناره.

ومن زعم التعرض للحقائق فنقول ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البَقَرَة: ١١١]

فالنبي عليه الصلاة والسلام حذر الناس مما يرونه هم، لا مما يعلمه الله تعالىٰ من الحقائق، فكون هذه الأمور تنسب للدجال فذلك باعتبار أن الناس يشاهدونها منه كذلك، والنبي عليه الصلاة والسلام حذر الناس مما يشاهدونه حتىٰ لا يفتنوا به، لا لكونها حقيقة في نفس الأمر، ومن ادعىٰ الحقيقة فلأنه أجرىٰ الألفاظ علىٰ ظاهرها وكأنه ليس ثمة نصوص شرعية تتصادم مع هذا الظاهر! فاللفظ يُجرَىٰ علىٰ ظاهره إذا لم يتصادم مع نص آخر، كيف وهو هنا يصادم أصل الإسلام والتوحيد؟

هذ إذا سلمنا له أن فهمه هو الظاهر، وإلا فالظاهر من كل الأحاديث الصحيحة الواصفة للدجال في هذه القضية أنه يخلق مع الله تعالىٰ بنفسه، فهذا هو الظاهر.

وحتىٰ نقيم الحجة أكثر نوجه لإخواننا الفضلاء هذا السؤال وهو: هل المقصود من قصة الدجال تحذير المسلمين مما يشاهدونه بأنفسهم مع الدجال، أو أن المقصود تبليغ المسلمين حقيقة الدجال كما يصف الله تعالىٰ حقائق الجنة والنار؟

وأي هذين المقصدين يتوافق مع أصول الإسلام ومقاصد الشريعة، وأيهما يناقض أصول الإسلام ومقاصد الشريعة؟

لا شك أن الذي يتوافق مع أصول الدين هو الأول، وأن الشرع حذر المسلمين من صفات الدجال التي يدجل بها علىٰ الناس، لا أنه أخبر عن حقائق ما مع الدجال كما يخبر عن حقائق الجنة والنار، لأن ذلك يتصادم مع أصول الدين من تفرد الله بإحياء الموتىٰ وعلم الغيب الذي ينزل الله به الغيث وغير ذلك؟

❊❊❊

## القاعدة السادسة

أن سحر السحرة بذاته يظهر بصورة الحقيقة ولا يستطيع معرفته حتىٰ كبار العلماء قال الله تعالىٰ عن كليمه موسىٰ: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ [طه : ٦٦] لكن يظهر بالقرائن صدق الأنبياء ومعجزاتهم، وكذب السحرة والدجالين.

فإنه والله أعلم لما كان الدجال ذا سرعة عظيمة لا يقر في بلد تعسر حينها النظر للقرائن التي تبين باطله، فجعل الله فيه أوصافا ملازمة له تدل علىٰ كذبه، يعرفه المؤمنون والعقلاء بها.

فهذا من حكمة الله تعالىٰ أن جعل للدجال علامات من خلقته ملازمة له، فهو أعور قطط الشعر مكتوب بين عينيه كافر.

وهذا كما تقدم بسبب سرعته، فإنه لا يمكث مع الناس حتىٰ يتبين لهم من واقعه الصدق أو الكذب، كما هي سنة الله في أوليائه وأعدائه، حين يُعرفون بالقرائن، فيتبين صدق الصادق وكذب الكاذب.

فقد كان فرعون وغيره من جبابرة الأرض من أهل العتو والفساد أشد ظلما وجورا من الدجال، ومع هذا لم يحذر منهم الأنبياء قبل مجيئهم، ولم يجعل الله لهم أوصافا دميمة وعلامات يعرفون بها كالدجال، وذلك لطول مكثهم في الناس، حيث يتبين كذبهم وباطل دعواهم والله أعلم.

فإن الكاذبين من أدعياء الربوبية أوالنبوة وغيرهم لا يدّعونها إلا عند من يعرفهم، وربما أحسن بهم الظن لأجل مصالح دنيوية من العوام والجهلة وغيرهم، ثم يجدون لهم أتباعا مع كثرة الدعوة والأسباب التي تمكن لهم حتىٰ يفتضحوا فيما بعد.

أما الدجال فظهوره يكون في أمة اليهود ولا يمكث إلا أربعين يوما يطوف فيها بلاد الإسلام كلها، بسرعة عظيمة، فلا يتهيأ لأحد النظر إلىٰ القرائن التي تثبت كذب الدجال، إلا ما كان من العلامات ملازما له مما وصفه به النبي عليه الصلاة والسلام، فإنه يمر علىٰ الحي فيدعوهم ثم ينصرف عنهم إلىٰ غيرهم ولا يرجع إليهم حتىٰ يقتله عيسىٰ عليه الصلاة والسلام.

علىٰ أنه لم يقع قط في هذه الأمة أن أحدا ادعىٰ الربوبية وصار له الأتباع، وذلك لقوة الإسلام وعلم الناس بأن الله تعالىٰ هو الخالق المالك المدبر، حتىٰ الدجالون الثلاثون الذين أخبر عنهم النبي عليه الصلاة والسلام أنهم سيظهرون في هذه الأمة فإن حسبهم أن يدعوا النبوة، وليس فيهم من يدعي الربوبية، كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: "**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيْبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ**" ولهذا والله أعلم سمي المسيح الدجال بالدجال الأكبر، لأنه كبير الدجاجلة الذي ادعىٰ من الكذب ما لم يسبقه إليه غيره، وتيسر له من أسباب الملك والتمكين ما لم يتيسر لهم، ولم يوصف بالدجال الأكبر لأن معه مثلما مع رسل الله عليهم صلوات الله وسلامه، فهو خاسئ لن يعدو

قدره، ولذلك لم يذكره الله في القران لأنه "**أَهْوَنُ عَلَىٰ اللهِ مِنْ ذَلِكَ**"كما في الصحيحين عن المغيرة، فهو أحقر وأذل من أن يذكره الله في القران بذاته والله أعلم.

لكن حين يتطاول الزمن ويكثر الشر، كما ثبت عن أنس رضي الله عنه مرفوعا أنه لا يأتي علىٰ الناس زمان إلا الذي بعده شر منه، وحين يرفع العلم ويكثر الجهل، كما صح في أشراط الساعة، يتسنىٰ للدجال القيام بهذه الدعوىٰ التي لم يتجرأ عليها أحد قبله من الدجاجلة في هذه الأمة.

❊❊❊

## القاعدة السابعة

أن المسيح الدجال كافر كاذب ساحر مموه، لا يعرف الصدق في قول ولا فعل، فهو أعظم دجال عرفته البشرية.

ومن زعم أن خوارقه حقيقية فقد نسبه للدجل وخصه به لصفة لم ينفرد بها بنفسه بل شاركه فيها غيره، وإلا ما هو الدجل الذي سمي الدجال دجالا لأجله؟

فإن قالوا دعوىٰ الربوبية، فقد ادعاها أقوام قبلُ ولم يوصفوا بالدجل، كفرعون، بل ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤﴾ [القَصَص : ٤] ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤﴾ [النَّازِعَات : ٢٤] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٣٨﴾ [القَصَص : ٣٨]

وإن قالوا صار دجالا بسبب ما عنده من الخوارق، فهذا لا يستقيم لهم لأنها عندهم حقائق، ليست دجلا ولا كذبا ولا تمويها، وقد أخبر نبينا عليه الصلاة والسلام عن ظهور الدجالين في هذه الأمة ولم يخبر أن معهم من أنواع الدجل كما أخبر عن هذا الدجال الأكبر كما في الصحيحين عن أبي هريرة "**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ**" وسماهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بهذا الاسم (**دَجَّالُونَ**).

وإن قالوا إنهم لا يدرون ما سبب هذه التسمية، فهذا بسبب الجهل الذي يجعل صاحبه يلزم السكوت ولا يعترض علىٰ من آتاه الله من فضله.

فالشرع سمىٰ الدجال دجالا وذكر سيرته التي تمثل فيها الدجل بأقوىٰ صورة عرفتها البشرية.

ولا يستطيعون القول إن الله أكرم الدجال بما أكرم به أنبياءه من المعجزات ولكنه كفرها واستغلها لدعواه الربوبية لنفسه فصار دجالا لهذا.

***

## القاعدة الثامنة

أن الله تعالىٰ لما نسب إحياء الموتىٰ لغيره حقيقة قيده بكونه بإذن الله، قال الله تعالىٰ عن عيسىٰ: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عِمۡرَان : ٤٩]

﴿وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ﴾ [المَائِـدَة : ١١٠]

فلما كان إحياء عيسىٰ للموتىٰ علىٰ وجه الحقيقة وهو من خصائص الله تعالىٰ أخبر عيسىٰ عن نفسه أنه يفعل ذلك بإذن الله، وأخبر الله عن عيسىٰ أنه يفعل ذلك بإذنه، ولما كان فعل الدجال علىٰ وجه السحر والدجل نسبه النبي عليه الصلاة والسلام للدجال مجردا، ولم ينسبه لله تعالىٰ.

والله تعالىٰ خالق العباد وأفعالهم، لكن الشر لا ينسب لله تعالىٰ، فلا يصح نسبة الكفر والشرك والسحر والمعاصي لله تعالىٰ إلا علىٰ مذهب الجبرية، وهذا نقوله ردا علىٰ بعض من زعم وقوعنا في سقطة معتزلية حين لم ننسب الشر لله تعالىٰ، لما قلنا إن الدجال يفعل ما يفعل بنفسه.

❊❊❊

## القاعدة التاسعة

فتنة الأئمة المضلين أخوف علىٰ هذه الأمة من الدجال.

لقوله عليه الصلاة والسلام "**غَيرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُني عَلِيكُم**" عن النواس في مسلم، وعَنْ حُذَيْفَةَ ، قَالَ : ذُكِرَ الدَّجَّالُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ : " **لَأَنَا لِفِتْنَةِ بَعْضِكُمْ أَخْوَفُ عِنْدِي مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ**" رواه أحمد، وعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **إِنَّمَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ** " رواه أبو داود والترمذي.

فما هي فتنة الأئمة المضلين بجانب فتنة الدجال بالوجه الذي يتصوره بعض إخواننا حتىٰ يخاف نبينا عليه الصلاة والسلام فتنتهم علىٰ أمته أكثر من خوفه من الدجال؟

فهذا يدل علىٰ أن فتنة الدجال فتنة عادية كالفتن المعروفة لكنها أكبر الفتن، لا أنها فتنة خارقة تبلغ مبلغ معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فصارت فتنة الأئمة المضلين بمجموعها أعظم وأخوف من فتنة الدجال، وحطب جهنم من ضحايا الأئمة المضلين أكثر من ضحايا الدجال ولا مقارنة.

❊❊❊

## القاعدة العاشرة

أنه لا ينبغي لأحد بعد سليمان عليه الصلاة والسلام أن يملك كملكه لا الدجال ولا غيره.

وفي حال حملنا ما مع الدجال علىٰ الحقائق التي يمكنه الله منها فإن الدجال لن يكون في ملك كملك سليمان فحسب، بل سيكون ملكه أعظم من ملك سليمان، فسليمان سخر الله له الريح، وهذه الريح يوجد نظيرها مع الدجال حيث يسرع هو وجنوده الآلاف المؤلفة كالغيث استدبرته الريح، والناس في زمانه علىٰ زعم إخواننا يمشون علىٰ الخيل والإبل! بل سيفوق ملكُ الدجال ملكَ سليمان بأنه ينزل المطر وينبت الأرض ويحيي الميت ويستخرج كنوز الأرض بكلمة، وهذه لم يقدر عليها سليمان عليه الصلاة والسلام ولا عشر معشارها، وحسبه أن الشياطين تبني له البنايات وتستخرج له الدر من البحر، وفي هذا مناقضة صريحة لقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥﴾ [ص: ٣٥]

فتعين أن الذي مع الدجال عبارة عن دجل وتمويه وأسباب عادية يعرفها الناس، وليس خرقا للعادة حقيقة كالذي مع سليمان وغيره من الرسل، فسرعة الدجال إنما هي بوسائل وأسباب كهذه الأسباب العصرية التي لا توازي ريح سليمان ولا تدانيها، وهكذا يقال في المطر والنبات والكنوز وإحياء الميت ما سيأتي تقريره إن شاء الله تعالىٰ.

❊❊❊

## القاعدة الحادية عشر

أكثر الأحاديث الثابتة في الصحيحين وخارجها جاءت عن جمع من الصحابة منهم المغيرة وأبو هريرة وأبو سعيد وأنس وأبو بكرة وابن عباس وعائشة وحذيفة وأبو مسعود وغيرهم، كلها تصف الدجال بالهوان والخسة والحقارة والدمامة، بل إن أصح حديث فيما أعلم ورد عن الدجال هو حديث المغيرة: مَا سَأَلَ أَحَدٌ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الدَّجَّالِ مَا سَأَلْتُهُ، وَإِنَّهُ قَالَ لِي : " **مَا يَضُرُّكَ مِنْهُ** ؟ ". قُلْتُ : لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّ مَعَهُ جَبَلَ خُبْزٍ وَنَهَرَ مَاءٍ. قَالَ : " **هُوَ أَهْوَنُ عَلَىٰ اللهِ مِنْ ذَلِكَ** " فهذه أوصاف محكمة من شرع الله، جاءت في وصف هذا الدجال المارق.

وبالمقابل ورد في بعض الأحاديث القليلة أن معه أشياء خارقة، تتصادم ظواهرها المطلقة مع تلك الأوصاف المحكمة في الدجال.

فالعجب كل العجب أن يُعرض ولا يُلتفت لدلالة أكثر الأحاديث المحكمة الثابتة في الدجال في بيان حقيقة حاله! بينما يعول علىٰ تلك الظواهر الخارقة، حتىٰ تُحمَل عليها دلالاتُ كلِّ الأحاديث المحكمة الواصفة للدجال، وترد دلالتها لأجلها حتىٰ يتحقق للدجال عندهم خرق العادة علىٰ الحقيقة، لا كشأن السحرة والدجاجلة من الاستعانة علىٰ باطلهم بخرق العادة،! كما هو صنيع كثير من الشراح المتأخرين الذين أشرنا لهم في هذا الكتاب.

فالدجال جاء وصفه في السنة بنوعين من الوصف: الأول التحقير والتهوين من أمره، وهو الأكثر في السنة.

والثاني ذكر بعض خوارقه، وهي أحاديث قليلة جدا مقارنة بالنوع الأول.

فهل الأولىٰ حمل دلالات الأحاديث الكثيرة الثابتة في وصفه علىٰ القليلة منها، وتأويل الأحاديث الكثيرة المحكمة وطرح دلالاتها لأجل أن توافق ما جاء ذكره من الخوارق؟

أو أن الأولىٰ حمل أدلة الخوارق علىٰ ما جاء من حقيقة وصف الدجال، وتأويل الخوارق بما يوافق دلالات النصوص المحكمة الكثيرة الواصفة له، وأنه دجال شأنه شأن الدجاجلة قبله؟

لا شك أن الجمع بين أدلة الشرع أولىٰ من مصادمتها ورد بعضها، وأن السير علىٰ مقاصد الشريعة والسنن الشرعية والكونية أولىٰ من الإتيان بطريقة جديدة ليس لها نظير متقدم من سنن الله في عباده، ولا يمكن رد الأحاديث الواصفة لحقيقة الدجال من كونه أهون علىٰ الله، وأنه أعور قطط، ومكتوب بين عينيه كافر، وأن أتباعه أخس الأمم وأجبنها من اليهود، لأجل ما ذُكِر معه من الخوارق التي يجري بعضها في عصرنا جريان الأسباب مع المسببات لا جريان معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، والبقية منها يجري جريان خوارق السحرة والمشعوذين!

فتلك الأوصاف الكثيرة الواردة في الدجال من المحكم الذي لا يجوز القول بغيره، وهذه الخوارق تعتبر من المتشابه الذي يجب رده إلىٰ المحكم.

وعلىٰ هذا يكون المراد من تعظيم فتنة الدجال علىٰ ما ذكر أهل العلم أنه جُعل مثالا للشر، وأنه لا يخلو زمن من الأزمان من وجود أمثاله من الدجاجلة، فاحتاج كل مسلم أن يستعيذ بالله منه ولو لم يدرك زمانه، لأنه إذا حذره المسلم كان لما سواه أشد حذرا.

وإذا حُمِلت الأحاديث الواصفة للدجال بخرق العادة علىٰ حقيقتها فإنه لا مناص من مصادمتها لكثير من النصوص المحكمة التي هي أصح منها في وصف الدجال كحديث المغيرة وغيره، ولا شك أن رد المتشابه إلىٰ المحكم والتأويل بما يوافق مقاصد الشريعة وأصول الإسلام أولىٰ من المصادمة والله أعلم.

❊❊❊

## الباب الثاني
## بعض الدلائل التي تبين دجل الدجال وسحره وأنه ليس بشيء وهو أهون على الله أن يجعل على يديه ما جعله على يدي أنبيائه.
### الدليل الأول

ما في الصحيحين عن الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ : **مَا سَأَلَ أَحَدٌ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الدَّجَّالِ مَا سَأَلْتُهُ، وَإِنَّهُ قَالَ لِي : " مَا يَضُرُّكَ مِنْهُ ؟ ". قُلْتُ : لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّ مَعَهُ جَبَلَ خُبْزٍ وَنَهَرَ مَاءٍ. قَالَ : " هُوَ أَهْوَنُ عَلَىٰ اللهِ مِنْ ذَلِكَ ".**

وشاهدنا منه أن الدجال أهون علىٰ الله من أن يعطيه جبل الخبز ونهر الماء، وهو أهون من أن يهتم به المغيرة هذا الإهتمام.

فإذا هان أمره علىٰ الله أن يعطيه جبال الخبز وأنهار الماء حقيقة علىٰ غير عادة أهل عصره فلَهوانُه أن تجري علىٰ يديه الخوارق التي جرت علىٰ يدي الأنبياء أولىٰ من ذلك.

وشاهد آخر أنه إذا اشتد خوف المغيرة لكون الدجال يملك جبل الخبز ونهر الماء دون الناس فلئن يشتد خوفه من غيرها مما معه مما لا يجري إلا علىٰ يدي نبي من المرسلين من باب أولىٰ لو كانت حقيقة، وكان أمره عند الله عظيما حتىٰ يعطيه هذا!

لكنه **"أَهْوَنُ عَلَىٰ اللهِ مِنْ ذَلِكَ"**.

وبالنظر إلىٰ واقع الحال فليس من خوارق العادات في زماننا جبال الخبز ونهر الماء، فوسائل الناس في هذا العصر الحديث في النقل والصناعة، يتمكن الناس من خلالها من صناعة الكم الهائل من الطعام والشراب ونقله حيثما أرادوا من بقاع الأرض بالطائرات العملاقة، والبارجات البحرية العظيمة، والقواطر البرية الكبيرة وهو معلّب ومحفوظ من التلف والنتن ما لا يخطر مثله علىٰ بال عند الأولين الذين لم يشاهدوا ما أنعم الله تعالىٰ به علىٰ أهل هذا

العصر، ولو كُشِفَ لهم عن شيء من هذا وبلغهم عنه أثارة من علم لجزموا بأنه من الخوارق التي لا يقدر عليها إلا الله تعالىٰ بأفعاله الخاصة التي لم يجعل للناس أسبابا للوصول إليها. ولو انفرد بامتلاكها في زماننا البعض دون البعض فليس هذا خرقا للعادة ولكنه شيء تعارف عليه الناس، ولكل دولة قوتها وسطوتها.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾﴾ [الشُّورَى : ٣٢] وقال: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرَّحْمَن : ٢٤]

قال ابن كثير في تفسير الآية: ﴿كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ أي : كالجبال في كبرها، وما فيها من المتاجر والمكاسب المنقولة من قطر إلىٰ قطر، وإقليم إلىٰ إقليم، مما فيه من صلاح للناس في جلب ما يحتاجون إليه من سائر أنواع البضائع.اهـ

وهكذا ورد في القران ذكر الجبال من السحاب في السماء، فهل يلزم أن تكون من الحجارة كجبال الأرض أو أن المقصود مجرد التشبيه وكل بحسبه؟ قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾ [النُّور : ٤٣]

لا شك أن جبال البرد في السماء تختلف عن جبال الحجارة في الأرض بلا مقارنة!

وأيضا شبه الله أمواج البحر بالجبال ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ [هُود : ٤٢] فهل يلزم المماثلة من كل وجه؟

وحين شُبه لنا في السنة خبزُ الدجال بالجبال فالأولىٰ بتفسيره أن يكون كالسفن أو غيرها من وسائل النقل العملاقة التي هي كالجبال كما هو أسلوب القران في التشبيه،

وأنه ليس علىٰ الحقيقة المطابقة للواقع، فنقوم بتفسير السنة بالقران، وإخواننا المتعصبون للظاهرية يريدون خبزا كالجبل بطوله وعرضه ووزنه سواء بسواء!

وما ذكره بعض الشراح المتقدمين من تفسير حديث المغيرة كله عبارة عن أفهام فهموها باجتهادهم تأولوا فيها الحديث وحملوه علىٰ غير ظاهره لاعتقادهم أنه يصادم النصوص الواصفة للدجال مما معه من العظائم التي تدل علىٰ ما ينافي حديث المغيرة في تصورهم، وليس معهم نص صريح صرفوا لأجله ظاهر الحديث، ومن ادعىٰ ذلك فليبرهن، ولهذا اختلفت تأويلاتهم للحديث، فقلدهم بعض إخواننا ممن تشبه بالظاهرية، وجمدوا علىٰ ما ذكره أولئك الشراح وكأن أفهامهم واجتهاداتهم نصوص شرعية!

وعليه فمن أثبت الخوارق للدجال حقيقة كالذي مع الأنبياء فقد نسب التناقض للشرع، إذ كيف يخبر النبي عليه الصلاة والسلام أن الدجال أهون علىٰ الله أن يكون له جبل خبز ونهر ماء في الوقت الذي مكنه فيه من إحياء الميت وإنزال المطر وإخراج النبات وهي من خصائص الله عز وجل، وهي أعظم من الخبز والماء!؟

فمتىٰ ارتفع هذا الهوان عن الدجال؟

❊❊❊

## الدليل الثاني

ما رواه الإمام أحمد وغيره عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **"مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ، فَلْيَنْأَ مِنْهُ، مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ، فَلْيَنْأَ مِنْهُ، مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ، فَلْيَنْأَ مِنْهُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، فَلَا يَزَالُ بِهِ لِمَا مَعَهُ مِنَ الشُّبَهِ حَتَّىٰ يَتَّبِعَهُ"**.

وفي رواية **"لِمَا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ"**

والشاهد من الحديث قوله **"مِنَ الشُّبَهِ"** أو **"مِنَ الشُّبُهَاتِ"**.

فالذي مع الدجال عبارة عن شبهات لا حقيقة لها، ولو كان لها حقيقة لقال مما يبعث به من الخوارق، فإنه لم يثبت نص صريح عن النبي عليه الصلاة والسلام حسب علمي يصف ما مع الدجال بأنه خوارق أو معجزات، وما هذا الوصف إلا اجتهاد اجتهد فيه بعض أهل العلم مفسرين به أخبار النبي عليه الصلاة والسلام عن الدجال، فوصفوها بأنها خوارق بمحض اجتهادهم جريا علىٰ فهمهم لظواهر بعض النصوص.

والشبهات هي الحجج التي يأتي بها أهل الباطل مشابهين بها الحق وليست بحق.

وشبهات الدجال كذلك، فمنها ماهو من السحر ومنها ما هو من العلوم العصرية أو غير ذلك من زخرف القول، وليس فيها شيء مما هو نظير ما مع الأنبياء، وإلا لما وصفها النبي عليه الصلاة والسلام بالشبهات والشبه، ولكان وصف ما مع الدجال حين الأمر بالفرار منه وعدم مقابلته بالفتن أولىٰ وأحرىٰ من لفظ الشبهات، حتىٰ تعم الخوارق وغيرها لو سلمنا جدلا، ومَن أحسنُ كلاما وتعبيرا من رسول الله عليه الصلاة والسلام الذي أوتي جوامع الكلم؟

.

## الدليل الثالث

إخبار النبي عليه الصلاة والسلام عن سرعة الدجال أنه "**كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ** " كما في مسلم من حديث النواس بن سمعان، فليس فيه أن الدجال يبهر أهل عصره بسرعته، ويحتج عليهم بها، فيعدُّها ضمن الشبهات التي يخدع بها الناس في دعواه الربوبية.

وسياق ذكرها في الحديث سياق الأمور العادية التي ليس فيها إعجاز ولا خرق للعادة، فإن النبي عليه الصلاة والسلام ما ذكرها إلا بعد أن سألوه عنها حين استشكل عليهم عيثه في الأرض مع قلة مكثه، وإن كانت في نظر الصحابة آنذاك مستغربة.

ففيه إشارة أن هذه السرعة ليست مختصة بالدجال وحده هو وجنوده، لكنها للناس جميعا.

والرسول عليه الصلاة والسلام ذكر للصحابة الصفات المختصة بالدجال التي يتميز بها عن غيره غالبا، وأمعن في ذكرها كالعور وكتابة الكفر بين عينيه وقطاطة شعره وجنته وناره وغير ذلك.

ولو كانت سرعته أمرا خارقا للعادة لبيّن النبي عليه الصلاة والسلام امتحان الدجال للناس بها كما يفتنهم بما معه من الشبهات، ولما كان هناك حاجة للأمر بالفرار من الدجال، لا في الجبال ولا غيرها إذا كان الدجال يتميز بسرعة خارقة دون الناس.

❋❋❋

## الدليل الرابع

ما رواه مسلم عَنْ حُذَيْفَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **" لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ ؛ أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ مَاءٌ أَبْيَضُ، وَالْآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ نَارٌ تَأَجَّجُ، فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا، وَلْيُغَمِّضْ، ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ، فَيَشْرَبَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَإِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ، عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ "**.

ويفسر هذا الحديث ما رواه مسلم أيضا عن حذيفة عن النبي عليه الصلاة والسلام قال **"الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَىٰ، جُفَالُ الشَّعَرِ ، مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ "** وفي الصحيحين عن أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ الدَّجَّالِ حَدِيثًا مَا حَدَّثَهُ نَبِيٌّ قَوْمَهُ ؛ إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ مِثْلُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَالَّتِي يَقُولُ : إِنَّهَا الْجَنَّةُ، هِيَ النَّارُ، وَإِنِّي أَنْذَرْتُكُمْ بِهِ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ"**

والشاهد منها أن الظاهر الذي يظهره الدجال للناس غير حقيقة الأمر بل العكس تماما.

فهذه بعض الخوارق المنسوبة للدجال قد تبين أنها تظهر للناس بفعل الدجال علىٰ غير حقيقتها، وهذا من كذبه ودجله وتمويهه، فغيرها كذلك.

❊❊❊

## الدليل الخامس

ما رواه مسلم من حديث النواس الطويل وفيه **"غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ"**

وغير الدجال يفسره ما رواه أحمد وبعض أهل السنن عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **"إِنَّمَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ"**

وعن شَدّادِ بنِ أَوسٍ **"وَإِنِّي لَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي إِلَّا الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ"**

وحديث النواس هذا يبين حديث المغيرة السابق أنه أهون علىٰ الله، فغير الدجال أشد خوفا عند رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ هذه الأمة من الدجال.

فالذين انحرفوا من هذه الأمة عن هدي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ يدي الأئمة المضلين أكثر بكثير ممن ينحرف مع الدجال في زمنه، وهذا من دلائل نبوته صلىٰ الله عليه وسلم.

والأئمة المضلون من هذه الأمة ليس معهم من الشبهات كشبهات الدجال ، فشبهات الدجال قولية وفعلية، أما الأئمة المضلون فشبهاتهم غالبا قولية، ومع هذا انحرف من أمته صلىٰ الله عليه وسلم بسببهم عبر مئات السنين أمم لا يحصيها إلا الله، فكم انحرف مع السبئية والرافضة والجهمية والباطنية والقرامطة والحلولية والاتحادية والصوفية وغيرهم من أرباب الإلحاد والوثنية والأهواء والضلالات ممن لا يعلمهم إلا الله؟

فالدجال مع عظم فتنته إلا أنها لا تقارن مع مجموع فتنة الأئمة المضلين، مصداقا لخبره عليه الصلاة والسلام.

وكل واحد من الأئمة المضلين بمفرده لا شك أن فتنة الدجال أعظم منه، ويبين ذلك حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام الذي رواه مسلم عن هشام بن عامر مرفوعا **"مَا بَيْنَ آدَمَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ"**.

وعند أحمد **"أَمْرٌ أَكْبَرُ..."**

وموطن الدلالة من حديث النواس رضي الله عنه أن الدجال صاحب شبهات يحاجج بها الناس، لكن تغلبه الحجة الشرعية، فلو كان النبي عليه الصلاة والسلام موجودا فهو سيتولىٰ أمر الدجال، أما بعد موته عليه الصلاة والسلام فكل مسلم يحاج عن نفسه ويدفع الشبهات عن نفسه، والله تعالىٰ خليفة علىٰ المؤمنين فهو معهم بحفظه وتأييده ونصرته، ومن حِفظ الله للمؤمن عدم فتنته بتمكين الدجال عنده مما لا يقدر عليه إلا الله، بل إن المؤمن ليشاهد ما عليه الدجال من نقص الخلقة ودمامتها وعلامة الكفر بين عينيه، كل ذلك من خلافة الله للمؤمن، والدجال بخلاف ذلك فإن الله قد وكله لنفسه بما معه من السحر والتمويه وغير ذلك.

ومن نسب الخوارق للدجال فإنه يلزم منه أن يكون الله تعالىٰ مع المؤمن بشرعه ومع الدجال بفعله.

وهذا يناقض ما ذكره عليه الصلاة والسلام في الحديث **"وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ"**

فمن خلافة الله للمسلم أن لا يمكن عدوه من الأفعال التي فيها القدر الزائد عن قدرته البشرية، فقدرة الدجال البشرية مبنية علىٰ الإستعانة بالجن والعلوم العصرية وغير ذلك.

وهذا القدر هو الذي امتحن الله به عباده ومكن فيه أعداءه من محاربة أوليائه.

أما القدر الزائد علىٰ ذلك بأن يعطي الله أعداءه من أفعاله الخاصة التي لا تتعلق بالأسباب ولا يقدر عليها إلا هو فهذا ليس من سنته الكونية سبحانه وتعالىٰ ولا يتوافق مع كونه خليفة للمسلم ضد أعدائه، وهذا بيّن واضح لمن تأمله.

وكما سبق فإن نسبة الخوارق للدجال ليست صادرة عمن لا ينطق عن الهوىٰ ولكنها أفهام فهمها بعض أهل العلم، والفهم يصيب ويخطئ.

والمحاججة للدجال تكون في طاقة العبد إذا كان الدجال يستخدم طاقته البشرية كما سبق، أما إذا كان الدجال مؤيدا بخرق العادة من الله سبحانه وتعالىٰ فأنىٰ لمسلم أن يحاجج رب العالمين أو يتغلب علىٰ أفعاله سواء ظهرت من أعدائه أو من أوليائه؟

لكن الغلبة تكون للمسلم علىٰ الدجال كل بوسعه وجهده، والله مع المؤمن بتأييده وإعانته.

ومع هذا فإن المؤمن مأمور بأن يفر من الدجال، ولا يعرض نفسه للفتنة.

ولو كان ما مع الدجال خوارق فإنه يلزم المؤمن كذلك من الخوارق ما يقاوم بها خوارق الدجال، فالخارق لا يقاوم إلا بخارق مثله وليس بالطاقة البشرية، ومن أنكر هذا فليسق لنا نظائر ما يدعيه من سنن الله في البشرية جمعا.

## الدليل السادس

أن افتتان الناس بأدعياء الربوبية حاصل من زمن قديم، وليس في زمن الدجال فقط حتىٰ نثبت للدجال من الخوارق والمعجزات نظير ما مع الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه!

ففرعون تبعه الناس وليس معه الا السحرة حين ادعىٰ الربوبية، ولم يكن ساحرا بنفسه، ثم أسلم السحرة وتخلوا عنه ولا زال الناس معه علىٰ دعواه الربوبية، ونمرود كذلك ادعىٰ الربوبية، والذي قتل المسلمين أصحاب الأخدود كذلك، بل ادعىٰ أقوام من السبئية الألوهية في علي رضي الله عنه، وطوائف من النصارىٰ زعموا بأن المسيح هو الله، وطوائف من الصوفية ادعوا الألوهية في أقطابهم وزعمائهم، والحلولية زعموا أن الله حال في كل شيء، وليس مع طائفة من أولئك معجزات وخوارق للعادات نظير ما مع الأنبياء، ومع هذا تبعهم الناس.

أفلا يكون الدجال كذلك؟

لكن الذي جرىٰ علىٰ يدي الدجال علىٰ دعواه الربوبية، لم يجر علىٰ يدي غيره من (الملك العظيم والسحر والعلوم العصرية)

فالدجال لا يبدأ دعوته من الصفر بل يجد أمة عظيمة قد مهدت له الأمور ووطدت له الملك وهي في غاية الانتظار له، تعتقد فيه أنه المنتظر الذي ينزل عليهم آخر الزمان ليخلصهم من أعدائهم وهي الأمة اليهودية التي يخدمها في عصرنا الحديثِ العالَمُ كله.

فدعوىٰ الربوبية كما ذكرنا قديمة ولم يوصف أحد ممن ادعاها بأنه دجال لمجرد دعواه الربوبية.

وما ما نبي إلا أنذر أمته الدجال، قبل ظهور جميع مدعي الربوبية

فدجل الدجال ليس لادعائه الربوبية فقط، ولكن لجمعه أنواعا من الكذب واستعانته بالوسائل العظيمة كما تقدم، وأيضا كثرة الأتباع والتمكين في الأرض حتىٰ صار الدجال اسم علم له لا يتوجه عند الإطلاق إلا عليه.

***

## الدليل السابع

أن هذه الدعوىٰ من تمكين الدجال مما لا يقدر عليه إلا الله تصادم كثيرا من النصوص الشرعية، ولا يمكن لهذه الدعوىٰ مقاومة هذه النصوص إلا بأدلة واضحة كالشمس، وليس لمجرد أفهام فهمها بعض العلماء من مجمل بعض النصوص التي جاء في الشرع ما يبينها ويفصلها.

فمن أبرز ما تصادم هذه الدعوىٰ من النصوص الشرعية إضافة إلىٰ ما تقدم ذكره في القواعد السابقة من هذا الفصل قوله تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ [الأحزاب: ٣٨] وقوله تعالىٰ: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الأحزاب: ٦٢] وقوله تعالىٰ: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر: ٤٣] وقوله تعالىٰ: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفتح: ٢٣] وقوله تعالىٰ: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ [الإسراء: ٧٧]

فسنة الله سبحانه وتعالىٰ عامة في كل شيء ومنها أنه يؤيد أنبياءه بالمعجزات الخارقة للعادات التي لا يقدر عليها إلا هو سبحانه مما مثله آمن عليه البشر، وسنته أن لا يمكّن أعداءه من شيء من ذلك، وسنته سبحانه وتعالىٰ لن تتغير ولن تتبدل.

ومن زعم أن الدجال صاحب خوارق حقيقية فقد صادم بزعمه النصوص الشرعية والسنن الكونية، فليس هناك ما يشير لاستثناء الدجال، والنبي عليه الصلاة والسلام وصف الدجال بأوصاف، وليس في كلامه عليه الصلاة والسلام ما يشير لتخصيص الدجال واستثنائه.

وحمل النصوص علىٰ المعاني التي تتفق مع أدلة الشرع أولىٰ من مصادمتها وادعاء التخصيص، والذي يتفق مع أدلة الشرع من معاني النصوص التي وردت في وصف الدجال أنه ساحر كذاب مموه، يدعي أن معه معجزات تثبت دعواه وليس كذلك، ونسبة هذه الأفعال للدجال إنما هي بحسب ما يراه الناس ويظهر لهم من حاله، ولا يلزم أن تكون حقيقة في نفس الأمر.

ومما تصادم به هذه الدعوىٰ من النصوص الشرعية قوله تعالىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النِّسَاء : ١٦٥] فالله تعالىٰ أرسل الرسل بالبشارة والنذارة لأجل إقامة الحجة علىٰ الخلق، وأيدهم الله تعالىٰ بالخوارق والمعجزات التي تدل علىٰ صدق دعواهم، حتىٰ لا يكون ما أخبر الله عنه بقوله: ﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأَعْرَاف : ١٧٢] وقوله: ﴿أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [المَائِـدَة : ١٩].

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **"مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ"**.

فإذا أعطي إنسان من الناس من الدجاجلة أتباعِ الشيطان ودعاةِ الشرك ما مثله آمن عليه البشر كان هذا إغراء للناس بالباطل وصدا لهم عن الحق، ولن تقوم عليهم حجة الله تعالىٰ، حيث جرىٰ عليهم لزيغهم ما جرىٰ في سنة الله في خلقه من قبل لهدايتهم.

وهذا الدجال لا يمكث عندهم حتىٰ يشاهدوا فيه من القرائن التي تدل علىٰ كذبه ودجله كما هي عادة الدجاجلة في كل عصر، بل يمر علىٰ الناس مرورا سريعا ثم يذهب عنهم.

ومما تصادم هذه الدعوىٰ من النصوص الشرعية قوله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥﴾ [يُونُس : ٢٥].

فالله تعالىٰ يدعو إلىٰ الجنة بقوله بما أوحاه إلىٰ رسله من الشرائع والأحكام، ويدعو إلىٰ الجنة بفعله بما خلقه في هذا الكون وأجرىٰ فيه من السنن العظيمة التي تدل علىٰ عظمته ووحدانيته جل وعلا، وبما قصه الله من العبر من حال أوليائه وأعدائه، والأمر بمشاهدة آثارهم وما حل بهم من الله تعالىٰ.

ولو أن الله تعالىٰ يؤيد الدجال بفعله الذي يختص به سبحانه وتعالىٰ لكانت دعوة لغير دار السلام، وفي هذا مصادمة صريحة للآية السابقة.

ومن تأمل هذه الآية يرىٰ أن الدعوة إلىٰ دار السلام عامة لجميع الخلق، أما الهداية للحق فهي خاصة تحت مشيئة الله سبحانه وتعالىٰ، والدعوة تكون ببيان الحق بما لا لبس فيه علىٰ الناس.

والمدعوون ليسوا جميعا ممن يعرف نصوص الشرع في التحذير من الدجال، ففيهم المسلم وفيهم الكافر فليسوا علىٰ حد سواء.

فمن أدرىٰ الكافرين أنهم لن يروا ربهم حتىٰ يموتوا؟ ومن أدراهم أنه سيخرج إنسان دجال آخر الزمان يدعي الربوبية؟

والله تعالىٰ أخبر أنه يدعو إلىٰ دار السلام فدخل في المدعوين جميع المكلفين من الجن والإنس.

فلو سلمنا جدلا وتماشينا وقلنا إن ما مع الدجال خوارق يُمتحن بها المؤمنون، فما بال أهل الكفر حيث يدعوهم الله للنار بما مع الدجال ويحرمهم من طريق دار السلام.

وكل إنسان سيحاج ربه يوم القيامة حتىٰ الكافرون الذي يخرج في زمنهم الدجال، فلهم وقوف بين يدي الله، والله سيقيم عليهم الحجة في الدنيا لئلا يكون للناس علىٰ الله حجة بعد الرسل، وهذه من أعظم مقاصد الشريعة.

ومما تصادم هذه الدعوىٰ من النصوص الشرعية ما رواه الترمذي عَن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً ؟ قَالَ : **"الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَىٰ الْعَبْدُ عَلَىٰ حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَىٰ حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّىٰ يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَىٰ الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ"**

وبوب الإمام البخاري في صحيحة: **بابٌ أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل.**

ومعلوم أن أفضل الناس بعد الأنبياء هم أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام، ولا شك أن الذي تعرضوا له من البلاء في أول الإسلام لا يوازيه بلاء يأتي بعده، فتنة الدجال فما دونها.

ولو كان أمر الدجال كما يتصوره البعض من خوارق العادات لكان أولىٰ الناس بالبلاء به هم القرون المفضلة وذروتهم أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام لأنهم

الأمثل بعد أنبياء الله تعالىٰ في الصلاح والخير، ولو خرج الدجال في زمن الصحابة فإنه لن يكون له أي شأن ولكفاهم عليه الصلاة والسلام مؤنته ومحاججته.

فالصحابة مع قوة إيمانهم لم يفتنوا بهذا ويمتحنوا به فكيف بالمسلمين آخر الزمان؟!

وذلك أن الدجال أهون علىٰ الله من ذلك كما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام المغيرةَ بن شعبه، فلو خرج الدجال في زمنهم لما تبعه أحد، ولكنه يخرج في زمن الجهل وقلة العلم وكثرة الفتن والهرج والشر فيكثر أتباعه لذلك.

وقد ذكر بعض أهل العلم ممن ينسب الخوارق للدجال وأنها نظير ما مع الأنبياء بأن الفرق بينهم أن الدجال يدعي بهذه الخوارق الربوبية، أما الأنبياء فهم مبلغون عن الله، وهذا اجتهاد منهم ليس لهم فيه حديث مرفوع كما تقدم، وهم مأجورون فيه علىٰ اجتهادهم، لأنهم لا يتصورون أن يصل الناس بالأسباب الحسية مما مكنهم الله فيه آخر الزمان إلىٰ أعمال ما يراها المتقدمون إلا من خوارق العادات، ولو عرفوا الأسباب والنعم العصرية لربما كان لكثير منهم كلام آخر فيما سمعوه عن الدجال وغيره، وأنه يجري جريان الأسباب مع مسبباتها لا جريان معجزات الأنبياء وخوارق العادات.

❊❊❊

## الباب الثالث
## أسباب تعظيم الشرع لفتنة الدجال

وبعد هذ التقرير قد يتساءل البعض ويقول: إذا كان الدجال ساحرا مموها ليس معه خوارق للعادات كما ذكرتَ فلماذا عَظُم تحذير الشرع منه حتىٰ أنه ما من نبي إلا وأنذر أمته منه؟

والجواب لأسباب منها: أنه أكبر مموه وكذاب علىٰ تاريخ البشرية وقد اجتمع معه من الأسباب كما تقدم ما لم يجتمع لغيره من الملك العظيم، والسحر، والوسائل والعلوم العصرية الحديثة بتكنلوجياتها الفائقة، بل وموافقة الأحداث الكونية العظيمة التي هي أعظم من كل ما تقدم من تأخر سير الشمس حتىٰ يكون اليوم الأول للدجال كسنة واليوم الثاني كشهر واليوم الثالث كأسبوع، وغير ذلك، فهذه العظائم لم تتفق قط في أمة من الأمم لأحد من الكذابين غير الدجال الأكبر.

ومن الأسباب التي تبين أن تعظيم الشرائع لفتنة الدجال ليس لمجرد شخصه وما معه من الخوارق كما يتصور البعض، ولكنه جُعِل مثالا للشر والفساد والشرك بالله سبحانه وتعالىٰ الذي يناقض دعوة جميع الأنبياء، ولهذا حذروا منه جميعا، ولو كان لمجرد الخوارق فإن تحذير نبينا صلىٰ الله عليه وسلم منه يحصل به كمال المقصود، ولا يبقىٰ لتحذير جميع الأنبياء لأممهم منه كبير فائدة، ما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله في رسالته بغية المرتاد قال: وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أمر أصحابه بهذا التعوذ خارج الصلاة أيضا وقد جاء مطلقا ومقيدا في الصلاة، ومعلوم أن ما ذكر معه من عذاب جهنم وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات أمر به كل مصل إذ هذه الفتن مجرية على كل أحد ولا نجاة إلا بالنجاة منها، فدل على أن فتنة الدجال كذلك.

ولو لم تصب فتنته إلا مجرد الذين يدركونه لم يؤمر بذلك كل الخلق، مع العلم بأن جماهير العباد لا يدركونه ولا يدركه إلا أقل القليل من الناس المأمورين بهذا الدعاء، وهكذا إنذار الأنبياء إياه أممهم حتى أنذر نوح قومه يقتضي تخويف عموم فتنته وإن تأخر وجود شخصه حتى يقتله المسيح بن مريم عليه السلام.

وقال شيخ الإسلام في نفس السياق أيضا: وإذا كان قوم موسى قد عبدوا العجل واعتقدوا أنه الله وفيهم هارون نبي الله نهاهم فلم ينتهوا حتى رجع إليهم موسى وألقى الألواح.

والنصارى فهم متفقون على أن المسيح هو الله، تعالى الله علوا كبيرا ويقولون مع ذلك هو ابن الله.

أيضا فكيف يمتنع على قولهم أن يقال ذلك في بشر.

وهؤلاء الذين يدعون الفلسفة والكلام والتصوف وهم يدعون أنهم أكمل الناس معرفة بالتوحيد والتحقيق وأتبع الناس للشريعة وغيرها ويفضلون أنفسهم على الرسل ولا ريب أنهم من أحذق الناس في الفلسفة ويقولون إنه يظهر في كل صورة ويقولون إن عباد العجل ما عبدوا إلا الله...فإذا كان الأمتان الكتابيتان اليهود والنصارى اعتقدوا ما تقدم في إنسان وعجل.

وكذلك الغلاة من هذه الأمة المضاهون لكفار أهل الكتاب وهؤلاء الصابئة الفلاسفة وإن انتسبوا إلى الملل يقولون ما هو أبلغ من ذلك من ظهوره في كل صورة فكيف بمن هو أبعد من هؤلاء الطوائف عن العلم والإيمان ولهذا لا يخلص من فتنة الدجال إلا المؤمنون صرفا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.اهـ

ومن هذه الأسباب أنه لما كانت فتنة الدجال أعظم فتنة وقد علم الله من عباده أنهم سيتابعون أهل الشرك من أدعياء الربوبية وغيرهم وهم دون الدجال بمراحل حذر

الأنبياء أممهم من الدجال الأكبر حتىٰ يكونوا علىٰ استعداد لهؤلاء المشركين حين ظهورهم كل في زمنه، فإذا استعدوا لفتنة الدجال وحذِروها كانوا لما دونها من الفتن أشد حذرا واستعدادا.

ومن الأسباب التي جعلت جميع الأنبياء يحذرون من الدجال والله أعلم أن الدجال لا يخرج علىٰ المسلمين فحسب بل يخرج عليهم وعلىٰ غيرهم ويدعو كل من قدر عليه، فإنه يطوف الأرض في أربعين يوما، فناسب أن يحذر منه كل نبي بُعث في أرض من أرض الله.

وقد يكون عموم الأرض التي جاءت الأدلة أن الدجال يطوفها مخصوصة ببلاد العرب ومن إليها، وليس الكرة الأرضية بجميع قاراتها، لأن الأحاديث الواصفة له تذكر خروجه من خراسان أو بين الشام والعراق، ثم ينطلق جهة مكة والمدينة حتىٰ يصل لبيت المقدس حيث يهلك، وهو حين خروجه يكون المهدي ومن معه يستعدون لقتاله ويجهزون لغزوه، وهو أيضا بطبيعة الحال يجهز لغزوهم، وينطلق نحوهم إلىٰ الشام، ولهذا التخصيص نظائر من أدلة الشرع منها قوله تعالىٰ عن قوم موسىٰ: ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا﴾ [الأَعۡرَاف : ١٣٧] فليس كل أرض بارك الله فيها ورث قوم موسىٰ مشارقها ومغاربها، لكنهم ورثوا أرض فرعون وقومه والله أعلم.

❊❊❊

# الباب الرابع
# مناقشة خوارق الدجال

ونذكر هنا بابا لمناقشة خوارق الدجال ونقف معها واحدة واحدة، إضافة لما تقدم من قواعد وأصول الإسلام العامة التي ذكرناها قبلُ في بيان أن الدجال شأنه شأن الدجاجلة الذين سبقوه سواء بسواء من الكذب والتمويه والسحر، وأن الحقائق لا يقدر عليها إلا الله، وليس من سنة الله أن يجعلها علىٰ يدي الدجاجلة، ونذكر الأدلة التي ثبتت في الشرع في شأن خوارق الدجال.

❊❊❊

## الخارق الأول قتل الشاب واحياؤه

فأول ما نذكر من هذه الخوارق التي حذر منها النبي صلىٰ الله عليه وسلم هو قتل الدجال لذلك الشاب وقطعه قطعتين وإحياؤه بعد ذلك.

فهذه ألفاظ القصة من الصحيحين جاء من حديث أبي سعيد **"فَيَقُولُ الدَّجَّالُ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ، هَلْ تَشُكُّونَ فِي الْأَمْرِ ؟ فَيَقُولُونَ : لَا. فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ حِينَ يُحْيِيهِ : وَاللهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْيَوْمَ. فَيَقُولُ الدَّجَّالُ : أَقْتُلُهُ فَلَا يُسَلَّطُ عَلَيْهِ "** ولفظ آخر من حديث أبي سعيد عند مسلم **"فَإِذَا رَآهُ الْمُؤْمِنُ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَذَا الدَّجَّالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ : فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ فَيُشَبَّحُ، فَيَقُولُ : خُذُوهُ، وَشُجُّوهُ. فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْبًا، قَالَ : فَيَقُولُ : أَوَمَا تُؤْمِنُ بِي ؟ قَالَ : فَيَقُولُ : أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ. قَالَ : فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُؤْشَرُ بِالْمِئْشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّىٰ يُفَرَّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، قَالَ : ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : قُمْ. فَيَسْتَوِي قَائِمًا، قَالَ : ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : أَتُؤْمِنُ بِي ؟ فَيَقُولُ : مَا ازْدَدْتُ فِيكَ إِلَّا بَصِيرَةً. قَالَ : ثُمَّ يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ. قَالَ : فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ، فَيُجْعَلَ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَىٰ تَرْقُوَتِهِ نُحَاسًا، فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلًا"** ولفظ حديث النواس عند مسلم **"ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ، فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ ، رَمْيَةَ الْغَرَضِ ، ثُمَّ يَدْعُوهُ، فَيُقْبِلُ، وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ"**

فكل الأحاديث الثابتة في الصحيحين وخارجها تنسب قتل الشاب وإحياءه للدجال، ليس في واحد منها أن الله مكن الدجال من القتل والإحياء، أو أنه قتل الشاب وأحياه

بإذن الله، كما يزعم إخواننا وفقهم الله، حيث نسبوا كل خوارق الدجال لله بمجرد الرأي والتقليد لمن سبقهم، وليس معهم أي أثارة من علم في ذلك.

وإذا كان كذلك فيلزم من ألفاظ القصة أحد ثلاثة أمور:

الأول: أن يكون الدجال خالقا مع الله، لأنه يحيي الميت بنفسه نظير ما يفعل ملائكة الله عز وجل بأمر الله، وهذا شرك بالله تعالىٰ، وهذا هو الذي تدل عليه ظاهر الروايات إن أجريناها علىٰ ظاهرها.

والثاني: أن نشابه الجبرية فننسب ما نسبه الشرع للدجال لله سبحانه وتعالىٰ بدون دليل، ويلزم منه أن نستطرد في نسبة أفعال السحرة والكهان والدجاجلة لله سبحانه وتعالىٰ، لأنه لا فرق في الظاهر بين فعلهم وفعل الدجال، فكيف يكون فعلهم تمويها وفعل الدجال حقيقة؟ ولا يخفىٰ فساد هذا.

والثالث: أنه يموّه ويدعي أنه يحيي الميت وهو دجال ساحر، وأن الشرع أخبر عما يشاهد الناس من حاله.

وهذا هو اللائق به، وهو الذي تجتمع فيه الأدلة الشرعية الواردة في الدجال وأنه أهون علىٰ الله، وهكذا تلتقي فيه الأدلة مع مقاصد الشريعة الغراء؟

هذا أمر، وأمر آخر أنه في حديث أبي سعيد **"فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُؤْشَرُ بِالْمِئْشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّىٰ يُفَرَّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ"** وفي حديث النواس **"فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ، فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ ، رَمْيَةَ الْغَرَضِ"** والقصة واحدة وكلا الروايتين صحيحة، مما يدل دلالة واضحة أن الدجال ساحر يرىٰ منه الناس هذا وهذا.

والجمع بين الأحاديث الثابتة مهما أمكن أولىٰ من مصادمتها ورد بعضها، وهنا لا يمكن الجمع لو كان القتل حقيقيا بين كون الآلة المستعملة في القتل المنشار أو السيف، فالفرق بينهما واضح من حيث الصنعة ومن حيث العمل أيضا، إلا أن يكون الدجال ساحرا، فهذا هو الذي تجتمع به الروايات.

وقد حاول بعضهم أن يجمع بأن الآلة سيف له فلول كأسنان المنشار، فسمي سيفا لأصله، وسمي منشارا لفلوله.

وهذا الجمع ضعيف، فإنه وإن حاول أن يجمع في صناعة الآلة لكنه لن يستطيع الجمع في استعمال الآلة، فالضرب بالسيف يختلف عن النشر بالمنشار.

ذكر في الحديث (النشر من مفرقه حتىٰ يفرق بين رجليه) فمتىٰ كان الضرب بالسيف؟

وفي الحديث الآخر (الضرب بالسيف حتىٰ يقطعه جزلتين رمية الغرض) فمتىٰ كان النشر بالمنشار؟

إلا أن ينسب إخواننا في هذا الباب خارقة حقيقية جديدة من خوارق الدجال التي يتوهمونها، وهي استعماله للسيف والمنشار في آن واحد حقيقة، فلا يخفىٰ ما فيه من جمود وتكلف!

وفي صحيح مسلم عَنْ نَافِعٍ قَالَ : **لَقِيَ ابْنُ عُمَرَ ابْنَ صَائِدٍ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ قَوْلًا أَغْضَبَهُ، فَانْتَفَخَ حَتَّىٰ مَلَأَ السِّكَّةَ، فَدَخَلَ ابْنُ عُمَرَ عَلَىٰ حَفْصَةَ وَقَدْ بَلَغَهَا، فَقَالَتْ لَهُ : رَحِمَكَ اللهُ، مَا أَرَدْتَ مِنِ ابْنِ صَائِدٍ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ غَضْبَةٍ يَغْضَبُهَا " ؟**

فهذا ابن صائد انتفخ حتىٰ ملأ السكة.

فهل يقول إخواننا إن جِلدَه ولحمه انتفخ حقيقة؟ فإن هذا ليس من خلقة البشر وطاقتهم! لكن المقصود أنهم أخبروا عن شيئ شاهدوه بأعينهم، وهو سحر ابن صائد الذي تمثل لهم بالانتفاخ، ونحن إذا قلنا إن ابن صائد لم ينتفخ حقيقة فليس معناه تكذيب ابن عمر ورد حديثه، لكن معناه أن هذا الانتفاخ ليس من طاقة البشر وإنما أخبر ابن عمر عن شيء شاهده بعينه وهو صادق، ولا يلزمنا أننا لن نصدق ابن عمر إلا إذا جزمنا بالانتفاخ حقيقة جريا علىٰ ظاهر الخبر، وهذا واضح، والدجال نظير ذلك.

وذكر شيخنا يحيىٰ في الرياض المستطابة قصة جندب البجلي مع ذاك الساحر الذي يحيي الميت عند الوليد بن عقبة، فقتله جندب بالسيف وقال: أحيي نفسك.

فهذا الساحر كان يحيي الميت فيما يبدو لهم لكنه في الحقيقة لا يفعل شيئا إلا مجرد السحر والتخييل.

وقد تأول بعض الشراح هذين الحديثين كما تأولوا حديث المغيرة بمجرد الاجتهاد والرأي، واتسع الخرق علىٰ الراقع.

فكان نسبتهم الدجال للسحر أولىٰ من تأولاتهم التي تأولوها.

***

## الخارق الثاني جنة الدجال وناره

ومن القرائن التي تشهد لكون الدجال دجالا من جنس الدجاجلة وليس معه حقائق كحقائق الأنبياء ما جاء في مسلم عَنْ حُذَيْفَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **" الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَىٰ، جُفَالُ الشَّعَرِ ، مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ "** .

وفي مسلم أيضا عَنْ حُذَيْفَةَ ، قَالَ : **قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ ؛ أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ مَاءٌ أَبْيَضُ، وَالْآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ نَارٌ تَأَجَّجُ، فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا، وَلْيُغَمِّضْ، ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ، فَيَشْرَبَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ"** .

والشاهد من هذين الحديثين أن النبي عليه الصلاة والسلام أخبر أن الحقائق في هذه القضية خلاف الظاهر.

ومعرفة كون الدجال يقتل الشاب حقيقة أو سحرا لا يؤثر فرقا عند من حضره، فالحقيقة والسحر لا يكاد أن يميزها أحد بذاتها دون مشاهدة القرائن، فهذا موسىٰ عليه الصلاة والسلام رأىٰ الحبال والعصي كأنها تسعىٰ حتىٰ أوجس في نفسه خيفة وهو يعلم يقينا أنهم سحرة، قبل أن يُلقوا ما أَلقوا.

أما بالنسبة لجنة الدجال وناره فمعرفة حقيقتهما مهمة جدا لأن الجهل بها يؤثر تأثيرا عظيما، فلهذا أخبر النبي عليه الصلاة والسلام أن الحقائق فيهما خلاف الظاهر، ولولا إخبار النبي عليه الصلاة عن الحقيقة فيهما لظنهما كثير من الناس أنها علىٰ ظاهرها، فربما وقعوا فيها، كما ظن كثير منهم أن قتل الدجال لذلك الشاب وإحياءه علىٰ الحقيقة.

والجنة والنار ليست من الخوارق عند الناس من قبل ومن بعد، فلا زال الناس يعرفون الجنان والنيران في الدنيا، ولم يصح حديث في وصف جنة الدجال أو ناره بما يميزهما عما يشاهده الناس في الدنيا إلا أن ظاهرها خلاف باطنها، وتارة يصفها بالجنة والنار وتارة يصفها بالنهرين.

علىٰ أنه لا يلزم أن يدخل الناس كلهم إما جنته وإما ناره، فإنه كما في حديث النواس يمر علىٰ القوم فيدعوهم ثم يظهر أثر دعوته علىٰ بهائمهم وأموالهم فقط، وليس فيها ذكر للجنة والنار ولا للنهر، وهذا مما يشير إلىٰ أن الدجال لا يصطحب معه جنته وناره ولكنها تكون معه في بعض المواطن والله أعلم.

ولو أن الدجال يتنقل بهما فهذا لا يلزم أن يكون علىٰ وجه الخرق للعادة، والله أعلم ما هي الوسيلة التي يستعملها الدجال في ذلك أهي السحر أو العلوم العصرية.

❊❊❊

## الخارق الثالث امطار السماء وانبات الأرض

وأما ما ذُكِر عن الدجال من إنزال المطر والنبات فإن الناس في عصرنا عندهم أبحاث لما يسمونه الاستمطار، والتسبب في نزول المطر من السماء بعد توفر أسبابه من الله سبحانه وتعالىٰ، ولا يلزم من أمر الدجال السماء بالمطر أن تسيل الوديان والشعاب وتحصل الفيضانات بحيث لم تكن قبل أمر الدجال في السماء قزعة!

فإنه لو نزل قليل من المطر بفعله يصدق عليه أن يكون مطرا، وقد ثبت في مسند أحمد أن الدجال ينزل المطر ولا ينبت الشجر، عَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ أَنَّهُ قَالَ : أَتَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ لَهُ : حَدِّثْنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدَّجَّالِ، وَلَا تُحَدِّثْنِي عَنْ غَيْرِكَ، وَإِنْ كَانَ عِنْدَكَ مُصَدَّقًا. فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : **"أَنْذَرْتُكُمْ فِتْنَةَ الدَّجَّالِ، فَلَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ أَوْ أُمَّتَهُ، وَإِنَّهُ آدَمُ جَعْدٌ ، أَعْوَرُ عَيْنِهِ الْيُسْرَىٰ، وَإِنَّهُ يُمْطِرُ وَلَا يُنْبِتُ الشَّجَرَ، وَإِنَّهُ يُسَلَّطُ عَلَىٰ نَفْسٍ فَيَقْتُلُهَا ثُمَّ يُحْيِيهَا، وَلَا يُسَلَّطُ عَلَىٰ غَيْرِهَا، وَإِنَّهُ مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ، وَنَهَرُ مَاءٍ وَجَبَلُ خُبْزٍ، وَإِنَّ جَنَّتَهُ نَارٌ، وَنَارَهُ جَنَّةٌ، وَإِنَّهُ يَلْبَثُ فِيكُمْ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، يَرِدُ فِيهَا كُلَّ مَنْهَلٍ إِلَّا أَرْبَعَ مَسَاجِدَ : مَسْجِدَ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، وَالطُّورِ، وَمَسْجِدَ الْأَقْصَىٰ، وَإِنْ شَكَلَ عَلَيْكُمْ أَوْ شُبِّهَ فَإِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ "**.

والحديث علىٰ شرط مسلم لكنه يخالف حديث النواس تماما ففيه **"فَيَأْتِي عَلَىٰ الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًىٰ ، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ"** فهذا حديث

النواس " **فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ** " وفي حديث جنادة " **وَإِنَّهُ يُمْطِرُ وَلَا يُنْبِتُ الشَّجَرَ** "

فلا بد هنا من أحد أمرين إما الجمع بين الحديثين ما أمكن، وإما الترجيح.

ولم أقف علىٰ كلام لأهل العلم في التنبيه علىٰ هذه المسألة والله أعلم.

أما الجمع بين الحديثين فنستطيع القول إن نزول المطر حقيقة متفق عليه في الحديثين أنه ينزل بفعل الدجال مباشرة، وأما النبات فإثباته في حديث النواس ليس خارقا للعادة بل ينبت تبعا للمطر كما هي سنة الله تعالىٰ، فنسبة الإنبات للدجال بحكم أنه هو الذي تسبب بنزول المطر فيكون النبات بسبب المطر فهو تبع له.

لكن يرد علىٰ هذا أن يقال بأن النبات أيضا خارق للعادة بدليل أن سارحة القوم تروح عليهم من نفس اليوم كما في الحديث **"فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًىٰ ، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ"** فيقال إن أيام الدجال ليست كأيامنا ففيها اليوم الذي كسنة واليوم كشهر واليوم كأسبوع، فلعل هذا يحصل في الأيام الطويلة.

لكن يرد عليه أنه لم يصح دليل يعين متىٰ تروح هذه السارحة أفي أول أيام الدجال أم آخرها؟ وأيضا فإن أمر الناس والحيوانات في ذاك الزمن كأمرهم في غيره من الأزمان من حاجتهم للطعام والشراب والراحة، فلا يكفيهم في أول أيام الدجال الذي كسنة طعام وشراب ونوم يوم واحد من الأيام العادية، واطلاق لفظ الرواح في الحديث إنما هو جريا علىٰ العادة التي تعتادها البهائم في طعامها وراحتها لا حقيقة الرواح آخر ذلك اليوم بالعشي، هذا قياسا علىٰ الصلوات.

وأما حديث جنادة فهو علىٰ ظاهره والمقصود بالنفي أن الدجال لا ينبت نباتا يخرج به عن العادة المعروفة، وأن الذي ينبت هو الله سبحانه وتعالىٰ وحده.

﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [النَّمل : ٦٠] ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾﴾ [الحِجر : ١٩] ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾﴾ [ق : ٧] ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾﴾ [ق : ٩] فالله تعالىٰ هو المتفرد بإنبات النبات من الأرض وهو فالق الحب والنوىٰ، ولا يمكن للدجال ولا غيره أن يفلق الحب والنوىٰ بالنبات مع الله تعالىٰ، وهذا هو الأقرب، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأنعَام : ٩٥]

أو يكون المقصود ما ذكره بعض الشيوخ المعاصرين في تعليقه علىٰ هذا الحديث أن مطر الدجال لا بركة فيه، لكن هذا بعيد جدا، لأن ظاهر الحديث إثبات مطر حقيقي من الماء المعروف، ومن عادة الماء إنبات الشجر لكن بالعادة المعروفة، والمنفي عن الدجال هو خرق هذه العادة، لا أن الدجال يخلق مع الله تعالىٰ ماءا لا بركة فيه بحيث لا ينبت منه النبات، فإن الدجال لا يقيم في أوساط الناس لينتظر حتىٰ تنبت الأرض زروعها خلال شهر من الزمان، بل يفتن الناس ويذهب عنهم مباشرة إلىٰ غيرهم حتىٰ يطوف الأرض في أربعين يوما.

ولو كان الأمر كذلك للزم الترجيح بين الحديثين ولا يمكن الجمع أبدا إذا كان المطر لا بركة فيه ولا ينبت، وللزم رد حديث النواس بن سمعان الذي فيه أمر الدجال للأرض فتنبت.

وقد يجمع بين الحديثين بأن يكون النبات في بلد عند قوم مصداقا لحديث النواس، وعدم النبات في بلد آخر عند قوم آخرين مصداقا للحديث الآخر.

وأما الترجيح فلا شك أن رواية مسلم مقدمة علىٰ غيرها، والحديث تلقته الأمة بالقبول ضمن صحيح مسلم، والناظر لحديث جناده يلاحظ مخالفته لما في الصحيحين في مواضع:

الموضع الأول هذا الذي نحن بصدده.

الموضع الثاني أنه استثنىٰ أربعة مساجد لا يدخلها الدجال، بينما في حديث قصة تميم الداري مع الجساسة في مسلم أنه لا يدخل مكة والمدينة فقط، وفي الصحيحين عن أنس عن النبي عليه الصلاة والسلام **"لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ"** وفي الترمذي عن أبي سعيد في قصته مع ابن صائد قال عن الدجال **"لَا تَحِلُّ لَهُ مَكَّةُ وَالْمَدِينَةُ"** وحديث عائشة في المسند **"الْحَرَمَانِ عَلَيْهِ حَرَامٌ؛ مَكَّةُ وَالْمَدِينَةُ"**.

فمن قال بالجمع بين الحديثين فهو أولىٰ، ومن قال بالترجيح فليس ببعيد والله أعلم.

وفي زماننا يتوقع الناس نزول الأمطار حسب دراسات وتقديرات يتبعونها ويصيبون فيها كثيرا، وليس علمهم هذا هو الذي تفرد الله تعالىٰ به، ولكنه شيء نسبي يعرفونه بعد توفر أسبابه، أما قبل حصول الأسباب فلا يعلم متىٰ ينزل المطر إلا الله، فإذا

تجمعت السحب من هنا وهنا ونظروا لحركة الرياح وحالة الجو قاموا ببعض التقديرات التي يتوقعون من خلالها اكتمال الأسباب للمطر في مكان كذا وكذا، ومعرفتهم لنسبة الأمطار من غزارة وخفة أيضا حسب هذه الأسباب كثرة وقلة.

ونظير هذا هذه الأجهزة التي يعرفون من خلالها ما في بطن الأم أذكر أم أنثىٰ، فإنهم لا يتمكنون من ذلك إلا بعد تخلقه ونفخ الروح فيه، وهذا علم نسبي، أما قبل ذلك فلا يعلم ما في الأرحام إلا الله.

وقضية الاستمطار قضية علمية عصرية حقيقية لا يستطيع أحد إنكارها، وهي كغيرها من الأسباب العصرية التي يسرها الله في هذا الزمن، مثلها مثل الطيران والاتصالات وغيرها، مما لا يكون في عرف الأولين إلا من الأمور الخارقة للعادة، فما المانع في استعمال الدجال لهذه الأسباب مع علم الفلك حتىٰ نضطر لادعاء خرق العادة ومشاركة الدجال لرب العالمين في أفعاله الخاصة دون بذل الأسباب التي مكن الله تعالىٰ منها العباد؟

لأنه لم يصح في حديث واحد أن الدجال يفعل هذا بإذن الله الخاص، بل الثابت في الصحيح وخارج الصحيح هو نسبة هذه الأفعال للدجال مطلقا، مثل قضية قتل الشاب وإحيائه تماما، فإما أن نثبتها علىٰ ظاهرها وهذا هو عين الشرك بالله تعالىٰ، وإما أن نضيف فعلها للدجال بسحره أو بما خلق الله من العلوم والأسباب العصرية العادية، أو بهما جميعا وهذا أقرب أنه يستعين بالسحر والأسباب العادية معا.

وأما مسألة رجوع سارحة القوم بتلك الصفة فلا يلزم أن ترجع في نفس اليوم كذلك، فالدجال ينصرف عنهم ثم يحصل بعده النبات فتتحقق تلك الصفة في أنعامهم فيما

بعد، كما يصبح من رد قول الدجال ممحلين ليس معهم شيء من أموالهم إما بسبب سحره أو بما يبثه من سموم في أنعامهم وزروعهم وغير ذلك.

وهذا شي معلوم في زماننا وليس من خوارق العادات.

ولا عجب أن يتفرد الدجال بهذه التكنلوجيا الحديثة، في ظل انشغال المسلمين بالفتن، حتىٰ أن الكفارالان يصفون المسلمين بالتخلف، فبعض الصناعات التي يراها المسلمون فائقة وعجيبة ربما قد انقرض زمانها وأصبحت موديلا قديما عند الكافرين! وعندهم من جنسها مما قد طوروه مما لا يقارن بها، بسبب تأخر المسلمين عن العلوم العصرية، ولله الحكمة البالغة.

فما المانع أن يتبجح الدجال علىٰ عوام المسلمين حين يطوف عليهم في بلدانهم بما في يده مما تأخر المسلمون عن الوصول إليه من هذه التكنلوجيا مدعيا بذلك الربوبية؟

فإذا أمكن حمل ما مع الدجال علىٰ الأسباب العادية فما هو الداعي واللازم وما هي الضرورة لحمله علىٰ خرق العادة حقيقة ولا بد حتىٰ يكون الدجال فيها في مصاف الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه؟

❊❊❊

## الخارق الرابع

أنه "يَأْتِي إِلَىٰ الخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِيْ كُنُوزَكِ فَتَتْبَعُهُ كَيَعَاسِيْبِ النَّحْلِ".

أما مسألة هذه الكنوز فإنهم الان يحددون عبر الأقمار الاصطناعية مواقع الذهب والفضة وغير ذلك، ثم يستخرجونها بالأجهزة والحساسات الحرارية الحديثة فائقة الدقة، فليس بغريب أن يستخرجها الدجال بهذه الوسائل، ثم يحملها معه، وتكون متراكمة عنده تابعة له كهيئة يعاسيب النحل، ونحن نعرف النحل حين يتراكم بعضه علىٰ بعض، ولا يحصل منه هذا إلا في حال اجتماعه وقراره وعدم طيرانه، فهو كهيئة الكنوز المتراكمة.

ولا مانع أن يخاطب الدجالُ الأرض مخاطبة من يعقل حين يقول: أخرجي كنوزك، فهذا أمر سائغ لغة وشرعا، فليس هناك لازم يستدعي أن نزعم خرق العادة في هذه القضية ما دام وأسبابها العادية متوفرة، خصوصا أن هذه الأجهزة الحساسة الكاشفة ليست متوفرة لدىٰ جميع الدول، بل لا تكاد توجد إلا في بلدان خاصة ولا تستخدم إلا تحت المراقبة الشديدة إلا فيما ندر.

ولم يأت في الحديث أن الأرض تخرج كنوزها استجابة لأمر الدجال، لكن ورد أن الكنوز تتبع الدجال كيعاسيب النحل.

وليس في هذا دلالة لا شرعا ولا لغة أن الكنوز تطير في الهواء بذاتها كما يطير النحل! بل ظاهر الحديث أن الكنوز تتبع الدجال، ولا مانع أن تتبعه علىٰ المراكب التي يستعملها الدجال وتكون مكومة في تلك المراكب كيعاسيب النحل.

والكنوز اسم يدخل فيه الذهب والفضة والمجوهرات كانت دنانير ودراهم، أو قطعا، أو علىٰ هيئة زينة النساء، أو علىٰ هيئة تماثيل وتحف كبيرة وصغيرة، وغير ذلك، كلها تسمىٰ كنوزا، ولا تكون كهيئة النحل إلا متراكمة بعضها علىٰ بعض، واليعسوب الواحد ربما ما يتجاوز ربع أنملة، فإذا طار في الهواء مع بقية النحل لم يكد يراها إلا من قرب منها، وحلقت فوق رأسه مباشرة، لكن إذا تجمعت وتعلقت في شجرة أو نحوها فإنها تُرىٰ من بعيد بعضها فوق بعض كهيئة الكنوز.

فإذا كان ما قررناه هنا باطلا فأين وجه الشبة بين نحلة طائرة في الهواء لا تكاد تُرىٰ بعد ستة أذرع، وبين كنوز متفاوتة في الكبر والصغر يراها من بَعُد ومن قَرُب؟

فعجبي لا يزول ممن يصر علىٰ أن يجعل الدجال في باب خرق العادة في مصاف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام! وياليته يتعلق بشيء من الأدلة سوىٰ التشبه بالظاهرية القدامىٰ.

❊❊❊

## الخلاصة في الدجال

إن مما ينبغي أن يُعلم أن استجابة الناس للدجال ليس لأجل كونه يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت، ولا لأجل قتله ذاك الشاب وإحيائه، فإن أمره للسماء بالمطر والأرض بالنبات لا يكون إلا بعد استجابة الناس له كالمكافأة لهم، كما في حديث النواس **"فَيَأْتِي عَلَىٰ الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًىٰ ، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ"** فالدجال يدعوهم فقط كما في الحديث، ولا يدخلهم جنة ولا نارا، ومعه شبهات يحتاج أن يحاججه كل مسلم عن نفسه، فإذا استجاب له الناس كافأهم بالمطر، وأما قضية قتل الشاب فلا تقع للدجال إلا مرة واحدة في مكان واحد، والدجال يطوف الأرض ولا يفعل هذا مع كل من مر عليهم، ولا يسلط بسحره إلا علىٰ ذلك الشاب وحده، وكذلك جنته وناره لا نستبعد أنها تكون معه في مواطن مخصصة كما تقدم، حتىٰ الخبز فإنه لم يثبت عندنا دليل صحيح أنه يطعم الناس، بل يطعم أصحابه، أما الناس فهو يدعوهم وينصرف عنهم، وما ورد من الأحاديث في وصف الناس بالجوع زمن الدجال فكلها ضعيفة لم يصح منها شيء، والثابت أنه يتلف أموال من كفر به، حين يصبحون ممحلين لردهم قوله، ومع هذا فإنه لا يتصور أن يتابعوه بعد أن ينصرف عنهم طمعا في خبزه وقد سلمهم الله من فتنته.

وقد قال الإمام ابن حبان في صحيحه: ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن الدجال إذا خرج يكون معه المياه والطعام. ثم ساق بروايته حديث المغيرة ابن شعبة المتفق عليه: **مَا سَأَلَ أَحَدٌ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الدَّجَّالِ مَا سَأَلْتُهُ، وَإِنَّهُ قَالَ لِي : " مَا يَضُرُّكَ**

مِنْهُ ؟ ". قُلْتُ : لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّ مَعَهُ جَبَلَ خُبْزٍ وَنَهَرَ مَاءٍ. قَالَ : " هُوَ أَهْوَنُ عَلَىٰ اللهِ مِنْ ذَلِكَ " اهـ

والثابت في السنة أن المهدي يملأ الأرض قسطا وعدلا، وشأن الدجال هو الدعوة وعدم القتال، فلم يصح عن النبي عليه الصلاة والسلام خبر أن الدجال يستعين بالقتال أو يخوض مع الناس معارك إلا عند نزول عيسىٰ حين يقاتل اليهود، بل الصحيح أن الدجال قد نهىٰ أصحابه أن يقتلوا أحدا دونه كما تقدم في حديث أبي سعيد **"يَخْرُجُ الدَّجَّالُ، فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَتَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ ؛ مَسَالِحُ الدَّجَّالِ، فَيَقُولُونَ لَهُ : أَيْنَ تَعْمِدُ ؟ فَيَقُولُ : أَعْمِدُ إِلَىٰ هَذَا الَّذِي خَرَجَ. قَالَ : فَيَقُولُونَ لَهُ : أَوَمَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا ؟ فَيَقُولُ : مَا بِرَبِّنَا خَفَاءٌ. فَيَقُولُونَ : اقْتُلُوهُ. فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ ؟ قَالَ : فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَىٰ الدَّجَّالِ"**

ولهذا لما جاء المغيرة بن شعبة إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فإنه لم يذكر من شأن الدجال أنه يسرع سرعة لا نظير لها، ويأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت، ويأمر الأرض أن تخرج كنوزها، لكنه ذكر الجنة والنار وجبل الخبز، وهذه هي اللتي اشتهر ذكرها علىٰ ألسنة الناس حتىٰ سمعها المغيرة، وهي الفتنة التي يخدع بها الناس حين تبقىٰ الشمس في السماء.

فالظاهر والله أعلم أنه حين يخرج الدجال زمن انتشار الجهل، ورفع العلم، وكثرة الشر في الناس، تتوقف الشمس عن الجري كعادتها حتىٰ يكون أول أيام الدجال كسنة، فإن الناس يفزعون فزعا عظيما لهذا الحدث الجلل، ويظنون أن الساعة قد قامت بسبب جهلهم وكثرة شرهم وشدة خوفهم.

فقد هاجت ريح حمراء في الكوفة فجيء إلىٰ عبدالله بن مسعود وقيل له قامت الساعة...الحديث في صحيح مسلم، فظن الناس أن الساعة قد قامت لأجل هذه الريح، فمن باب أولىٰ توقف الشمس وطول مكثها وبطء حركتها المباغتة للناس.

فإذا خرج الدجال وبقيت الشمس في السماء استغل الدجال هذا الحدث، فيأتي ويزعم أنه الرب، وأن القيامة قد قامت وأن معه الجنة والنار، فيُفتن به الناس، خصوصا الهمج الرعاع منهم، كما قد فتن أسلافهم بمسيلمة الكذاب والأسود العنسي وغيرهم، فأتباع الدجال نظير أتباع هؤلاء، أما العلماء وأهل الخير والفضل فإنه لن يتابع الدجال منهم أحد والله أعلم.

ويشهد لهذا إخبار النبي عليه الصلاة والسلام بأنكم لن تروا ربكم حتىٰ تموتوا، وهذه الأحداث من طول أيام الدجال تقع فجأة والناس أحياء في أمور دينهم ودنياهم.

هذا وليس كل المسلمين يتعرض لهم الدجال فإنه يتعرض لأهل المدن والقرىٰ من الذراري ممن لم يجاهد في سبيل الله مع المهدي، وممن وقع في بعض الفتن السابقة، ومع هذا لا يفتنون به جميعا بل يسلم مِن الدجال مَن يسلم ممن وفقه الله وعصمه بسورة الكهف وغيرها من أنواع خلافة الله للمؤمنين، أما المهدي وجنده فقد رجعوا من الجهاد في سبيل الله بعد فتح القسطنطينية حين سمعوا بالدجال قبل خروجه، فيبقون في الشام علىٰ استعداد لقتاله حتىٰ ينزل عيسىٰ وهم كذلك فلا يفتنون به أبدا، والدجال كذلك ينطلق حين يخرج نحوهم لقتالهم داعيا الناس للاستجابة له، فيقاتله عيسىٰ بهم، ولعل فترة مكثهم بعد رجوعهم من القسطنطينية حتىٰ ينزل عيسىٰ يكون في الإعداد والتجهيز للمعركة الحاسمة مع الدجال فينزل عيسىٰ حين تتكامل قوتهم

ويتهيئون تهيئة تامة، وفي الحديث **"فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّىٰ يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ"**

وفي مسند أحمد عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: **ذُكِرَ الدَّجَّالُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "لَأَنَا لِفِتْنَةِ بَعْضِكُمْ أَخْوَفُ عِنْدِي مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَلَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِمَّا قَبْلَهَا إِلَّا نَجَا مِنْهَا، وَمَا صُنِعَتْ فِتْنَةٌ مُنْذُ كَانَتِ الدُّنْيَا صَغِيرَةٌ وَلَا كَبِيرَةٌ، إِلَّا تَتَّضِعُ لِفِتْنَةِ الدَّجَّالِ "**

والشاهد منه أنه لا يفتن بالدجال من سلم من الفتن التي قبله، وعليه فلا خوف علىٰ أهل السنة من الدجال.

وقد يقول قائل إنك بكتابتك هذه تهوّن من أمر الدجال كثيرا خلاف ما هو متصور في الأذهان، وخلاف ظواهر النصوص الشرعية.

فنقول أما خلاف النصوص الشرعية فغير صحيح، فإن النبي عليه الصلاة والسلام هو الذي حقّر الدجال وأنه أهون علىٰ الله من أن يكون كالهيئة التي تصورها المغيرة وغيره، وأيضا ففتنة الأئمة المضلين التي لا يكاد يسلم منها أهل زمن من الأزمان أخوف عند رسول الله عليه الصلاة والسلام من فتنة الدجال، ومعلوم أن أهل السنة عموما يخافون من الفتن، لكنها إذا وقعت تصدىٰ لها رجالهم ولم يخافوا في الله لومة لائم، فلا زالوا غصصا في حلوق أهل البدع، ولا زالوا سما زعافا للباطل وأهله علىٰ مر العصور، وهكذا هم مع الدجال يخافون منه كما يخافون من الفتن وسيتصدون له كما يتصدون لها، وقد بانت لنا هذه الفتن بفضل الله تعالىٰ وصرفها الله عنا، فليس شيء أبغض إلينا منها ولا أحقر عندنا من أهلها، وتقدم الكلام في النصوص الشرعية

فلا مخالفة بين ما نكتبه وبينها، بل ما نكتبه هو الذي لا يصح الخروج عنه لموافقته للنصوص الشرعية بأسلوب علمي من فضل الله سبحانه وتعالىٰ.

وأما التصور الشائع لحقيقة فتنة الدجال فإنه ما جاء إلا من قلة الفهم لأحاديث رسول الله عليه الصلاة والسلام والجمع بينها.

ويحق لعامة الناس أن يعظم في نفوسهم الدجال لأنهم أتباع كل ناعق إلا من رحم الله، ولا شك أن من كان من وقود الفتن أنهم من وقود فتنة الدجال من باب أولىٰ إلا أن يشاء الله.

أما أنتم يا أهل السنة فنبشركم أنه لا خوف عليكم من فتنة الدجال ولا تعطوه فوق مستواه، ففتنة الدجال كما ورد في الحديث السابق **"وَلَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِمَّا قَبْلَهَا إِلَّا نَجَا مِنْهَا"** فهو ساحر دجال مارق أهون وأحقر علىٰ الله من أن يكون معه نظير ما مع أنبياء الله تعالىٰ، ولا يعظم إلا في نظر من يفتن به ممن فُتِن من المسلمين بالفتن التي قبل الدجال، أما أنتم فقد نجاكم الله من الفتن وسينجيكم من فتنة الدجال، حتىٰ وإن خالفني بعضكم في تقرير هذه المسائل، ونسأل الله أن يجعلكم من أولئك الذين بشّر بهم النبي عليه الصلاة والسلام أنه قد بلغ من إيمانهم أنهم يقاتلون الدجال فضلا عن أن يفتنوا به،" **لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَىٰ الْحَقِّ، ظَاهِرِينَ عَلَىٰ مَنْ نَاوَأَهُمْ ، حَتَّىٰ يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ** " رواه أحمد وأبو داود عن عمران بن حصين وهو صحيح.

فالدجال في نفوس هؤلاء أحقر شيء وأذله فليس له عندهم إلا الرصاص الأحمر والسيوف الباترة، فليكن الان كذلك، فالذين يقفون لقتال الدجال لا يعتقدون فيه المعتقدات التي تلقي في قلوبهم الرعب منه ومما معه من الدجل والتمويه.

والخلاصة أن الأخبار التي جاءت في السنة مما يتعلق بغيب آخر الزمان تحمل علىٰ الأسباب العادية ما أمكن، ولا يلجأ للمعجزة وخرق العادة إلا بدليل صحيح صريح، وقد ثبت عندنا بالعادة أن كثيرا من الأخبار المنسوبة للدجال يجري مثلها جريان الأسباب مع مسبباتها في زماننا، فحملها عليها أولىٰ من نسبة المعجزات للدجال، وإلحاق الدجال بنظائره من الدجاجلة أولىٰ في الشرع من إلحاقه بخيرة الخلق وصفوتهم من الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه.

❊❊❊

## الفصل السادس
## وهو عبارة عن ثلاث مسائل تتعلق بنبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام.
## المسألة الأولى نفَسُ عيسى

وهي عبارة عن تحقيقات علمية تتعلق بقضية النَّفَس الذي يموت به الكافرون زمن عيسىٰ وينتهي حيث ينتهي الطرْف، والمسألتان المتبقيتان ذكرناهما استطرادا للفائدة.

فالمسألة الأولىٰ وهي موطن الشاهد من هذا الفصل أن المقصود بالنفس التنفيس، وأن هذا التنفيس حاصل بأسباب عادية لم يكن الأولون يستطيعون تصورها، فأخبر النبي عليه الصلاة والسلام عنها بخبر عام فهم منه بعض الشراح المتأخرين حقيقة هواء الصدر، وسار علىٰ فهمهم كل من جاء بعدهم مسلما لهم دون تحقيق في هذه المسألة، ودليلها ما ورد في صحيح مسلم عن النواس بن سمعان في خبر نزول عيس عليه الصلاة والسلام **"فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَىٰ أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّىٰ يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ"**

فقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث **"فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ"** يحتمل معنيين يدل عليهما ظاهر اللفظ:

المعنىٰ الأول أن يُفسَّر بالنّفَس المعروف، وهو الهواء الخارج من الصدر، وأن هذه معجزة من الله سبحانه وتعالىٰ وكرامة علىٰ يد هذا النبي الكريم.

والمعنىٰ الثاني أن يكون المراد بالنفَس هو التنفيس علىٰ المسلمين بعيسىٰ عليه الصلاة والسلام، وليس الهواء الخارج من الصدر.

والمعنىٰ الأول هو الذي جرىٰ عليه جمهور المفسرين والشراح للحديث، فقالوا بأن الله تعالىٰ يقوي نفَس عيسىٰ عليه الصلاة والسلام حتىٰ ينتهي حيث ينتهي طرف عيسىٰ.

لكن وردت عليهم إشكالات فاضطربوا في الإجابة عنها، منها أن الدجال رأس الكافرين ولا يموت بذلك النفَس!

فأجاب بعضهم بأن الدجال مستثنىٰ فلا يموت بالنفَس لحكمة قتله ورؤية الناس دمه، وقال بعضهم بأن الكرامة سترفع ولا يلزم استمرارها، وبعض شراح الحديث لما أشكل عليه نَفَس عيسىٰ كيف يكون قاتلا ومع هذا لا يموت منه الدجال! قال بإمكانية التحكم بهذا النفس وأنه يَقتل به من أراد، وأنه ليس النفس المعتاد كما ذكره صاحب مرقاة المفاتيح عند شرحه لهذا الحديث.

وليس مع أحد منهم دليل علىٰ ما علل به إلا مجرد الاجتهاد، وهذا الإيراد وارد، وكل ما ذكروه غير كاف لتبريره ورده، فلو كان النفس حقيقيا لما احتاج عيسىٰ لمطاردة الدجال حتىٰ يدركه فيقتله، ولكان قتله بهواء الصدر كافيا، كما في سياق الحديث **"فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّىٰ يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ"** وليس عيسىٰ بحاجة أن يؤخر الدجال عن القتل مع الكافرين حتىٰ يقتله بحربته لأجل أن يري المسلمين دمه ليتأكدوا أنه ليس برب! فكل من مع

عيسىٰ مؤمن بالله وكافر بالدجال، سواء قُتِل الدجال عندهم أو أخذته الريح أو بلعته الأرض فكلهم علىٰ يقين من أمره.

ومما يَرِدُ علىٰ المعنىٰ الأول أيضا في تفسير نفَس عيسىٰ بهواء الصدر لو كان كرامة خارقا للعادة أن يأجوج ومأجوج حين يخرجون علىٰ عيسىٰ لا يموتون من ذلك النفَس وهم كفار، وليس هناك دليل علىٰ أن الله تعالىٰ سيرفع هذه الكرامة عن عيسىٰ.

ونحن نحقق هذه المسألة بما نراه يقربنا لله سبحانه وتعالىٰ، ونذكر الأدلة التي تخالف المعنىٰ الذي سار عليه الجمهور رحمهم الله.

ولما كانت هذه المسألة من المسائل التي انفردتُ بها بنفسي ولا أعلم أحدا سبق إليها من قبل أو من بعد، وهذا من فضل الله سبحانه وتعالىٰ عليّ، وقد ذكرتها في الطبعات السابقة باختصار، أحببت أن أوسّع القول فيها نوعا ما في هذه الطبعة لأن الاعتراض علي فيها ربما يكون أكثر من غيرها بحكم انفرادي بها، ولعل من أكبر الاعتراضات التي يواجهني بها بعض إخواننا المتشبهين بالظاهرية قولهم: من سبقك لهذا؟

وهذا السؤال بذاته عبارة عن قاعدة محدثة ما أنزل الله بها من سلطان، وليس المقام مقام بيان بطلان اطلاقها لكن نقول فيها باختصار: إن من لازمها أن يقال للتابعين في كل ما اجتهدوا فيه بأنفسهم: من سبقكم لهذا؟

وهكذا يقال لأتباع التابعين في اجتهاداتهم من سبقكم لهذا؟ وهكذا من بعدهم في كل عصر من العصور، فكل من قال بقول لم يسبقه أحد قبله يقال له لأجل رد قوله: من سبقك لهذا؟ وهذا مؤداه غلق باب الاجتهاد والاستنباط والاقتصار علىٰ فتاوىٰ الصحابة وحدهم، وعدم الكلام في المسائل النازلة، ولا يخفىٰ فساد هذا.

فنقول: إن جل النصوص المتعلقة بالغيب تخالف حقيقتُها ظاهر المعاني المعروفة من الألفاظ الدالة عليها، من ذلك صفات الرب سبحانه وتعالىٰ، وصفات الجنة والنار وصفات الملائكة، وقد أكثر الله سبحانه وتعالىٰ من بيانها ووصفها في كتابه الكريم حتىٰ كأنها من الأمور المعلومة، وأحداث آخر الزمان كذلك من هذا الباب من الغيبيات، ولما كانت كذلك أجراها كثير من المتقدمين علىٰ الأمور الخارقة للعادة، وذلك أنها تخالف الحقائق والسنن الكونية التي يعرفونها، وليس ثمة نص شرعي اعتمد عليه الشراح الأوائل يدل علىٰ خرق العادة.

وليس شيء مما تقدم من مسائل الغيب يُمنع تشبيهه أو تصوّره أو تكييفه غير صفات الرب سبحانه وتعالىٰ لورود الأدلة علىٰ ذلك، قال الله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشُورَى : ١١] وقال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النَّحل : ٧٤] وقال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأَعْرَاف : ٣٣] ولم يرد مثل هذه الأدلة في حق أحد غير الله تعالىٰ، فهذه الثلاث الآيات تعتبر عمدة علمائنا المتقدمين في الكلام علىٰ أسماء الله تعالىٰ وصفاته، وهي مختصة بالله عز وجل، ومن أراد سحب دلالتها لغير الله تعالىٰ وتطبيق مفهومها أو منطوقها علىٰ عيسىٰ أو غيره فدونه المفاوز والفلوات التي تنقطع دونها أعناق المطي.

ونذكر هنا إن شاء الله بعض القواعد المهمة في بيان صحة ما كتبناه وقررناه في نفَس عيسىٰ عليه الصلاة والسلام حتىٰ يسهل الوصول بها للمراد.

## القاعدة الأولى

أن عيسىٰ ليس مثل الرب سبحانه وتعالىٰ، فعيسىٰ مخلوق بشري مثله مثل جميع البشر، له ما لهم وعليه ما عليهم، وأن الأمور الخارقة المنسوبة إليه كلها بإذن الله تعالىٰ، وقد جاء التنصيص عليها في القران.

فنحن حين نفينا عنه هذه الصفة فقد جعلناه في حقيقته البشرية التي خلقه الله عليها وخلق عليها كل البشر، ولم نخرج عنها، ولم نتضع برفيع القدر عن منزلته، التي يشاركه فيها جميع الأنبياء، لكن نفينا هذا القدر الزائد الذي لا يجوز إثبات مثله إلا بدليل شرعي صريح، أما الرب سبحانه وتعالىٰ فنفي الصفات المثبتة له أو تأويلها يعتبر نقصا في كماله سبحانه وتعالىٰ.

❊❊❊

## القاعدة الثانية

أنه لم يسبق أحد من السلف الكرام لتفسير النفس بهواء الصدر.

فقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام خبرا عاما، ونقله النواس ابن سمعان كذلك، ورواه الأئمة كما سمعوه، حتىٰ جاء بعض الشراح المتأخرين وفسروا النفس بهواء الصدر اجتهادا من أنفسهم، وحملوا الحديث علىٰ أحد المعنيين المحتملين من ظاهر اللفظ، بلا قرينة ترجح لهم تفسير النفس بالهواء وليس بالتنفيس، وهو ما سنذكره في القاعدة الثالثة إن شاء الله تعالىٰ.

ونحن مأمورون بفهم السلف الصالح وهم صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام، أما من جاء بعدهم فهو مأمور أن يقتصر علىٰ فهمهم أيضا، أو يجتهد في أمور لم يتكلموا فيها، ويكون اجتهاده مبنيا علىٰ أصول صحيحة توافق أدلة الشرع ومقاصد الإسلام، قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّ إِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البَقَرَة: ١٣٧] وقال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحَشر: ١٠] وقال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النِّسَاء: ١١٥] وقال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التَّوبَة: ١٠٠] فكل من جاء بعد الصحابة لا يليق به إلا أن يكون متبعا، ولا يصح حمل دلالة هذه الآيات علىٰ أحد غير الصحابة، ولم يرد دليل بمتابعة غير الصحابة والأخذ بفهمهم، وعليه فمن رماني بمخالفة فهم السلف بسبب تفسير نفَس عيسىٰ فهو ظالم يتكلم بغير حق وعلم، لأن السلف كما تقدم لم

يتعرضوا للكلام في هذه المسألة، وهكذا لم يتعرضوا لكثير من المسائل حتىٰ يأتي وقتها فيحتاج الناس إليها فيتكلم فيها العلماء كل في زمنه حسب فهمهم واجتهادهم، وكل يؤخذ من قوله ويرد، وإن احتج أحد بفهم السلف لنصوص الصفات فهذا أمر آخر تفرد به الرب سبحانه وتعالىٰ كما تقدم لا يلحقه فيه عيسىٰ ولا غيره، حتىٰ نجري النصوص في وصفهم كما أجرىٰ السلف النصوص في وصف الله تعالىٰ.

فإن كان الحامل لمن ظلمني في هذه المسائل علىٰ كلامه فيّ تأويل سائغ أو الغيرة علىٰ الدين في نظره فهو في حل، وإن كان الحامل له غير ذلك فهو عبد لله يحكم الله فيه ما يشاء وله الحكمة البالغة، وليس لنا من الأمر شيء.

❊❊❊

## القاعدة الثالثة

أن ظاهر لفظ حديث النواس ابن سمعان يحتمل المعنيين: هواء الصدر والتنفيس، وليس صريحا في هواء الصدر.

وهذا لفظه **"إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَىٰ أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ"**

فهذا الحديث يحتمل من ظاهره أن المراد هواء الصدر، وهو الاحتمال الأقوىٰ من هذا الحديث بمفرده، ويحتمل أن المراد تنفيسه، ويدل علىٰ هذا المعنىٰ حديث **"أجد نفس الرحمن من قبل اليمن"** فقد فسر العثيمين في القواعد المثلىٰ هذا النفس بالتنفيس وأنه المراد من ظاهر اللفظ بدون تأويل، وأن نفَس اسم مصدر التنفيس.

ويضاف للضمير والظاهر، فإضافته للظاهر كما في (نفَس الرحمن) وإضافته للضمير كما في هذا الحديث الذي نتكلم فيه (نفَسه).

وذِكْر الريح للنَفَس في الحديث ليست قرينة كافية علىٰ الجزم بأنه هواء الصدر فالتنفيس أيضا قد يكون بأسباب لها ريح قاتلة مميتة.

بل القرينة المتفق عليها حاصلة في المعنىٰ الثاني، فإنهم يكونون في شدة عظيمة فحين ينزل عيسىٰ يحصل التنفيس بقتل الدجال وجنوده والقضاء علىٰ فتنته تماما، فجيش عيسىٰ عليه الصلاة والسلام قد سحق الجيوش الرومية الأوربية مجتمعة، فأنىٰ لأمة اليهود الجبانة التي قد ضربت عليها الذلة، وزعيمها الدجال المارق أن تثبت أمام

هؤلاء الأخيار؟! بل ينهزمزن شر هزيمة، حتىٰ أن معركتهم لم تُذكر كما ذكرت المعركة مع الروم، وذلك لسهولتها بالنسبة لمعركة الروم وسرعة القضاء علىٰ الدجال ودولته اليهودية.

ولا يستطيع أحد أن ينفي التنفيس بعيسىٰ عليه الصلاة والسلام، فليس الخلاف عليه، لكن الخلاف في ماهية هذا التنفيس هل هو هواء الصدر أو غيره؟

واللفظ هنا "رِيْحَ" وقد جاء في القران والمراد به القوة، وأيضا جاء والمراد به الرائحة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ وَٱصۡبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾ [الأنفال : ٤٦] وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ٩٤﴾ [يُوسُف : ٩٤] فإذا فسرنا الريح بالقوة يكون معنىٰ الحديث (فلا يحل لكافر يجد قوة نفسه) والذي نريده من هذا أن نثبت أن التنفيس قد يكون محتملا من ظاهر الحديث وليس تأويلا محضا.

وبالنظر لبقية الأدلة الواصفة لعيسىٰ عليه الصلاة والسلام كما ستأتي إن شاء الله يتبين أن المراد هو الاحتمال الثاني.

وكثير من أحكام الشرع في العقيدة والفقه تؤخذ من مجموع الأدلة، وضم بعضها لبعض وتفسير بعضها ببعض، فالخاص يفسر العام، والمقيد يفسر المطلق، والمبين يفسر المجمل، وهكذا، فيؤخذ الحكم الشرعي من عموم الأدلة بمجموعها، وهذه طريقة الراسخين في العلم، وبها عرف أهل العلم العقيدة الصحيحة، وقواعد الأسماء والصفات، والأحكام الشرعية الخمسة خصوصا المندوب والمكروه، أما من أخذ طرفا من الأدلة وعمل بما يراه من ظاهرها فهو من اتّباع المتشابه الذي حذر الله تعالىٰ

منه، وهو صنيع الفرق الضالة المتقدمة والمتأخرة، حيث يأخذون طرفا من أدلة الشرع ويتشبثون بما يرونه المراد من ظاهرها، رامين دلالة غيرها من نصوص الشرع عرض الحائط بالتأويل والتحريف والتعطيل وغيره، وسيأتي معنا ذكر هذه الأدلة في القاعدة السادسة من هذه القواعد إن شاء الله.

والذي صنعه إخواننا هنا أنهم ردوا دلالة تلك الأحاديث التي لا تجتمع مع كون النفس هواء صدر عيسىٰ، ولم يبالوا بها، ولا ندري ما هي تأويلاتهم لها لأننا لم نجد قبولا منهم للنقاش والطرح العلمي، كل ذلك لأجل التمسك بظاهر حديث النواس وهروبا من تأويل المبتدعة زعموا، فصاروا كالمستجير من الرمضاء بالنار.

ولا نشك الان أن تفسير النفس بهواء الصدر قول ضعيف مرجوح لاضطراب القائلين به، وللأدلة الكثيرة التي تدل علىٰ خلافه، وقد كنا نشرنا رسالة سابقة قبل تأليف هذا الكتاب وتوقفنا في هذه المسألة بذاتها، وذكرنا المعنىٰ الثاني ولم نقطع به، فثار علينا بعض إخواننا فنسب لنا الجزم بالقول الثاني تسرعا منه، وها نحن الان نجزم به ولله الحمد، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

❊❊❊

## القاعدة الرابعة

أن الشراح لهذا الحديث قد قالوا في تأويل هذا النفس أمورا باجتهادهم لا تحتمل منهم عند إخواننا بمجرد الرأي، منها إمكان التحكم بهذا النفس ليقتل به عيسىٰ من أراد، ومنها أنه ليس النفس المعتاد، ومنها أنه سيرفع عن عيسىٰ ولا يلزم استمراره، ومنها أنه لن يقع من عيسىٰ إلا بعد قتل الدجال.

وهذه الأقوال ذكرها القاري في مرقاة المفاتيح، وكلها قد قيلت بمجرد الرأي والاجتهاد، اضطرهم إليها ما رأوه من مصادمة هواء صدر عيسىٰ لبعض الأدلة الصريحة.

فماذا نسمي هذا إن لم يكن من التأويل حسب قاعدة إخواننا التي أنكروا بها علي: من (سبق لهذا)؟

❊❊❊

## القاعدة الخامسة

أن الله تعالىٰ ذكر في كتابه الكريم عيسىٰ وذكر كل كراماته والمعجزات التي تظهر علىٰ يديه، في سياق تبشير أمه في الدنيا، وفي سياق الامتنان عليه في الآخرة، فمنها ماهو حاصل زمن بعثته عليه الصلاة والسلام، وهي الأكثر كما هو حال الأنبياء، تأييدا لهم ودلالة علىٰ صدقهم ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النِّسَاء : ١٦٥] ومنها ما هو قبل قيام الساعة حين نزوله حكما عدلا.

فالذي معه من المعجزات والكرامات زمن بعثته أن الله تعالىٰ خلَقه من أم بلا أب، ونفخَ فيه من روحه، وهكذا كلامُه في المهد، وتعليمه التوراة والإنجيل، وأنه يبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله، ويحيي الموتىٰ بإذن الله، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله، وأن الله كف عنه بني إسرائيل برفعه للسماء حين أرادوا قتله وشبه لهم غيره به.

فهذه دلائل ومعجزات تدل علىٰ صدق عيسىٰ عليه الصلاة والسلام وأنه رسول إلىٰ بني إسرائيل من رب العالمين.

وأما ما يحصل له من الكرامات بعد نزوله من السماء آخر الزمان فهو ما بشّر الله به أمّه عليها السلام في القران بقوله: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [آل عِمْرَان : ٤٦] أعني كلامه في الكهولة بالعربية وهي غير لغته التي أرسل بها، وبقوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾ [آل عِمْرَان : ٤٨] أعني تعليمه القران والسنة حين

يحكم بهما، وسيأتي معنا هذا إن شاء الله في المسألتين اللتين استطردنا بذكرهما في هذا الفصل.

فلم يذكر الله تعالىٰ في كرامات عيسىٰ الخارقة للعادة أن له نفَسا يخرج من صدره فيمتد حتىٰ يقتل الكافرين منتهىٰ طرفه عليه الصلاة والسلام، مع أن هذا النفَس لو كان هواءَ صدره لكان ذكره أولىٰ من إبراء الأكمه والأبرص وخلق الطين كهيئة الطير، وأقوىٰ من تخليصه من بني إسرائيل لما أرادوا قتله، فهذا من أقوىٰ ما نرد به علىٰ من أنكر عليّ وجمد علىٰ اجتهادات بعض الشراح المتقدمين.

فإن قال قائل :إن هذه الكرامات حصلت في زمن عيس مع بني إسرائيل، أما النفس فسيكون قرب الساعة في أحداث آخر الزمان.

فنقول إن الله تعالىٰ يمتن علىٰ عيسىٰ بذكر هذه الكرامات يوم القيامة كما في سورة المائدة، فهذه الكرامة ليست مذكورة لا في الدنيا ولا في الآخرة، فدل هذا علىٰ أنها ليست من نظائر تلك الكرامات المذكورة وإلا لذُكِرت معها، فليست أقل أهمية منها لو كانت كذلك، لكنها أسباب عادية يشترك فيها عيسىٰ وغيره والله أعلم.

❊❊❊

## القاعدة السادسة

ذكر عموم الأدلة التي تتصادم دلالتها مع كون المراد بنفسه في الحديث هواء الصدر.

فمن هذه الأدلة قوله عليه الصلاة والسلام في نفْس الحديث عن يأجوج ومأجوج

**"فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ أَوْحَىٰ اللهُ إِلَىٰ عِيسَىٰ : إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَىٰ الطُّورِ"**

والشاهد **"لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ"**

فلو كان النفس كرامة خارقا للعادة لما علل الله تعالىٰ لعيسىٰ سبب التحرز إلىٰ الطور بأنه تفَوُّق قوة العدو، لأن عيسىٰ له أن يدعو ربه فيقول نعم يارب لا يدان لأحد بقتالهم لكن نسألك هواء صدري القاتل للكافرين، فنحن الان أحوج ما نكون إليه، وحاجتنا إليه الساعة أعظم من حاجتنا له حين كان موجودا في قتال الدجال وجنده من اليهود!

فوحيه تعالىٰ لعيسىٰ دليل علىٰ أن عيسىٰ لم يكن عنده إلا القتال بالأسباب المتاحة له، وليس بالأسباب السماوية الخارقة للعادة، وأن يأجوج ومأجوج عندهم من الأسباب نظيره وأكثر منه حتىٰ إنه لا يدان لأحد بقتالهم، فدل هذا اللفظ **"لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ"** علىٰ أن عيسىٰ كان يقاتل بيديه هو ومن معه بأسباب حسية، ولمّا كانت قدرة يأجوج ومأجوج أكبر من قدرته جاءه الوحي بذلك، ولولا أن الله تعالىٰ أوحىٰ إليه أن يتحرز إلىٰ الطور لما تحرز ولقاتل أولئك العباد الذين خرجوا لقتاله، ويكون في هذا هلاكه وهلاك من معه من المسلمين.

وحكمة الله تعالىٰ تقتضي أن تنزل المعجزة والكرامة حيث تعجز الجهود البشرية فتأتي البركات والفتح من رب البرية، أما والمجهود البشري لا زال قادرا علىٰ بذل الأسباب فإن الله تعالىٰ أجرىٰ العادة بربط الأسباب بمسبباتها.

والكرامات والمعجزات لا تسلب من الأنبياء لا سيما إذا كانوا بحاجتها، فلهذا تعظم مناشدته لربه هو وأصحابه حتىٰ يخلصهم الله من يأجوج ومأجوج، فعيسىٰ حين نزوله من السماء لم يبلغنا دليل أنها تعظم مناشدته لربه كي ينصره علىٰ الدجال وجنده، بينما تعظم منه المناشدة حين حصار يأجوج ومأجوج له، فالأَولىٰ بموطن الكرامة والمعجزة أن يكون حين تعظم الحاجة لها، فلهذا يُهلك الله تلك الأمة القوية التي لا يدان لأحد بقتالهم في ليلة واحدة، وهذه هي المعجزة والكرامة ما جاءت إلا بعد ضيق ومحنة، وهي من جنس الكرامات التي حصلت للرسل من هلاك أقوامهم المكذبين، فليست مختصة بعيسىٰ حتىٰ يذكرها الله له كما ذكر له غيرها.

وهؤلاء الجنود الذين مع عيسىٰ قد أهلك الله علىٰ أيديهم فارس والروم وفتحوا قسطنطينية بعدما فتحوا جزيرة العرب، فهم أهل بأس وقوة، وليسوا في الضعف بمنزلة من لا يستطيع النصر إلا بخرق العادة! وقد كانوا يتجهزون لغزو الدجال قبل نزول عيسىٰ عليه الصلاة والسلام.

والأحاديث التي تحكي حال آخر الزمان لا يلزم منها أن تكون كلها خارقة للعادة، ولا يلزم كذلك أن تكون كلها مبنية علىٰ الوسائل والأسباب العصرية، لكن المسألة فيها تفصيل:

فما أمكن منها أن يجري علىٰ عادة العصر التي هي فيه فإنها تحمل عليه، ولا يُتعسف في كونها كرامة ومعجزة خارقة للعادة ولابد!

وما كان منها قطعي الدلالة علىٰ المعجزات الخارقة للعادات فإننا نبقىٰ فيه علىٰ ما جاءت به ظواهر النصوص القطعية، ونحكم فيه بظاهره.

وأما ما احتمل التأويل فإنه لا يُجزم فيه إلا بأدلة واضحة وصوارف ظاهرة.

هذه ثلاثة أحوال.

وهذه المسألة قد تنبه لها السندي رحمه الله فقال في حاشيته علىٰ سنن ابن ماجه عند شرح حديث النواس: وكأنه تعالىٰ ما أراد موتهم بريح نفس عيسىٰ عليه السلام وإلا لما كانت حاجة إلىٰ قتالهم. اهـ

وصدق رحمه الله فإنه لا حاجة للقتال مع وجود هذا النفس، لكن السندي علل ذلك بأن المانع من قتل يأجوج ومأجوج بالنفَس هو إرادة الله ذلك، وهذا التعليل بالتحكّم بإرادة الله غير صواب، إذ لو كان كذلك لأوحىٰ الله تعالىٰ لعيسىٰ إني لم آذن لك بقتلهم، وليس **"لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ"** فتفسير النفس بالتنفيس لو قال به السندي رحمه الله أولىٰ من التحكم بإرادة الله تعالىٰ بلا دليل.

ومن هذه الأدلة ما رواه أحمد وأبو داود عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **" لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَىٰ الْحَقِّ، ظَاهِرِينَ عَلَىٰ مَنْ نَاوَأَهُمْ ، حَتَّىٰ يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ "**. وهو حديث صحيح

والشاهد أن الدجال يقاتِل هو وأصحابه، والمؤمنون كذلك يقاتلونهم، ولا يصح نسبة القتال إليهم ما دام أن أتباع الدجال يموتون مباشرة بنفس عيسىٰ من صدره أول نزوله،

وهو يهرب حتىٰ يدركه عيسىٰ فيذوب عند رؤيته ثم يطعنه بالحربة فيقتله، فمتىٰ عساهم يتقاتلون؟ لكن لو كان النفس عبارة عن التنفيس فإن الدجال يأمر بالقتال ويقوم أتباعه بالقتال حتىٰ تتصدىٰ لهم الطائفة الناجية، فيقتلونهم حتىٰ يختبئوا خلف الأشجار والأحجار فتنطق وتقول يا مسلم هذا يهودي ورائي تعال فاقتله، حتىٰ يقتل عيسىٰ الدجالَ، فيصدق عليهم حينئذ أنهم يقاتلون الدجال، وهذا واضح لمن تأمله.

ولا يصح حمل هذا علىٰ ما بعد قتل الدجال، لأنه لا يصح نسبة القتال لرجل قد مات قبلُ، علىٰ أنه لا يدل أي دليل علىٰ رفع كرامة هواء الصدر عن عيسىٰ لو كانت كذلك بمجرد قتل الدجال.

ولم يثبت دليل علىٰ وقوع معركة بين المسلمين والدجال قبل نزول عيسىٰ، وما ورد من ذلك فهي أحاديث ضعيفة مُطّرحة لا تقوم بها الحجة.

ومن هذه الأدلة أيضا حديث نافع بن عتبة وفيه عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم " **تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللهُ**". والشاهد أنه يحصل من المؤمنين غزو للدجال ثم يقع الفتح، فأنىٰ لذلك أن يكون مع هواء الصدر الذي اختص بعيسىٰ وحده! فكيف ينسب النبي عليه الصلاة والسلام الغزو والفتح لأولئك وهم لم يفعلوا شيئا وإنما يقضي علىٰ عدوهم وعلىٰ الدجال عيسىٰ بهواء صدره وحربته لا غير؟

ومن الألفاظ النبوية الدالة علىٰ أن النفَس ليس أمرا خارقا للعادة

ما في الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي عليه الصلاة والسلام قال **"وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّىٰ لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ"**

فهذه الأوصاف أوصاف رجل يقاتل بأسباب حسية، ويجاهد في سبيل الله بما تحمله كلمة الجهاد من معان.

ولو كان يقتل الكافرين بنفَسه فإنه لا تصح نسبة كسر الصليب وقتل الخنزير ووضع الجزية إليه إلا كنسبة فلق البحر لموسىٰ عليه الصلاة والسلام بعصاه.

ولكان هلاك الكافرين في زمانه نظير هلاك عاد وثمود والأمم الكافرة المعذبة بالأسباب السماوية الخارجة عن القدرة البشرية.

فعيسىٰ عليه الصلاة والسلام يقاتل الأمم الكافرة، وتنتهي في زمانه الملل كلها ولا يبقىٰ إلا الإسلام.

ومن هذه الأدلة ما رواه مسلم عن أبي هريرة في الحرب مع الروم وفتح القسطنطينية وفيه **"فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ، يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّىٰ يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ"**

والشاهد منه ذوبان الدجال حين رؤية عيسىٰ عليه الصلاة والسلام، وعيسىٰ لا يريد للدجال أن يذوب، بل يتعمد قتله ويري الناس دمه، ولو تركه لذاب كما يذوب الملح حتىٰ يهلك ولن يكون له أي شأن.

فإن قال قائل إن ذوبان الدجال بسبب نفَس عيسىٰ، فيلزمه أن يقول بذوبان جميع الكفار الذين يجدون نفسه، ولا دليل علىٰ هذا ولا هذا.

ومن قال بالخصوصية في الدجال أنه يذوب بسبب خلقته التي خلقه الله عليها فلا دليل عليه أيضا.

فخلص من هذا أن عيسىٰ عنده أسباب تجعل الدجال يذوب حين مقابلته، مع أن ذوبانه غير مرغوب فيه مطلقا عند عيسىٰ، فيثبته بالذوبان في محله ثم يسرع إلىٰ قتله بحربته، ومن صرّح بأن مجرد رؤية عيسىٰ أو ريح نفس صدره هي التي تذيب الدجال فهو مخطئ، فليس معه دليل ولا سلف إلا اتباع الظن.

وإخبار النبي عليه الصلاة والسلام بذوبان الدجال عند رؤية عيسىٰ إنما هو لبيان الظرف الزماني لا غير؛ وليس لبيان سبب الذوبان، فسبب الذوبان مسكوت عنه.

هذا الذي تقدم إنما هو في حال كان الذوبان علىٰ حقيقته جزما، وإلا فهناك وجه قوي أن المراد بالذوبان مجرد الهلاك، وليس الحقيقة التي يكون عليها الملح حين يختلط بالماء، ويدل علىٰ هذا ما رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة وسعد ابن أبي وقاص عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم في شأن المدينة أنه قال: **"مَنْ أَرَادَ أَهْلَهَا بِسُوءٍ أَذَابَهُ اللهُ كَمَا يَذُوْبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ"** وفي رواية لأبي هريرة عند أحمد **"لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلَا الدَّجَّالُ، مَنْ أَرَادَهَا بِسُوءٍ أَذَابَهُ اللهُ كَمَا يَذُوْبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ"**ولم يعلم قط ممن قصد المدينة بسوء خلال أربعة عشر قرنا أنه ذاب كما يذوب الملح في الماء حقيقة، ولكنهم أُهلِكوا وعوقبوا وأخزاهم الله وانتهىٰ أمرهم كما ينتهي الملح في الماء، والحديث صحيح في مسلم! فحمل الحديث هنا علىٰ ظاهره يستلزم

تكذيب النبي صلىٰ الله عليه وسلم، لأن هذا خبر لم يقع قط، وحاشاه عليه الصلاة والسلام أن يخبر عن أمور لا حقيقة لها، ولكن المراد هنا الهلاك وليس حقيقة الذوبان، وكذلك قد يكون المقصود بذوبان الدجال هو الهلاك والخزي والاضمحلال وليس الحقيقة المتبادرة من ظاهر اللفظ، نظيره حديث **"أَطْوَلُكُنَّ يَداً"** لكن المشكلة عند بعض الإخوة هي الظاهرية الزائدة عن حدها والجمود الذي أنكره السلف، فبعضهم يريد أن يطبق قواعد الأسماء الحسنىٰ والصفات العليا المختصة بالله عز وجل علىٰ كل شيء، فصار الأمر مخلطا عليه! فيا معاشر العقلاء! متىٰ صار عيسىٰ ابن مريم ليس كمثله شيء بحيث لا يجوز أن نضرب له الأمثال كالرب جل وعلا؟ بل الأقبح من ذلك متىٰ صار الدجال بهذه المنزلة؟

ومن هذه الأدلة التي تدل علىٰ أن نفَس عيسىٰ ليس أمرا خارقا للعادة ولكنه سبب من أسباب التنفيس الرباني ما في الصحيحين واللفظ لمسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **" لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّىٰ يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ : يَـا مُسْلِمُ، يَـا عَبْدَ اللهِ، هَذَا يَهُـودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ. إِلَّا الْغَرْقَدَ؛ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ "**.

والشاهد منه أن اليهود يموتون بقتل المسلمين لا بهواء صدر عيسىٰ الخارق للعادة، ولا يسلم من القتل إلا من بقي منهم مختبئا، وذلك لأن نفَس عيسىٰ لم يدركهم فقد انتهىٰ دونهم بالأشجار والأحجار.

واليهود هم أتباع الدجال، فمعه من يهود أصفهان سبعون ألفا وهم كذلك مع من سواهم من أتباع الدجال حين يجتمعون لقتال جيش المهدي الذي مكث في الشام بعدما رجع من فتح القسطنطينية استعدادا لغزو الدجال.

فعيسىٰ حين ينزل فإنه لن ينفرد بالدجال في مدينة خالية، أو صحراء بعيدة، لأن أتباع الدجال من اليهود وغيرهم معه لا يفارقونه، فكيف يستقيم موتهم بالجائحة السماوية من خلال نفَس صدر عيسىٰ مع اقتتالهم مع المسلمين وتسلط المسلمين عليهم وقتلهم لهم؟

فإما أن يقتلهم المسلمون، وإما أن يموتوا بنفَس عيسىٰ لأن الهواء الخارج من الصدر لا يوقفه شجر ولا حجر!

وقد تنبه السندي في حاشيته علىٰ ابن ماجه أيضا لهذه المسألة فنقل عن القاضي في شرح الترمذي قوله: قد جاء أنه يقاتل الملل كلها فيحتمل أنه يريد به يقاتلهم بنفسه، ويحتمل أنه يريد أن من كان مع الدجال مات هكذا وغيرهم يموت بالسيف. اهـ

فإن كان قول القاضي: يقاتلهم بنفْسه... بتسكين الفاء وهو الأقرب عندي فهو ما أقام إخواننا الدنيا وأقعدوها لأجل الإنكار علي فيه، من تفسير النفَس بغير هواء الصدر وهو نفْس عيسىٰ أي شخصه، وإن كان قوله: يقاتلهم بنفَسه... بفتح الفاء فهو قول لا يقبله عاقل، إذ كيف يتصور أن يغزو عيسىٰ الملل ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية بهواء صدره بدون قتال وجهاد؟! ولهذا قلنا إن الأول أقرب.

والصواب في ذلك كما تقدم أن نفَس عيسىٰ ليس أمرا خارقا للعادة ولكنه تنفيس من الله تعالىٰ وسبب يقتل المسلمون به اليهود حين يُسلطون عليهم، فيبقىٰ من لم يمت

بذاك التنفيس من اختبأ خلف الأحجار والأشجار، وذلك لأن النفس انتهىٰ دونه بنهاية الطرف.

ومما يؤيد هذا المعنىٰ أيضا من أدلة الشرع أنه يدخل في لفظ الكافر **"فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيْحَ نَفَسِهِ"** المحارب وغيره، وهكذا الرجل والمرأة، فهو عام، والعام لا يُخصص إلا بدليل.

ولم يستثن النساء والأطفال في القتل، والطبيعة البشرية يستوي فيها من حيث أسباب الموت الذكور والإناث، والكبار والصغار، والمؤمن والكافر.

والنبي عليه الصلاة والسلام نهىٰ عن قتل المرأة والشيخ الهرم وغيرهم ممن لا يشارك القتال مع الكافرين المحاربين.

فعيسىٰ عليه الصلاة والسلام أولىٰ من يمتثل أمر النبي عليه الصلاة والسلام بحيث لا يقتل بنَفَسه كلّ كافر علىٰ إطلاقه بمن فيهم المرأة والشيخ الهرم، كما يدل عليه عموم الحديث في حال فسرناه بأنه النَّفَس الخارج من الصدر.

وسيكون عيسىٰ قاتلا بنَفَسه من لا يعلم، لأن الكفار المحاربين تلك الفترة لن يجتمعوا لعيسىٰ في صعيد واحد ليموتوا بنفَسه الذي يخرج منه مد البصر في كل اتجاه.

ولا يصح قياس هذا علىٰ هلاك الأمم السابقة مع نسائهم وأطفالهم، لأن أولئك يموتون بعذاب الله، أما هؤلاء فيقتلهم عيسىٰ بنفَسه القاتل الذي يجاهد به الأمم كما تقدم من نقل السندي عن القاضي.

ومما يؤيد هذا المعنىٰ من أدلة الشرع أن عيسىٰ عليه الصلاة والسلام يضع الجزية عن الكافرين ولا يتعدىٰ هذه إلىٰ غيرها، كم تقدم عن أبي هريرة **"فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ"**.

وشرع الإسلام في الجهاد في سبيل الله، الدعوة إلىٰ الإسلام أو الجزية أو السيف.

فعيسىٰ عليه الصلاة والسلام يُسقِط الجزية فقط، فيدعو للإسلام أو السيف، ولا يبادر بالقتل مباشرة بدون الدعوة للإسلام.

ولو أجرينا اللفظ علىٰ معنىٰ هواء الصدر فإنه ينزل من السماء ثم يموت الكفار بمجرد أن يجدوا ريح نفَسه دون أن يدعوهم للإسلام، ولا الجزية، ولا السيف!

وذِكْر النبي عليه الصلاة والسلام لعيسىٰ ووصفه بوضع الجزية فيه دلالة قوية أنه سيدعو للإسلام قبل القتل وما سيترك في جهاده إلا الجزية فقط.

فأين الدعوة للإسلام مع وجود هواء يخرج من صدره عليه الصلاة والسلام فينطلق مد بصره ويقتل كل كافر مباشرة؟

فلو حملنا النفَس علىٰ هواء الصدر فنحتاج لتعسف كبير لرد كل الإشكالات الواردة عليه، بينما لو حملناه علىٰ الأسباب العادية التي ينفّس الله بها علىٰ عباده لاسترحنا من الإشكالات كلها، سواء مما أورده المتقدمون أو ذكرناه في هذه الرسالة أو غير ذلك.

ومن أحسن ما ينطبق عليه هذا الوصف **(وَنَفَسُهُ يَنتَهِيْ حَيْثُ يَنتَهِي طُرْفُهُ)** تمام الانطباق هو الأسلحة الحديثة، فإنها تنتهي بنهاية الطرف، كانت خفيفة أو متوسطة أو ثقيلة، فنهايتها حيث ينتهي طرف الرامي بها، قَرُب محل انتهاء الطرف أو بَعُد، فما

المانع أن تكون من تنفيس الله علىٰ عباده، يجريه علىٰ يدي عيسىٰ عليه الصلاة والسلام وجنوده من جيش المهدي؟

وللمسلم أن يتصور حقيقة هذا النفس الذي ينتهي بنهاية الطرف، فالطرف ينتهي إلىٰ جدار بيت قريب وإلىٰ شجرة مجاورة وإلىٰ مكان بعيد، فلو وُجد إنسان خلف شجرة قريبة أو داخل بيت قريب فإنه لن يموت بنفس عيسىٰ بسبب انتهاء طرفه دونه، فيحتاج المسلم لنداء الحجر والشجر: يا مسلم هذا يهودي...، بينما يموت من بَعُد من الكافرين الذين ليس بينهم وبين طرف عيسىٰ حاجز ينتهي إليه الطرف دونهم!

فما عساه يكون هذا النَّفَس الذي يشبه السهام النارية العصرية تماما؟

وما علاقة هذا النفس بالعين حتىٰ يكون منتهاه هو منتهىٰ الطرف وليس مد البصر؟

وأيضا ذوبان الأجسام البشرية من المسلمات في هذا العصر بسبب الأسلحة الحديثة الفتاكة، فما الذي يضطرنا لإنكار استعمالها ضد الدجال والقول بأنه أمر خارق للعادة ما دام وقد جرت أسبابه في عصرنا دون اللجوء لخرق العادة في حال حملنا الذوبان علىٰ الحقيقة؟ فإن النبي عليه الصلاة والسلام لم يذكر سبب ذوبان الدجال كما يذوب الملح، مع أنه أمر خارق للعادة في زمنه عليه الصلاة والسلام في تصور الناس، فليس من عادة الأجسام البشرية أن تذوب، أما في زماننا فهو أمر عادي معلوم مسلم به لو ألجئنا إلىٰ القول به!

فتبين بما سبق أن نفَس عيسىٰ ليس معجزة خارقا للعادة، ولكنه سبب من الأسباب التي يستعملها عيسىٰ في قتاله، وهو تنفيس من الله عزو وجل لهذه الأمة علىٰ يد عيسىٰ، فالتفسير للنفس بالتنفيس أقوىٰ شرعا من التفسير بهواء الصدر.

وهو معنىٰ محتمل من ظاهر الحديث وليس ثمة تأويل إلا في فهم المعطلة، الذين احتجوا بحديث "**نَفَسَ الرَّحْمَنِ**".

وهذا المبحث أعتبره من أعظم نعم الله وفتحه عليّ، فلا أعلم أحدا من العالمين سبق لمثله أو قريب منه، ونسأل الله تعالىٰ المزيد من فضله، فنحن نبغض التقليد بغضا عظيما، ولا نرضاه لأنفسنا ولا لغيرنا، وقد أدركنا كبار علمائنا يقول قائلهم: لا يقلدني إلا ساقط.

وأول من تعلمنا منه الاتباع وعدم التقليد والرد العلمي هو الإمام الألباني رحمه الله قبل أن أعرف أحدا من شيوخ اليمن أو أسمع له أو أحضر له في هذا الباب، فقد قرأت له رسالة يتحدث فيها عن السلفية ويرد فيها علىٰ المسعري وبن لادن، فلله دره من إمام.

ثم ذهبت لدماج في عام ستة وعشرين من الهجرة بعد الألف وأربع مائة، وكانت بداية فتنة البرامكة فكان جل كلام شيخنا يحيىٰ في تلك الفترة حول الاتباع وعدم الابتداع أو التقليد مهما كان، فوافق كلام شيخنا يحيىٰ عندي كلام الألباني رحمه الله، ولا زلنا علىٰ هذا بعد ذلك إلىٰ ساعتنا هذه نتربىٰ علىٰ التجرد للدليل وعدم التقليد، لا لمتقدم ولا لمتأخر، وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله عليه الصلاة والسلام، ولا نتهيب من قول الحق لا من صغير ولا من كبير، ولا من حبيب ولا من بغيض، ونسأل الله الثبات فيما بقي من العمر.

❊❊❊

## المسألة الثانية

هذه المسألة ذكرناها هي والتي بعدها استطرادا، وهي مسألة تعليم الله تعالىٰ عيسىٰ الكتاب والحكمة، في قوله تعالىٰ لعيسىٰ يوم القيامة: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [المَائِدَة : ١١٠] وقوله تعالىٰ مبشرا أمه مريم عليها السلام: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾ [آل عِمْرَان : ٤٨] ما المقصود بالكتاب والحكمة؟

وهذه المسألة أيضا والتي بعدها مما تفردتُ به ولا أعلم أحدا سبقني إليها بفضل الله سبحانه وتعالىٰ عليّ وله الحمد والمنة، وهناك نظائر لهذه المسائل ذكرتها في كتابي هذا الفرقان أوردتها بأدلتها، لا أعلم أحدا من المتقدمين ولا من المتأخرين تطرق لها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، نذكر هذا لا تبجحا ولكن من باب التحدث بنعمة الله، فقد سمعت بعضهم يغمزني أني قد قلدت بعض الناس في مسائلي عموما، ولعلي في نظره ممن يتابع القنوات ومواقع التواصل ويغرم بها وبغرائبها فيتلقف منها والعياذ بالله.

وقد أوردتُّ هاتين المسألتين هنا لأجل الرد علىٰ قول البعض فيما يتعلق بنفس عيسىٰ: من سبقك؟ كالحمادي وغيره ممن أنكر مسائلي كلها ونسبها للرأي، وقد أيدني شيخنا يحيىٰ في تقريري هاتين المسألتين في جلسة خاصة في فناء منزله بالجوبة حين سألته وذكرت له اعتراض بعض الشيوخ عليّ بقولهم فيهما: من سبقك؟

والخلاصة في مسألتنا هذه أن المقصود بالكتاب والحكمة هو القران والسنة، وهذا قول لم يقل به أحد من المفسرين السابقين واللاحقين فيما أعلم، وهذا تحقيق هذه المسألة:

قال الله تعالىٰ: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾﴾ [آل عِمْرَان : ٣] المراد بالكتاب هنا هو القران.

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البَقَرَة : ١٢٩] الكتاب والحكمة هو القران والسنة، وإبراهيم قبل عيسىٰ.

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البَقَرَة : ١٥١] والكتاب والحكمة هنا هو القران والسنة.

﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾ [البَقَرَة : ٢٣١] والكتاب والحكمة هنا هو القران والسنة.

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عِمْرَان : ١٦٤] والكتاب والحكمة هنا هو القران والسنة.

﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النِّسَاء : ١١٣] والكتاب والحكمة هنا هو القران والسنة.

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجُمُعَة : ٢] والكتاب والحكمة هنا هو القران والسنة.

ولا يوجد موضع في القران حسبما رأيت اقترن فيه ذكر الكتاب والحكمة وليس المراد منه القران والسنة غير هذه الآيات إلا مواضع يسيرة منها قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ۝٥٤﴾ [النِّسَاء : ٥٤] فالمراد جنس الكتب المنزلة والسنن علىٰ الأنبياء السابقين من آل إبراهيم وليس علىٰ نبي واحد بعينه.

ثم هناك موضعان آخران في القران اقترن فيهما ذكر الكتاب والحكمة، وهما ما تقدم في مسألتنا هذه، الموضع الأول حين بشر الله تعالىٰ مريم بعيسىٰ ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٤٨﴾ [آل عِمْرَان : ٤٨] والموضع الآخر حين يجمع الله الرسل يوم القيامة فيمتن علىٰ عيسىٰ بما أنعم عليه في الدنيا من النعم وأكرمه به من الكرامات ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [المَائِدَة : ١١٠]

فهل الأقرب حمل معناهما في هذين الموضعين علىٰ القران والسنة كما هو أكثر اطلاقها في القران؟ أو جنس الكتب المنزلة والحكم كما في آل إبراهيم؟ أو القراءة والكتابة كما ذهب إليه كثير من المفسرين؟ ثلاثة أقوال.

أما جنس الكتب المنزلة فهو عام وقد خصص بتعليم عيسىٰ من الكتب المنزلة الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، وليس هناك ما يدل علىٰ أن عيسىٰ تعلم كل الكتب المنزلة قبله، فهذا المعنىٰ بعيد.

وأما القول بأنه القراءة والكتابة فهو أيضا قول بعيد وإن ذهب إليه كثير من أئمة التفسير، فليس هناك دليل صحيح يدل عليه، وليست الكتابة منقبة يبلغ من شأنها أن يمتن الله بها علىٰ رسوله الكريم عيسىٰ يوم القيامة.

وأقرب الأقوال وأقواها ولو لم يصرح به أحد من قبل هو تفسير الكتاب والحكمة في هذين الموضعين بأنه القران والسنة، لأن القران أولىٰ ما يفسر بالقران وقد علمنا أن أكثر اطلاقات الكتاب والحكمة في القران المرادُ بها القران والسنة كما تقدم في الآيات.

ثانيا: ليس هناك مانع عقدي يمنع من تبشير مريم أن الله سيعلّم ولدها القران والسنة والتوراة والإنجيل وأنه رسول إلىٰ بني إسرائيل كما في سياق الآية، وليس هناك ما يصادم هذا من القران والسنة أو فهم السلف.

ثالثا: قد صح في السنة أن عيسىٰ سينزل آخر الزمان ويحكم بالقران والسنة، فيلزم منه أن يكون عالما بهما، وليس هناك أعلم منه بالقران والسنة بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام لأنه رسول كريم يوحىٰ إليه، فلا يتصور أن الله تعالىٰ كرم عيسىٰ بأن علمه التوراة والإنجيل ثم رفعه إلىٰ السماء ثم يعلمه القران والسنة لينزل آخر الزمان ليحكم بهما ثم يموت ويبعثه الله يوم القيامة ثم يمتن عليه يوم القيامة بتعليمه الكتب المنزلة علىٰ بني إسرائيل التوراة والإنجيل ويترك ذكر أعظم الكتب المنزلة علىٰ البشر اطلاقا،

أو يستبدل ذكره بذكر تعليمه القراءة والكتابة التي ليس في تعليمها كبير منقبة، ولو كان تعلمها كمالا يستحق الثناء عليه لكان أولىٰ بتعلمها النبي الأمي عليه الصلاة والسلام أفضل الأنبياء، فإنه لم يكن يكتب ولا يقرأ المكتوب.

فرد هذا القول الذي قررناه وبيناه، والتعسف في إبطاله ونسبته للتأويل الذي أنكره السلف علىٰ المبتدعة بحجة أنه لم يسبق إليه أحد، نخشىٰ أن يكون من قبيل الحسد ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النِّسَاء : ٥٤].

❊❊❊

## المسألة الثالثة

المسألة الثالثة تابعة للمسألة الثانية وملازمة لها وهي تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [آل عِمْرَان : ٤٦] فقد ذكر المفسرون في معنىٰ قوله: ﴿وَكَهْلًا﴾ أقولا اجتهدوا فيها وليس عليها أدلة تؤيدها، وهذه الأقوال لا تنهض أن تكون أمرا يخصه الله بالذكر لنبيه عيسىٰ دون غيره من الناس، وهي مبسوطة في كتب التفسير ولولا خشية التطويل لسقتها كلها، وقد أشار بعض المفسرين مجرد إشارة أن هذا كائن آخر الزمان لكن لم يفصل ما هو الكلام الذي سيكون؟ هذا حسبما اطلعت والله أعلم.

ونحن نفسرها من القران والسنة حسب قواعد التفسير التي نقلها شيخ الإسلام ابن تيمية، كما فسرْنا الآية الأولىٰ، وليس بالرأي كما زعمه بعض الإخوة الذين جهلوا أو تجاهلوا قواعد التفسير عند السلف.

فنقول فيها: قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾ [إِبْرَاهِيم : ٤] وقد كان عيسىٰ عليه الصلاة والسلام من بني إسرائيل ولسانهم غير العربية، والإنجيل نزل بالعبرانية كما روىٰ البخاري في صحيحة عن عائشة في باب بدئ الوحي قالت: **"فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّىٰ أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّىٰ ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ"**.

وعيسىٰ عليه الصلاة والسلام رفعه الله إلىٰ السماء من أوساط بني إسرائيل حين أرادوا قتله، قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النِّسَاء : ١٥٧ـ١٥٨] وسينزل عيسىٰ آخر الزمان في أوساط العرب ليحكم بالقران والسنة باللسان العربي المبين، وأدلة هذا مبسوطة في غير هذا الموضع منها قوله عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين عن أبي هريرة **"وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّىٰ لا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ "**

وإذا كان كذلك فنقول: أين تعلّم عيسىٰ القران السنة ولغة العرب، وقد رفعه الله إليه وهو لا يعرف إلا العبرية؟

وعيسىٰ يكلم الناس في حال كهولته آخر الزمان بالعربية الفصحىٰ، ومن أنكر هذا وزعم أن عيسىٰ سيكلم الناس بلغته التي كلم بها بني إسرائيل في مهده وأنه يحتاج لمترجم يترجم له القران والسنة فقد كذب علىٰ الله وعلىٰ رسوله وعلىٰ عيسىٰ وأعظم الفرية.

وهذا هو التفسير الصحيح المعتمد علىٰ النصوص الشرعية في هذه الآية.

فالذي أكرمه بأن تكلم في مهده، هو الذي سيكرمه في كهولته أن يتكلم بغير لغته ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [آل عِمْرَان : ٤٦].

فيا لله للعناد والإصرار في رد مثل هذه التقريرات العلمية!

## الفصل السابع
## ما يتعلق بيأجوج ومأجوج وأنهم يستعملون العلوم والمخترعات العصرية.

وسنذكر إن شاء الله في هذا الفصل عدة أبواب: الباب الأول في تلخيص واختصار الأدلة التي ساقها الإمام السعدي رحمه الله في رسالته علىٰ اندكاك ردم يأجوج ومأجوج من زمن قديم، والباب الثاني في ذكر مزيد من الأدلة التي تؤكد ما قرره الإمام السعدي وأنه الحق الذي لا ريب فيه، والباب الثالث في ذكر بعض الأسباب التي انتشر بسببها القول ببقائهم خلف الردم حتىٰ زمن عيسىٰ، والباب الرابع في الرد علىٰ التويجري ومقلديه في هذه المسألة ممن تصدر للرد علىٰ العلامة السعدي.

❊❊❊

## الباب الأول تلخيص رسالة العلامة السعدي في يأجوج ومأجوج

نلخص رسالة العلامة السعدي في هذه المسألة فنذكر موطن الشاهد ونختصر قدر الإمكان.

فقد ذكر رحمه الله أنواعا من الأدلة من الكتاب والسنة أو من أقوال المؤرخين أو من الواقع.

وقد توسع رحمه الله في تقرير من هم يأجوج ومأجوج من الأمم المعاصرة توسعا كثيرا لعله هو السبب في رد الناس عليه وعدم قبولهم لتقريراته العلمية جملة وتفصيلا.

وها نحن ننقل كلامه والأدلة التي ساقها علىٰ وجه الاختصار.

قال رحمه الله:

(ويوجد كثير من المؤمنين يتوهمون، ويظنون، ويعتقدون أن يأجوج ومأجوج، أنهم إلىٰ الآن لم يظهروا، ولم يعثر عليهم أحد، ولم يبرزوا إلىٰ الناس، وأنهم وراء السد والردم الذي بناه ذو القرنين، وأنهم أمم عظيمة، أضعاف أضعاف الموجودين الآن في الأرض من الآدميين، في جميع جهات الأرض، وفي كل قاراتها الست المعروفة، وفي جزائرها التابعة لهذه القارات. فكل هؤلاء المذكورين عند هؤلاء الناس أقل بكثيرٍ كثير، بما لا نسبة له إلىٰ يأجوج ومأجوج، الذين هم الآن موجودون في الأرض.

وهذا الظن غلطٌ محض، وسببه عدم فهم ما جاء به الكتاب والسنة علىٰ وجهه في هذه المسألة، وعدم العلم بالواقع، وعدم العلم بأحوال الأرض وسكانها، مع ورود أحاديث لا خطام لها ولا زمام في صفاتهم فتولد من ذلك كله إنكار خروجهم...وسنذكر، إن شاء الله، من أدلة الكتاب، والسنة، وكلام المؤرخين

الأولين، والآخرين، والمفسرين، ومن الأمور الواقعة، ما تعلم به حقيقة هذه المسألة، فهاك ذلك علىٰ وجه الاختصار:

***

## الدليل الأول

...فلما وصل إليهم ذو القرنين شكوا إليه ما يلقون من يأجوج ومأجوج، فقالوا: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ يريدون فقط ذلك الريع والفجوة التي بين الجبال، فقال ذو القرنين: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي﴾ أي من الملك، والقوة، وكمال العدد والعدة وحسن النظام، وسعة الرزق، خيرٌ لي من ما تبذلون لي من الجعل ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ أي ساعدوني بأبدانكم، وقوتكم، علىٰ بنيانه ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ ولم يقل: سداً، لأن السدين، وهما سلاسل الجبال، موجودان.

وإنما يريد ردم ما بينهما، وسده فقط، ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ أي قطع الحديد ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ أي حاذىٰ ذلك الحديد الذي جمعوه، ووضعوه في ذلك الريع، رؤوس الجبال ﴿قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ أي نحاساً مذاباً، ليلتحم بالحديد، فاستحكم ذلك البنيان، ووازن الجبال، وحجز به بين يأجوج ومأجوج ومجاوريهم، وحمد الله الذي أجرىٰ هذه النعمة علىٰ يده، وقال: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٤ - ٩٨]

فهذه الآيات الكريمات صريحة أن يأجوج ومأجوج من الآدميين، كما ثبت بذلك الحديث الذي في الصحيحين، وسنذكره إن شاء الله، وتدل هذه الآيات علىٰ أنهم من جنس هؤلاء القوم الذين اشتكوا منهم الأذية، إلا أنهم تميزوا بالإفساد في الأرض، وأن ذا القرنين رحم هؤلاء الذين اشتكوا منهم الأذية، فبنىٰ ذلك الردم الذي ينفذون منه

إليهم، وكان ما عن يمين هذا الريع ويساره جبال شاهقة، تتصل ببحارٍ مغرقة، كما هو ظاهر الآيات، وكما صرح بذلك ابن كثير في البداية والنهاية وغيره...

ثم بعد ذلك بمدد... تنوعت الأسباب التي مكنتهم من النفوذ من تلك الحواجز والحوائل، وكان مبادي ذلك في وقت النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم، من حين قال في الحديث الثابت في الصحيحين: **"وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ. فُتِحَ الْيَومَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ"**. وحلَّق الإبهام والسبابة.

وسيأتي إن شاء الله هذا الحديث.

❊❊❊

## الدليل الثاني

قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦﴾ [الأنبياء: ٩٦] أي حتىٰ إذا انفتحوا علىٰ الناس، فبرزوا بعدما كانوا منحازين في ديارهم بهذا الوصف الذي ذكر الله عنهم: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ﴾ أي مكانٍ مرتفع، كالجبال وما فوقها. ﴿يَنسِلُونَ﴾ أي يسرعون، وهذا مطابق لما هم عليه؛ فإنهم في جميع أقطار الدنيا قد انفتحوا علىٰ الناس، وأتوهم من كل جانب، ولهذا أتىٰ بأداة التعميم، وهي قوله: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ﴾ فلم يبق جبل إلا صعدوه، ولا بحر عميق إلا عبروه، ولا صعب إلا سلكوه، وأبلغ من ذلك أنهم في جو الهواء ينسلون؛ أي يسرعون بالطائرات التي جابت مشارق الأرض ومغاربها، وجميع جهاتها. فإذا لم يصدق عليهم هذا الوصف، فمن تراه يصدق عليه؟! وإذا لم ينطبق عليهم هذا النعت فأخبرني بمن ينطبق عليه؟!

وفي هذه الآية الكريمة برهانٌ ودليل باهر علىٰ الإخبار بحدوث هذه المخترعات التي وصلوا بها إلىٰ هذه الحال، لأن إخبار الله ورسوله بشيء إخبار به، وبما لا يتم ذلك إلا به، وذلك أنه لا يحصل تمكنهم من الإسراع والنسلان من كل حدبٍ إلا بالصنائع الراقية، والمخترعات المدهشة.

***

## الدليل الثالث

ما ثبت في الصحيحين عنه صلّىٰ الله عليه وسلّم أنه قال: **"يقول الله لآدم، يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك. فيقول: أخرج من ذريتك بعث النار. فيقول: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعون في النار، وواحد في الجنة، فضج الناس حين حدثهم النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم بهذا الحديث. قالوا: يا رسول الله، وأينا ذلك الرجل؟ فقال: أبشروا، فإنكم في أمتين، ما كانتا في شيء إلا كثرتاه؛ يأجوج ومأجوج".**

**وفي لفظٍ: "وما أنتم في الناس إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأبيض".**

فهذا الحديث صريحٌ في أنهم من ذرية آدم، وسيأتي كلام أهل السير والتاريخ أنهم من ذرية يافث بن نوح، وأن الترك طائفة منهم، وأنهم سموا تركًا لأنهم تركوا خلف ردم ذي القرنين، كما ستأتي الإشارة إليه.

وهذا الحديث مطابقٌ لأحوال هذه الأمم الموجودين؛ الروس، والصين، واليابان، والفرنج، ومن وراءهم من أهل أمريكا، فإنه وصفهم بالكثرة العظيمة، وأن العرب، ومن جاورهم بالنسبة إليهم كالشعرة الواحدة بالنسبة إلىٰ شعر جلد الثور، ووصفهم بكثرة الكفر، وأنهم جمهور بعث النار، وذلك لكفرهم، وعدم إيمانهم بمحمد صلّىٰ الله عليه وسلّم، وقلة إيمانهم بسائر الأنبياء الإيمان الصحيح. فإنهم في أزمانٍ متطاولة لا يكاد يوجد فيهم إسلام، ثم بعد ذلك وجد فيهم إسلام قليل جداً بالنسبة إلىٰ كثرتهم، فإذا لم يكونوا هذه الأمم فمن يكونون؟

وإذا أردت النسبة بين العرب ومن جاورهم من الأمم الإسلامية، وبين تلك الأمم، رأيت الأمر كما ذكر النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم، والذي يعارض ويظن أنهم غير هؤلاء يدعي ويعتقد أنهم أممٌ أكثر من المذكورين بأضعافٍ مضاعفة، وإنهم إلىٰ الآن خلف السد لم يُطَّلع عليهم!

فَيَالله! أين هؤلاء؟ وأين محلهم؟ وأين ديارهم الواسعة من الأرض، وقد اكتشفت جميع قارات الأرض، وما يتبعها من الجزائر؟ وسيأتي إن شاء الله بيان فساد هذا الغلط والظن.

واعلم أن الآيات الكريمة، والأحاديث الصحيحة، وكلام العلماء العارفين ظاهرة ظهوراً لا ريب فيه أن يأجوج ومأجوج من الآدميين، وأنهم ليسوا عالمـًا غيبيـًا، كالجن والملائكة، لا يشاهدهم الناس، بل هم ظاهرون، محسوسون، مشاهدون. فلا يمكن لأحدٍ أن يقول: قد يكونون موجودين، وقد حجب الله عنهم الأبصار. فلو قال أحدٌ هذا القول، عُرف أنه خلاف الأدلة الصحيحة، وخلاف الواقع. وهو قولٌ بلا علم. بل قول منافٍ لما علم من الآيات والأحاديث أنهم آدميون يشاهدون، ويفسدون في الأرض، ويجوبون مشارق الأرض ومغاربها، وغير ذلك من صفاتهم.

❊❊❊

## الدليل الرابع

ما ثبت أيضاً في الصحيحين عنه صلّىٰ الله عليه وسلّم أنه قال ذات يوم: **"وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ. فُتِحَ الْيَومَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ"** وحلَّق بين الإبهام والتي تليها.

فهذا دليلٌ صريح صحيح أنه من ذلك اليوم الذي تكلم به النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم قد وجد بعض الأسباب الداعية لخروجهم، وأنه لا يزال السبب يقوىٰ وقتاً بعد وقت، وسواء كان المعنىٰ أنه مثل ضربه النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم يقصد به تقريب الحقيقة إلىٰ الأذهان، وأنهم قد ابتدؤوا في السعي إلىٰ الخروج والاندفاع في الأرض، أو أن ردم يأجوج ومأجوج انفتح منه ذلك الوقت هذا المقدار، وأنه لا يزال في زيادة حتىٰ زال واندك.

وإذا قال قائل؛ لِمَ لَمْ يشاهد الناس اندكاكه؟ فقد مضىٰ الجواب عن هذا الإشكال.

ويقال أيضاً: إذا كان من زمان النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم، وقد انفتح منه هذا المقدار، ولولا كلام النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم لم يدر المسلمون عن انفتاحه، مع قوله: **"وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ"**، ثم إخباره بمقدار ما انفتح منه، فيه دليل ظاهر أنه انفتح بعضه، وأنه عن قريب ينفتح جميعه، ويخرجون علىٰ الناس. وأيضاً ففي الحديث هذا وصفٌ ظهر ظهوراً جلياً، لا يشك فيه من عرف الواقع. فإن النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم توعد العرب بالشر القريب الذي يقع بهم من يأجوج ومأجوج، فمن عرف حالة العرب والإسلام، وكيف توسع الفتح الإسلامي في المشارق والمغارب، وكيف حصل للعرب من العز بالإسلام وانتشاره ما لا يعرف لغيرهم، ثم كيف تداعت عليهم

الأمم كما تداعت الأكلة علىٰ الصحفة، كما أخبر به الصادق المصدوق، ثم كيف تقلص الإسلام، وزال عز العرب عن تلك الممالك الإسلامية، وكيف وقعت بهم تلك الدواهي العظام، والشرور الجسام، شيئًا فشيئًا، حتىٰ وقعت داهية التتر العظيمة، الذين هم من عنصر يأجوج ومأجوج، ومن نفس ديارهم، كما ذكره أهل السير، ومنهم ابن كثير رحمه الله.

ولم تزل الشرور تتوالىٰ علىٰ المسلمين عمومًا، وعلىٰ العرب خصوصًا من هذه الأمم حتىٰ وصلت إلىٰ هذه الحالة الموجودة اليوم، التي يرثىٰ لها، ونرجو الله أن يلطف ببقية المسلمين والعرب، وأن يدفع عنهم من الشرور ما لا يدفعه غيره، فهذه الشرور التي أشرنا لها، وهي معروفة هي وأضعافها وأضعاف أضعافها، من أين أصابت المسلمين عامة، والعرب منهم خاصة، إلا ممن أخبر الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوىٰ بوقوعها منهم، وهم يأجوج ومأجوج، ولهذا كان بعض العلماء المتأخرين العارفين بأحوال الأمم، كالأمير شكيب أرسلان، وغيره، يرون أن يأجوج ومأجوج هم دول السوفييت، أو بعضهم، ولا ريب أنهم منهم، بل هم مبتدأهم، وابن كثير في تاريخه جزم بأنهم "منغوليا" الذين تفرعت عنهم التتر، والصين، واليابان، والروس، وغيرهم، من الأوربيين، كما ذكر ذلك المعتنون بالأنساب. ومن وراءهم من الأمم، كأمريكا، حكمهم حكمهم.

فهذه الأوصاف المتنوعة التي وصفوا بها بالكتاب والسنة، لا يشك من فهمها تمامًا، وفهم الواقع، أنها تنطبق علىٰ هؤلاء الأمم، وأما ما يوجد من الآثار الدالة علىٰ طولهم المفرط، وقصرهم المفرط، وصفاتهم المخالفة لصفات الآدميين، فكلها كذب،

مخالفة للنصوص الصحيحة، وللواقع، لا يحل اعتقادها، والاعتماد عليها، فضلاً عن تقديمها علىٰ دلالة النصوص الصحيحة، فهي، وإن ذكرها بعض الناس، فقد أولع كثير من المصنفين بذكر أحاديث وآثار لا زمام لها ولا خطام، ومجرد ما يراها البصير يعرف مخالفتها لما دلت عليه النصوص الصحيحة.

فإن قلت: فقد ورد في صحيح مسلم، في حديث النواس بن سمعان الطويل أن يأجوج ومأجوج، حين يقتل عيسىٰ بن مريم الدجال، فيقول الله له: قد أخرجت عباداً لي، لا يدان لأحدٍ بقتالهم، فحرز عبادي في الطور، وأنهم يخرجون فيشرب أوائلهم بحيرة طبرية، ويمر عليها آخرهم، فيقول قد كان هاهنا ماء، وأنهم يرمون بنُشَّابهم إلىٰ السماء فتعود عليهم مخضوبة دمًا، فيقولون: قد قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء.

فالجواب عن هذا من وجوه:

الأول: أن هذا الحديث علىٰ فرض مخالفته ومناقضته لما دلت عليه تلك النصوص، فإنه لا يقاومها، ولا يقدم ما يظهر من دلالته علىٰ دلالتها. هذا علىٰ وجه التنزل، وإلا فليس ولله الحمد بينها مخالفة.

الوجه الثاني: أن دلالة تلك النصوص علىٰ صفاتهم المذكورة المشاهدة عيانًا، دلالة يقينية، لا يمكن أن يرد ما يخالفها ويناقضها.

الثالث: إن إخباره بخروجهم بعد قتل عيسىٰ للدجال، وقتل المسلمين لليهود، لا يدل علىٰ أنهم لم يخرجوا قبل ذلك، بل هذا خروج من محلٍ إلىٰ محل، فإن يأجوج ومأجوج يأتون حنقين، متغيظين، علىٰ عيسىٰ ومن معه من المؤمنين، يريدون الإيقاع بهم، فيكبتهم الله، ويقمعهم، ويلقي عليهم الموت الذريع، ومما يدل علىٰ أن البعث

والإخراج لا يراد به ابتداء الخروج والبعث، بل يراد به البعث والخروج من محلٍ إلىٰ محلٍ آخر، آيات متعددة، مثل قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ﴾ [الحَشر : ٢] فهذا خروج من محلٍ إلىٰ محل.

وكذلك قوله: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الذَّارِيَات : ٣٥] ﴿فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٖ ۝٥٧﴾ [الشُّعَرَاء : ٥٧] الآيات.

إلىٰ غير ذلك من الآيات الدالات علىٰ أن المراد: الخروج، والإخراج من محلٍ إلىٰ آخر، ليس المراد به الإخراج الابتدائي.

ومثل ذلك، البعث، كقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾ [الإِسْرَاء : ٥] وهذا بعث لهم من البلاد الجزرية إلىٰ البلاد الشامية، نظير ما في بعض ألفاظ حديث النواس: "بعثت عبادا لي، لا يدان لأحد بقتالهم"، من غير فرق. ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [المَائِدَة : ٣١] ليس المراد ببعثه إنشاء خلقه، وإنما المراد به: فأرسل الله غرابًا يبحث في الأرض. ﴿ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة : ٢٤٦] ومعناه: عيِّن لنا ملكًا، وهذا ظاهر بيِّن ولله الحمد.

الوجه الرابع: أن النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم كثيراً ما يمثل للناس بما كانوا يعرفون، خصوصًا في الأمور التي لم يشاهد المسلمون لها مثيلاً، ولا نظيراً، في ذلك الوقت. فإخباره صلّىٰ الله عليه وسلّم برميهم بنشابهم إلىٰ السماء إلىٰ آخره، يدل علىٰ قوتهم وقهرهم لأهل الأرض بسلاحهم ومخترعاتهم، وكأنَّ في هذا إشارة إلىٰ طيرانهم في الأفق، وإلا فمن المعلوم أن سلاح النشّاب ونحوه من السلاح الأول الضعيف قد نسخ من زمان، وأن الأسلحة لا تزال في رقي وازدياد، ولا يرجىٰ في وقتٍ من الأوقات

أن يعود الناس إلىٰ سلاح النشاب ونحوه، بل الذي يدل عليه الاستقراء والتتبع للأحوال أن السلاح يترقىٰ ترقيًا فاحشًا، ينسي هذا السلاح الموجود، حتىٰ يكون مادة هلاك الخلق وتدميرهم، ويقع ما أخبر به النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم من فناء الرجال بالقتل، حتىٰ يكون قيِّم خمسين امرأة رجل واحد.

والرسول صلّىٰ الله عليه وسلّم لا يخبر بما تحيله العقول، بل كلامه فيه الشفاء، والعصمة، والنور، والبرهان، والحق، واليقين. وأما ما فيه من ذكر ماء البحيرة، وأنهم يشربونه، فإما أن ذلك إشارة وتنبيه علىٰ كثرتهم العظيمة التي هم في الحقيقة عليها، وإما إن ماء البحيرة سيستخرجونه بالآلات إلىٰ عمارة حروثهم، وزروعهم، حتىٰ ينشفوها، وهذا شرب حقيقي. ويدل علىٰ هذا أن ماء البحيرة، لو اجتمع جميع من علىٰ وجه الأرض من الآدميين والحيوانات، فشربوا منها بأفواههم لم ينشفوها، والنبي صلّىٰ الله عليه وسلّم ينزه أن يتكلم بخلاف الواقع، فتعين أحد التأويلين، إن كان حديث النواس بن سمعان محفوظًا، جمعًا بين النصوص، ويدل علىٰ التأويل الأخير أن الصهيونيين الذين أكثرهم من عنصر الفرنج، الذين أتوا من البلاد الخارجية، لا زالوا يستخرجون ماء البحيرة بالمكائن وغيرها، ولا زالوا مُجِدِّين علىٰ هذا الأمر. ولا بد أن يقع جميع ما أخبر الله به ورسوله.

❊❊❊

## الدليل الخامس

ما تواترت به الأخبار من أصناف العلماء؛ من المفسرين، والمؤرخين، وأهل السير والأنساب، من المتقدمين، والمتأخرين، واتفاق محققيهم أن يأجوج ومأجوج في شمالي آسيا، وأنهم جيران الأتراك، وأن الأتراك قيل لهم: ترك، لأن ذا القرنين لما ردم علىٰ يأجوج ومأجوج، وترك منهم هذه الطائفة، فقيل لهم: الترك، لأنهم تركوا خلف السد. فالترك منهم، والباقون جيرانهم المتصلون بهم في بلاد تركستان، وقد ذكر ذلك غير واحدٍ من المؤرخين والمفسرين، حتىٰ كاد أن يكون اتفاقًا منهم علىٰ هذا.

ومن وراءهم من الأمم تبع لهم، وفرع عنهم، وأيضًا، فإنهم ذكروا أن أولاد نوح الذين انسلوا، ثلاثة: سام، وهو أبو العرب ومن جاورهم، وحام، وهو أبو السودان والبربر، وجميع أهل أفريقية، ويافث، وهو أبو الصقالية، والترك، ويأجوج ومأجوج، والتتر، ومن تفرع عنهم من أهل الصين، واليابان، وبلاد الإفرنج، ونحوها. وكلام المفسرين، وأهل الأنساب في هذا الموضع، وفي هذا المعنىٰ كثير جداً، لا يمكن نقله في هذه الرسالة المختصرة.

والمنصف إذا عرف الواقع، وأين ديار الترك، ومَنْ جيرانهم، عرف أن كلام هؤلاء العلماء صريحٌ أنهم هؤلاء الأمم الذين ذكرنا، وليكن علىٰ بالك أن يأجوج ومأجوج ليسوا عالمًا غيبيًا، وإنما هم آدميون، بارزون، محسوسون، كما دلت علىٰ ذلك أنواع الأدلة.

❊❊❊

## الدليل السادس

أن الشارع لا يخبر بأمرٍ تحيله العقول، ويكذبه الحس والواقع. بل أخباره كلها لا يعارضها حس ولا عقل صحيح، ولا غيرها من الأمور العلمية، ومن زعم أن يأجوج ومأجوج غير هؤلاء الأمم الذين ذكرنا، فإن قوله يتضمن المحال، لأن هذا القائل يدعي، ويعتقد، أنهم أمم عظيمة من بني آدم، وأنهم أكثر من هؤلاء الأمم الذين يُعرفون الآن علىٰ وجه الأرض كلها بأضعافٍ مضاعفة، وهذا قول محال ينزه الشارع من أن ينسب إليه هذا القول، لأنه يطرِّق الكافرين والمعاندين إلىٰ القدح في الشارع، ويقولون: كيف يخبر عن أممٍ علىٰ وجه الأرض، أكثر من الموجودين في القارات الست وتوابعها؟! فأين هم؟! وأين ديارهم؟! والأرض كلها مكشوفة، وقد اكتشفها الناس قطراً قطراً. ولم يبق محلٌ من الأرض إلا وصل إليه علم الناس، إلا جهة قليلة جداً تحت مدار القطبين، وقد غمرتها الثلوج، لا يمكن أن يعيش فيها آدمي، ولا حيوان، ولا نبات، لشدة بردها، وعدم وصول الشمس إليها، وهي رقعة صغيرة جداً بالنسبة إلىٰ الأرض المكتشفة، فمجرد تصور العارف لهذا القول يكفي في رده. يوضح هذا توضيحـًا تامـًا:

❊❊❊

## الدليل السابع

أن قارات الدنيا كلها، القديمة والحديثة، ست قارات:

ـ آسِيا: من البحر الأحمر والأبيض غربـًا، إلىٰ أقصىٰ بلاد سيبيريا من بلاد الروس شمالاً، وإلىٰ البحر الهادي شرقـًا، إلىٰ البحر الأسود وأكرانيا مما يلي أوربا غربـًا.

ـ الثانية: أفريقيا: وشرقيها البحر الأحمر إلىٰ المحيط الأطلسي غربـًا.

ومن البحر الأبيض شمالاً، إلىٰ المحيط الأطلسي، المتصل بالمحيط الهندي جنوبـًا.

ـ الثالثة: قارة أوربا: التي يحدها البحر الأبيض جنوبـًا، إلىٰ البحر الشمالي، ثم الأطلسي شمالاً وغربـًا، ومن بلاد الأندلس غربـًا إلىٰ بلاد أكرانيا السوفيتية شرقـًا.

ـ الرابعة: أستراليا: وهي قارة واقعة في الشرق الجنوبي، في وسط المحيط الهادي.

ـ الخامسة: أمريكا الجنوبية: وهي الواقعة من خليج بنما، من المحيط الأطلسي شمالاً، وتنتهي إلىٰ البحر الهادي جنوبـًا.

ـ السادسة: أمريكا الشمالية: تتصل من غرب بالبحر الأطلسي، والبحر الشمالي. ومن شرق تتصل بالمحيط الهادي.

فهذه قارات الأرض كلها، باتفاق العارفين بها. ويتبعها جزر صغيرة وكبيرة ملحقة بهذه القارات. وهذه القارات قد عرفها الناس كلها معرفة تامة، وعرفوا أجناس أهلها، وأصنافهم، وتغلغل علمهم إلىٰ معرفة إحصائياتهم، وتيقنوا يقينـًا لا شك فيه أن المذكورين في هؤلاء القارات الست هم أهل الأرض، وأنه لا يوجد علىٰ وجه الأرض سواهم. فمتىٰ أخبرنا مخبر أن في الأرض غير هؤلاء المذكورين من بني آدم، أكثر من

المذكورين من بني آدم، أكثر من المذكورين بأضعاف مضاعفة، علمنا غلطه الفاحش، وأنه خلاف الواقع المقطوع به، يوضح هذا ويزيده بياناً.

***

## الدليل الثامن

وهو أنه قد ثبتت كروية الأرض ثبوتاً لا امتراء فيه، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، وغيرهم هذا، وذكر شيخ الإسلام أن دلالة الكتاب والسنة علىٰ هذا القول ظاهرة. كما أنه قد اتفق عليه أهل المعرفة، وقد كان في الزمان الماضي يوجد من يعارض في كروية الأرض من أهل العلم قبل اكتشافها، ويظن أن كرويتها تنافي سطحيتها. وهذا غلط، فإن الجسم العظيم المسطح قد يكون مكوراً مستديراً. قال تعالىٰ: ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠﴾ [الغَاشِيَة : ٢٠] أي: مدت، ومهدت، ووسعت لجميع منافع الآدميين. وقال تعالىٰ: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ [الزُّمَر : ٥]. والتكوير هو الاستدارة، كاستدارة العمامة علىٰ الرأس. وقال تعالىٰ: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٣٣﴾ [الأَنبِيَاء : ٣٣]

ثم إن الواقع المعروف معرفةً لا شك فيها يوافق هذا، وبعد ظهور المخترعات، والمقربات، وقرب المواصلات، صارت كروية الأرض معروفة لكل أحد له معرفة بالأرض. وقد يتمكن الإنسان في كل وقتٍ أن يعرف أوقات جهات الأرض، ويعرف أن ليل بعض الجهات نهار لجهات أخرىٰ، وبالعكس، وأن الشمس لا تزالت تجري في فلكها، إذا طلعت علىٰ جانبٍ من الأرض، غربت عن الجانب الآخر، فمثلاً: إذا زالت الشمس في جزيرة العرب، تكون قد غربت عن أقاصي الصين، وبلاد اليابان. وإذا غربت الشمس في جزيرة العرب، تكون قد ابتدأ شروقها في بلاد أمريكا. ثم إذا زالت الشمس في أمريكا، طلعت علىٰ بلاد اليابان والصين. وهلم جرا.

وكذلك من عبر مغربـًا من البحر الغربي الشمالي ينفذ علىٰ أمريكا، ثم منها إلىٰ المحيط الهادي، ثم من المحيط الهادي علىٰ اليابان، ثم الصين، ثم يرجع إلىٰ موضعه، وهكذا في كل مكان.

ومعلومٌ أنه إذا كانت الأرض كروية، كانت محصورة تحيط بها معارف الناس، فدعوىٰ المدعي أن هنا أممـًا أكثر من المذكورين المعروفين، وهم علىٰ وجه الأرض، دعوىٰ مخالفة للدليل القاطع، وما كان كذلك فهو معروف الغلط.

واعلم أنه ليس مع من عارض ما ذكرنا شيئـًا من الأدلة، إلا ما ذكرنا في حديث النواس بن سمعان. وقد ذكرنا وجهه، وكذلك يظنون أن الأسماء تبقىٰ علىٰ الدوام، فلما رأوا أن هذه الأمم لها أسماء مخصوصة، كالروس، واليابان، ونحوهم، ظنوا أنهم غير يأجوج ومأجوج، وهذا غلط واضح، فكم تنقلت وتغيرت الأسماء؛ أسماء الجهات، والحكومات والعناصر، وكم تغيرت من اسم إلىٰ اسم آخر، وكم اندمجت أمم بأمم! وقد ذكر المعتنون بأنساب الترك الطورانيين، الذين هم من نسل يأجوج ومأجوج، وأن هذه الأمة لا تزال تندفع شرقـًا وغربـًا. ومعلوم أن الأسماء تتنقل بتغير تنقلاتها، والعبرة إنما هي بالأوصاف التي ذكرت في الكتاب والسنة، وقد بينا فيما سبق انطباق أوصافهم علىٰ هذه الأمم، مع أن الاسم اليوم موجود، فإن اسم بلاد يأجوج ومأجوج الأصلية، وهو بلاد منغوليا، وشرقي تركستان، لا زال معروفـًا. وتلك القبائل لا يزال يقال لهم يأجوج ومأجوج، وهم الآن تبع لحكومة الروس.

## الدليل التاسع

وهو الجامع لكل ما تقدم، وهو أن دلالة الكتاب والسنة الصحيحة، والأوصاف المذكورة فيهما ليأجوج ومأجوج لا تصدق إلا علىٰ من ذكرنا من الأمم، وكذلك الأمور الواقعة المقطوع بها حسـًا، وعلمـًا، كما تقدمت الإشارة إليها وتقريرها، إذا جمعت ذلك كله، علمت علمـًا يقينيـًا، لا شك فيه ولا ريب، أنها واقعة علىٰ تلك الأمم، وأنهم المرادون بها، وأنها من براهين رسالة محمد صلّىٰ الله عليه وسلّم، وعلمت أيضـًا بما تقدم أنه لا يوجد غير المذكورين من بني آدم علىٰ وجه الأرض.

وأن من قال أنهم غيرهم، لم يقله عن علمٍ وبرهان، وإنما هو قول بلا علم، بل مخالف للعلم.

❊❊❊

## الدليل العاشر

أن لفظ «يأجوج ومأجوج» واشتقاقه من الأجيج والسرعة، ووصف الشارع لهم بذلك يدل علىٰ ما ذكرنا، ولهذا كان الأولىٰ أن يكون اسم جنس، وإن كان طائفة من أهل العلم يرون أنهم طائفة مخصوصة من دول السوفييت، وهم المعروفون الآن بهذا الاسم، فكونه اسم جنس يشملهم، ويشمل من وراءهم، أولىٰ لوجهين:

أحدهما: أن الأوصاف المذكورة في الكتاب السنة تنطبق كل الانطباق علىٰ تلك الأمم المذكورة جميعهم، مثل قوله: ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنبياء: ٩٦]. والشر الذي وصل إلىٰ المسلمين منهم عامة، وإلىٰ العرب خاصة، ووصف كثرتهم، وكثرة كفرهم، وأنهم أكثر بعث النار، وغيرها مما هو صريح فيهم.

الثاني: إن إخبار النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم عن بعث النار، وأنه من كل ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعون في النار، وواحد في الجنة، وأن جمهور هذا العدد من يأجوج ومأجوج، لا يتصور أن يكون إلا اسم جنس، ولما كان الإشكال في هذه المسألة قد وقع لكثير من الناس، لم يتضح لهم الأمر فيها، مع أن من نظر إلىٰ أدلتها الشرعية والعقلية لم يَرْتَب، أحببت أن أورد من كلام أهل العصر المعتبرين، والذين لهم المعرفة التامة في هذه الأمور، ما يدل علىٰ ما ذكر:

فقد ذكر الأمير شكيب أرسلان رحمه الله، في حواشي «حاضر العالم الإسلامي» أن يأجوج ومأجوج هم «المجار»، وهم

«المغول». وذكر غزواتهم لبلاد الإفرنج، واندفاعهم إليها، واندماجهم بهم، وقال أيضاً في كتابه الذي سماه: «غزوات العرب» المطبوع في ص ١٧٠ منه:

(وفي تلك الأيام وصل المجار إلىٰ فرنسه، وملأوا البلاد عيثًا وتدميراً. ورأىٰ الأهالي فيهم تصديق نبوة «حزقيال» عن يأجوج ومأجوج إلىٰ آخر ما قال.

وفي المجلد الأول من «الحلل السندسية» للأمير شكيب ص١٧٨:

(وذكر الرازي أن القوط، أي ملوك الأندلس، الذين آخرهم «لذريق» الذي هزمه المسلمون، من ولد يأجوج ومأجوج بن يافث بن نوح).

ـ وفي المجلد الحادي عشر من «المنار»، في آخر جواب سؤال ص٢٨٤:

(هذا، ومن تذكر إغارة المغول التتار، وهم نسل يأجوج ومأجوج، في القرن السابع الهجري علىٰ بلاد المسلمين والنصارىٰ، وما أتوه من الإفساد في الأرض، وما أوقعوه بالأمم المختلفة من القتل، والسبي، والنهب، أمكنه تصور حصول هذا منهم مرةً أخرىٰ، قبل مجيء الساعة، كما قال القرآن الشريف ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ... إلخ﴾ [الأنبيَاء: ٩٦]

وقد ذكر شكيب أرسلان في حواشي «مقدمة ابن خلدون» و«حاضر العالم الإسلامي» كيفية تسلسل أنساب التتر، ويأجوج ومأجوج، والترك، ودخولهم في جملة أهل أوربا، بعد ما كانت مساكنهم في آسيا، فذهب أناس، وبقي في آسيا أكثرهم.

ـ وقد ذكر صاحب «التذكرة» فيها، في الجزء الثاني ص٨٦ لما تكلم عن طبائع الأقطار، ذكر بلاد يأجوج ومأجوج، وموقعها، وما يناوحها من الأقطار، في كلامٍ طويل يؤيد ما ذكرنا.

ـ وقال في مجلة «الفتح» العام التاسع ٨ محرم، ١٢٥٤ ص٩٦ في الجزء المذكور في مقالة الشيخ محمد سليمان قال: (جاءت القرون الوسطىٰ، فجاء أهل أوربا عادين

علىٰ المسلمين يغزونهم في ديارهم، ويحاربونهم علىٰ تخومهم، وفتحت يأجوج ومأجوج. فانسل التتار من الشرق علىٰ بلاد الإسلام فاكتسحوها، وخربوها، وهدموا الخلافة، وقتلوا الخليفة. ووقع المسلمون بين شقي الرّحا من الشرق، ومن الغرب في بلاءٍ مبين).

ـ وفي منجم العمران ص٥٨ من الجزء الأول: (ومن الأمم التي عرفت حركات مهاجرتها قبيلة هيونكنو التركية، فإنها أقدم القبائل التي نعرف تاريخ حملها علىٰ أمةٍ أخرىٰ، ربما كانت الأمة الهندية الجرمانية، التي كانت قاطنةً بالقرب من يوتي غاته في الجهة الشمالية الغربية من الصين، فتلك الحملة التي جعلت شأنها الفتح والتخريب، والسلب والنهب، صدرت من السور العظيم المبني لصدها سنة ٢١٤ قبل الميلاد، وامتدت حتىٰ بلغت أقاصي غرب أوربا، سائرةً في أواسط آسيا في الجهة الشمالية من سلسلة جبال هملايا) إلىٰ أن قال ص٦٢:

(ولما رأىٰ الأوربيون ما رأوا من فتوحات المنغول التي امتدت من سور الصين إلىٰ «كراكو» في أواسط أوربا، وإلىٰ سواحل البحر المتوسط من غربي آسيا، في ست وعشرين سنة وقع الرعب في قلوبهم). إلىٰ آخر ما قال.

ـ وقال أيضاً في المنجم، ص٧٢، من المجلد الأول: (اهتمت الدنيا بأسرها بفتوحات روسيا في أواسط آسيا، وإنكلترا باتت في وجل من جري ذلك. وكانت نهاية حرب روسيا والجراكسة سنة ١٨٦٤، الموافق ١٢٨١ للهجرة، واسطة لهدم الحاجز العظيم الذي كان يمنعها عن توسيع دائرة أملاكها، وهو جبل «قوه قاف» يعني «القفقاس» وقد تمكنت بذلك من نوال مقصد مهم) إلخ.

ـ وفي «المقتبس» قال المسعودي في كتاب «التنبيه»: (وحد الإقليم الخامس بحر الشام إلىٰ أقصىٰ الروم مما يلي البحر، إلىٰ «تراقية» وبلاد «برجان»، و«الاستبان»، واليأجوج ومأجوج، والترك، والخزر، واللان والجلالقة) فجعلهم في أرض الترك.

وقال ابن رسته: الإقليم السادس يبتدئ من المشرق، فيمر علىٰ بلاد يأجوج ومأجوج، ثم علىٰ بلاد الخزر، وينتهي إلىٰ البحر المغرب) فانظر كيف صرّح بمجاورته لأرض الخزر، وهي معروفة قريب من قزوين.

ـ وقال البلخي في تاريخه، صفحة ٥٣٤: (الإقليم السادس: يبتدئ من المشرق، فيمر علىٰ بلاد يأجوج ومأجوج، ثم علىٰ بلاد الخزر، ثم علىٰ وسط بحر جرجان، إلىٰ بلاد الروم.

قال أهل العلم: أما ما وراء هذه الأقاليم إلىٰ تمام الموضع المسكون الذي عرفناه فإنه يبتدئ من المشرق، من بلاد يأجوج ومأجوج، فيمر علىٰ بلاد التغرغر ، وأرض الترك. وكل هذا ظاهر، وكلامهم في هذا كثير.

والغرض الأصلي هنا: بيان مراد الله ورسوله، وأن الأوصاف التي ذكرت عنهم في الكتاب، والسنة الصحيحة المحفوظة، تنطبق عليهم غاية الانطباق، وأن الواقع يصدق ذلك، ويشهد له، وأن كلام أهل السير، والمحققين من الإخباريين، يؤيد ذلك ويشهد له، فعلىٰ من تيقن ذلك، وعرف دخوله في النصوص، أن يعتقده، ويدين الله به. وعلىٰ من أشكل عليه الأمر أن يتوقف عن الجزم بأحد الأمرين نفيـًا وإثباتـًا، وإذا كان لا بد له من الجزم بأحد الأمرين، فليصبر، وليتأن، حتىٰ يتدبر الأدلة الشرعية والعقلية، ويعرف الواقع، فإذا جزم بأحد الأمرين مستنداً إلىٰ الدليل فقد أدىٰ ما عليه من اتباع

الدليل الصحيح، فإذا جزم بأحد الأمرين مقلداً لغيره من غير معرفةٍ صحيحة بالمآخذ، فهو من القول بلا علم...

قال ذلك، وكتبه، العبد الفقير إلىٰ الله من جميع الوجوه، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي، غفر الله له، ولوالديه، ووالديهم، وجميع المسلمين. والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً. سنة ١٣٥٩هـ.) اهـ

***

## الباب الثاني
## مزيد من أدلة القران والسنة في صحة ما ذهب إليه العلامة السعدي

نذكر فيه بعض الأدلة التي تؤكد مذهب العلامة السعدي ومن سبقه في اندكاك الردم من زمن قديم، وأنه لا توجد في عصرنا أمة منعزلة عن الناس بردم مبني من زمن ذي القرنين، وقد ذكر العلامة السعدي عشرة أدلة متنوعة من القران والسنة والواقع ومن أقوال المؤرخين، لا يستطيع أحد المعارضين ردها أو الوقوف أمامها فرحمه الله رحمة واسعة، ونحن نذكر عشرة أدلة من القران فقط، ثم نسوق ما تيسر من أدلة من السنة النبوية.

وأدلتنا إما أن تكون مما ذكره السعدي لكن قد نذكر فيها وجها للدلالة لم يذكره، أو نذكر أدلة لم يذكرها رحمه الله.

❊❊❊

## الدليل الأول

ورود آيات كثيرة في القران الكريم تبين أن أهل النار قد أقيمت عليهم الحجة عموما، وأنهم أتتهم الرسل وسمعوا البينات وكرهوا الحق وكفروا به، ولا شك أن يأجوج ومأجوج جمهور أهل النار كما في الحديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **" يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: يَا آدَمُ. فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ . قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ. فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ** ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج : ٢] **" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَيُّنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ ؟ قَالَ: " أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلٌ وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفٌ "** متفق عليه.

من هذه الآيات قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝١٢٨ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٢٩ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ۝١٣٠﴾ [الأنعام : ١٢٨ - ١٣٠]

فهل يأجوج ومأجوج من الإنس الذين يقولون ﴿شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾؟ وهل يشملهم النداء: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾؟ أم أن لهم قيامة خاصة وساحة محشر خاصة ونار خاصة؟

ومنها قوله تعالىٰ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٥٠ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ۝٥١﴾ [الأعراف: ٥٠ - ٥١]

فهل ينادي يأجوجُ ومأجوجُ وهم جمهور أصحاب النار أهلَ الجنة ﴿أَنْ أَفِيضُواْ﴾؟ أم أن الواحد من الألف هو الذي ينادي أهل الجنة من جهنم ويأجوج ومأجوج غير مقصودين؟

ومنها قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۝٤٩ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ۝٥٠﴾ [غافر: ٤٩ ـ ٥٠]

هل يأجوج ومأجوج في النار يشملهم هذا الخبر أم أن لهم نارا خاصة؟

ومنها قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩﴾ [المُلك: ٦ - ٩]

هل يُلقىٰ يأجوج ومأجوج في النار فيسألهم الخزنة فيجيبون بما أخبر الله عز وجل أنهم جاءهم النذير فكذبوه؟

ومنها قوله تعالىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١﴾ [الزُّمَر : ٧١]

فليت شعري هل يساق يأجوج ومأجوج إلىٰ جهنم زمرا وتفتح لهم أبواب جهنم ويسألهم الخزنة؟ أم أن لهم معاملة خاصة؟ نترك الإجابة لإخواننا وفقهم الله.

ومنها قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٥ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٦ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ٧٧ لَقَدۡ جِئۡنَٰكُم بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ٧٨﴾ [الزُّخرُف : ٧٤ - ٧٨]

ويأجوج ومأجوج ذروة المجرمين جاءهم الحق فكرهوه.

فمن استثنىٰ يأجوج ومأجوج من عموم هذه الآيات وخصصهم فنقول لهم: ﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٤٣﴾ [الأَنعَام : ١٤٣] ؟ فليس هناك إلا تقليد أو فهم سقيم.

فكيف يستسيغ عاقل بعد هذا أن يزعم أنهم لم يخالطوا الناس حتىٰ يأتي زمن عيسىٰ فيخرجون لهلاكهم مرة واحدة دون بيان الحق لهم! ثم يبعثهم الله جميعا بعثا إلىٰ النار فيعذبهم فيها، راميا دلالة هذه الآيات الكريمات وغيرها عرض الحائط؟

هذا تأباه نصوص الشريعة والفطر السليمة.

فقلما يذكر الله تعالىٰ في القران موطنا من مواطن دخول أهل النارِ النارَ إلا ويذكر أنهم يعترفون علىٰ أنفسهم أنهم قد أقيمت عليهم الحجة وبلغتهم رسالة الرسل، وذلك لبيان كمال عدله سبحانه وتعالىٰ، ثم يأتي بعض من قل فقهه في هذه المسألة ليزعم أن أكثر أهل النار وهم يأجوج ومأجوج محاصرون خلف السد لم تبلغهم دعوة الرسل، ولا خلاص لهم منه إلا زمن عيسىٰ حين هلاكهم!

نعم قد تكون أمة منهم لم تبلغهم بعثة نبينا عليه الصلاة والسلام في زمنه وما بعده حتىٰ اندك السد، وشأنهم في هذا شأن من سكن أقاصي الأرض من الأمم ولم تبلغهم الرسالة إلا في أزمنة متأخرة عن زمن النبي عليه الصلاة والسلام، فلا يستطيع أحد أن يجزم أن دعوة النبي عليه الصلاة والسلام بلغت جميع أقطار الأرض في حياته عليه الصلاة والسلام وحياة أصحابه بحيث لم يبق إلا يأجوج ومأجوج لم تبلغهم الرسالة.

ولا مانع أن تبقىٰ فيهم بقايا من النبوة الأولىٰ ـ لأنه ما من أمة إلا وأرسل الله فيهم رسولا ـ حتىٰ يأتي وقت التجديد فيحتاجون للدعوة لإقامة الحجة عليهم، فيندك ردمهم ويعودون لمخالطة الناس ويكونون من العالمين من الأمة المحمدية.

فهذه الآيات كافية في رد خرافة السد المزعوم في عصرنا، وتكفي المسلم المنقاد آية واحدة منها لينقاد للحق ويذعن له كما كان السلف وقافين عند حدود الله، لكن الموفق من وفقه الله، فننصح إخواننا من طلاب العلم وشيوخ السنة أن يتنزهوا ويترفعوا عن بعض العقائد الخرافية التي يصدرونها تحت متابعة منهج السلف والسلف منها براء.

❊❊❊

## الدليل الثاني

ورود عدة آيات تبين أن جهنم ستمتلئ من أعداء الرسل ممن تبع إبليس وكفر بالله وغرته الدنيا، ونسي يوم القيامة، ولا شك أن الذي يملأ جهنم هم يأجوج ومأجوج، من هذه الآيات:

قال الله تعالىٰ: ﴿لَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٨] وقال الله تعالىٰ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥] وقال الله تعالىٰ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣] فمتىٰ تبع يأجوج ومأجوج إبليس في رد دعوة الرسل وهم وراء السد؟ ولو دخل عليهم إبليس فبماذا يوسوس لهم من أنواع الكفر والفسوق الموجود في الأمة المحمدية أمة الدعوة وهم لا يعرفون عنها شيئا؟

وكيف ستمتلئ جهنم من يأجوج ومأجوج كما في حديث أبي سعيد في وصفهم بأنهم بعث النار، من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعون في النار!؟

فهذه الآيات صريحة في أن الله تعالىٰ سيملأ جهنم من الجنة ومن الناس ممن تبع إبليس ونسي يوم القيامة، وأنهم هم المجرمون المنكسة رءوسهم عند ربهم، فمن الذي أوصل ليأجوج ومأجوج دعوة الرسل خصوصا نبينا محمدا عليه الصلاة والسلام إلىٰ خلف السد المزعوم؟

كنا نسمع كثيرا عن العناد في رد الحق، ونسمع عن التعصب للأقوال المخالفة للأدلة الصريحة، ونسمع عن التقليد الأعمىٰ لفتاوىٰ الشيوخ، ونتصور أن ذلك لا يكون إلا من أهل البدع، فننزل المذمة في هذا الباب عليهم، لكن الظاهر أنه ما تخلو نفس من هذه الصفات المذمومة، والناس فيها ما بين مستقل ومستكثر، والكريم يخفيه واللئيم

يبديه، ومن أراد أن يختبر سلامة نفسه من هذه الأمراض فلينظر كيف هو مع هذه الأدلة في هذه القضية التي نناقشها، فالمتجرد للدليل تجردا تاما لا يبقىٰ ينتظر تصريحا من فلان من الناس حتىٰ يقبل الحقائق الثابتة بالنصوص الشرعية، بل يقبلها رافعا بها رأسه، ولا يخاف في الله لومة لائم، وأما المبتلىٰ بنوع من هذه الصفات الذميمة فما أسهل رد النصوص الشرعية عنده لمبرر وآخر والله المستعان.

فننصح من يقرأ أو يسمع عن قضيتنا هذه أن يقبل الحق فيها، لأنه الحق من عند الله، لا لأني ناقشته دون مشايخي وغيرهم من أهل العلم وأنا من أنا في نظره!

❊❊❊

## الدليل الثالث

ورود عدة آيات في القران الكريم تبين أن رسالة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام شاملة للعالمين، منها قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] وقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سبإ : ٢٨] وقوله: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف : ١٥٨] وقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان : ١] وفي الصحيحين عن جَابِرِ بْن عَبْدِ اللهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي..."** وذكر منها **"وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ عَامَّةً"**.

فإما أن يكون يأجوج ومأجوج من العالمين من الناس ـ وهذا لا شك فيه ـ وهم محاصرون خلف الردم إلىٰ زمن عيسىٰ، فيلزم النبي عليه الصلاة والسلام أن يبلغهم أو يبلّغ الأمة أن تبلّغهم امتثالا لأمر ربه، وهذا لم يكن قط.

وإما أن يأجوج ومأجوج ليسوا من العالمين ولا من الناس فلا تشملهم هذه النداءات، ولا حاجة لدعوتهم، وهذا لا يقوله عاقل.

وإما أن يكون يأجوج ومأجوج من الناس، وسيأتي اليوم الذي ينفتحون فيه من السد فيكون شأنهم شأن الناس لهم ما للناس وعليهم ما علىٰ الناس.

فلا حاجة لأن تبلّغهم الأمة عن نبيها علىٰ وجه الخصوص، لأنهم حين يندك سدهم سيخالطون الناس وتقوم عليهم الحجة.

وهذا هو الواقع فيأجوج ومأجوج من الناس وليس ثمة نص شرعي يدعو لتبليغ يأجوج ومأجوج الدعوة ما داموا خلف الردم.

وإما أن يكون يأجوج ومأجوج من الناس ولكن الله خلقهم للنار خاصة فليسوا بحاجة للأنبياء ودعوتهم، وهذا لا يدل عليه دليل شرعي بل الأدلة علىٰ خلافه.

ومن قال به فليخصص لنا عموم الآيات السابقة؟

ولن يستطيع لذلك سبيلا، وقد عاتب اللهُ أقواما وصفهم بأنهم لا يعلمون رسالة نبيه عليه الصلاة والسلام للناس كافة بقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ بعد أن ذكر عموم رسالة نبيه للناس كلهم، فليحذر امرؤٌ علىٰ نفسه أن يكون من الذين لا يعلمون.

بل إن قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ ما جاء في سورة الأنبياء إلا بعد ذكر يأجوج ومأجوج مباشرة، فعلام يدل هذا؟

***

## الدليل الرابع

قوله تعالىٰ: ﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء : ١٥].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة في احتجاج الجنة والنار **"فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّىٰ يَضَعَ رِجْلَهُ، فَتَقُولُ : قَطْ قَطْ. فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ، وَيُزْوَىٰ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا "**.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: ومن ثم طعن جماعة من العلماء في اللفظة التي جاءت مقحمة في صحيح البخاري عند قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأعراف : ٥٦] اهـ

واللفظة في حديث أبي هريرة مضمونها أن الله تعالىٰ ينشئ للنار من يشاء فيلقون فيها فتقول: هل من مزيد...

فما قبل الحفاظ رواية من الإمام البخاري في صحيحة مع سلامة سندها من التعليل، لأن هذه الرواية تنافي حكمة الله عز وجل ورحمته في أن يعذب فضلة من الناس بدون إقامة الحجة، فكيف سيُقبَل هذا في يأجوج ومأجوج كلهم وهم أكثر أهل النار!؟

فإذا كانت حكمة الله وعدله تأبىٰ أن يعذب الله أحدا حتىٰ يبعث رسولا فما بال يأجوج ومأجوج عند إخواننا وفقهم الله؟

وأيضا لو كان الأمر كما يتصورون لكان الله تعالىٰ في الأصل يعذب بدون أن يبعث رسولا ولا يقيم الحجة، ولكان من يُعذَّب في النار بعد بعثة الرسل إليهم هم القليل

النادر الذي لا حكم له، لأن نسبة الناس من بعث النار إلىٰ يأجوج ومأجوج واحد من الألف!

ويلزم من هذا في حق الله سبحانه وتعالىٰ لوازم فاسدة عز ربنا وجل أن يتصف بها، وذلك حين يمتدح الله نفسه بكمال العدل أنه لا يعذب حتىٰ يبعث الرسل، بينما في الواقع نجد جمهور أهل النار يعذبون بدون بعثة الرسل إليهم، بل قد حُرموا دعوة خاتم النبيين محمد عليه الصلاة والسلام وهم في زمنه قبل البعثة وبعدها محاصرون خلف ردم حتىٰ تقوم الساعة.

ومثل هذا من قال: إن الله تعالىٰ خلق يأجوج ومأجوج للنار، كما هو شأن غلام الخضر الذي قتله، فليسوا بحاجة لإقامة الحجة عليهم! فإن الله تعالىٰ لا يخلق للنار خلقا يوم القيامة حين تبقىٰ فيها فضلة، بل يضع الرب تبارك وتعالىٰ قدمه عليها حتىٰ تقول قط قط، وذلك لكمال عدله سبحانه وتعالىٰ ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسْرَاء: ١٥] أفيتصور أن يعذب الله يأجوج ومأجوج دون أن يقيم عليهم الحجة ببعثة نبينا عليه الصلاة والسلام إليهم مع الناس؟

هذا من أعجب العجب.

ولسنا نكلف أنفسنا الرد علىٰ هذا القول، فبعض الأقوال تغني حكايتُها عن الرد عليها لوضوحها.

***

## الدليل الخامس

قوله تعالىٰ: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝٩٥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝٩٦ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٩٧﴾ [الأنبياء : ٩٥ - ٩٧]

هذه الآية أشكلت علىٰ المفسرين إشكالا عظيما، كما هو مبسوط في كتب التفسير، فقد نقل القرطبي عن النحاس أنها مشكلة، وقال الزجاج في معاني القران: وظاهر (حرام عليهم أنهم لا يرجعون)، يحتاج إلىٰ أن يبين، ولا أعلم أحدا من أهل اللغة، ولا من أهل التفسير بينه. اهـ

وملخص كلامهم ما ذكره ابن كثير في التفسير من قوله: قال ابن عباس: وجب، يعني: قدرا مقدرا أن أهل كل قرية أهلكوا أنهم لا يرجعون إلىٰ الدنيا قبل يوم القيامة. هكذا صرح به ابن عباس، وأبو جعفر الباقر، وقتادة، وغير واحد. اهـ

وقال بعض المفسرين: ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ أي لا يتوبون، وبعضهم يقول: حرام عدم رجوعهم إلىٰ الله.

فهذه أشهر الأقوال.

قال القرطبي: فأما قول أبي عبيدة: إن (لا) زائدة فقد رده عليه جماعة؛ لأنها لا تزاد في مثل هذا الموضع، ولا فيما يقع فيه إشكال، ولو كانت زائدة لكان التأويل بعيدا أيضا؛ لأنه إن أراد وحرام علىٰ قرية أهلكناها أن يرجعوا إلىٰ الدنيا فهذا ما لا فائدة فيه، وإن أراد التوبة فالتوبة لا تحرم. اهـ

تقدم معنا في الفصل الثاني عند ذكر مقاصد الشريعة في المقصد الخامس أن حقيقة الغيب لا يعلمها إلا الله، وأنه ليس الخبر كالمعاينة، وأن المعاين للأحداث ليس كالذي لا يبلغه عنها إلا مجرد الخبر، فلا شك أن المعاينة أقوىٰ في معرفة تفاصيل الأحداث ومعانيها، وتقدم أيضا في الرد علىٰ الشبهة السابعة من الفصل الثاني قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عِمْرَان : ٧]

وأنه ظهر من معاني هذه الآية بالتفصيل الدقيق للمتأخرين مالم يظهر مثله لكثير من المتقدمين مع أنها نزلت عليهم، فإنه حين خرج المبتدعة ممن خاض في أسماء الله تعالىٰ وصفاته علم الناس أنهم هم المعنيون بقوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِ﴾ مع أن السلف لم يكونوا يعرفونهم ولا يدرون من هم، ولا كيف يتبعون المتشابه.

وهذه الآية مثلها، فإن تفاصيل معانيها لا تظهر علىٰ حقيقتها إلا لمن عاصر وقوعها أو تأخر عنه، أما المتقدم فليس عنده إلا بعض العموم عنها، بل إن كثيرا من المفسرين لا يعرف معناها، وقد أشكلت عليهم كثيرا كما تقدم النقل عن أئمة التفسير، وخفاء معاني هذه الآية أشد من خفاء تفاصيل معاني آية المتشابهات، وليس في القران شيء لا يمكن معرفة معناه إلا ما ذكر من معاني الحروف المقطعة أوائل بعض السور.

وخلاصة معناها الذي يوافق نصوص الشرع، ويجتمع به كلام الأئمة امتناع رجوع أمم الكفر إلىٰ الأرض للتمتع فيها بالزينة والترف والمساكن، والتكبر والتجبر بأنواع

الشرك والكفر الذي أهلكهم الله به، ويستمر ذلك الإمتناع إلىٰ فتح يأجوج ومأجوج، فإذا فتحت يأجوج ومأجوج عادت أمم الكفر لعمارة الأرض، وعادوا لمساكنهم وكفرهم حتىٰ يصلوا لمستوىٰ أنهم ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ وعندها اقترب الوعد الحق، وهو يوم القيامة.

فإن الناظر إلىٰ ما ورد في القران من أخبار هلاك الأمم يتبين له ما هو المقصود بالرجوع، فالقران يفسر بعضه بعضا، وإن أمة محمد عليه الصلاة والسلام هي آخر الأمم، والزمان الذي مر منذ بعث الله رسوله نوحا عليه الصلاة والسلام لقومه الذين هم أول المهلكين، إلىٰ زمن البعثة المحمدية، أكثر بكثير بما لا مقارنة بالزمان الذي بقي من عمر الدنيا بعد بعثة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، فقد صح عن رسولنا عليه الصلاة والسلام أنه قال كما في الصحيحين عن عدة من الصحابة منهم أنس وأبو هريرة وسهل بن سعد وغيرهم: **"بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ"** وأشار بالسبابة والوسطىٰ.

قال الله تعالىٰ مخاطبا الكافرين من أمة محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾﴾ [مُحَمَّد : ١٠] وقال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأَنْعَام : ١١] وقال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [النَّمل : ٦٩] وقال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الرُّوم : ٤٢] وفي هذه الأدلة وغيرها ـ وهي كثيرة ـ دلالة أن مساكن المهلكين لم تُعمَر ولم ترجع منذ أهلكها الله حتىٰ زمن البعثة المحمدية، واستمرت بعد البعثة

كذلك حتىٰ جاء وعد الله برجوعها، ويشهد لهذا قوله تعالىٰ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾ [مَرْيَم : ٩٨] وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [القَصَص : ٥٨] وتفسيرها قوله تعالىٰ: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الأَنبِيَاء : ١١ - ١٣] فالرجوع الذي أمرهم الله به هو رجوعهم لترفهم ومساكنهم التي دمرت، ولن يستطيعوا ذلك أبدا حتىٰ تفتح يأجوج ومأجوج، فيأذن الله لتلك القرىٰ كلها بالرجوع، حتىٰ لا يكاد الإنسان يعرف في أرض الله قرية من القرىٰ التي دُمِّرت من قبل، ولا يبقىٰ للسائر في الأرض عبرة يراها من هلاك الأولين، فيُعمر كل شيء، وهذا هو ما دلت عليه الآية التي نحن بصدد تفسيرها ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأَنبِيَاء : ٩٥ - ٩٧]

ولا يصح أن يكون مقصود الآية الرجال بأعيانهم وأشخاصهم أن الله حرم عليهم الرجوع إلىٰ الدنيا، لأن الموت عام يشترك فيه القرىٰ الكافرة والمؤمنة، بل حتىٰ الأنبياء لا يرجعون إلىٰ الدنيا بعد موتهم، وهذا هو الذي قال القرطبي إنه لا فائدة فيه، لأنه يستحال أن يقصده الشرع، فتبين بما لا يدع مجالا للشك أن المقصود عدم رجوع أمم ودول الكفر العاتية في الأرض المتمردة علىٰ الله ورسله بقوتها وعقيدتها لا برجالها، فحرام عليهم الرجوع إلىٰ لأرض للعتو فيها.

وإذا كان كذلك فنقول هنا ما بال القرىٰ الكافرة رجعت لعمارة الأرض والعتو والكفر؟

فهي متجبرة متكبرة، منذ قرون وهي تحارب الله ورسوله، والمسلمون أقل شيء وأذله إلىٰ زماننا! أليس الله تعالىٰ حرم عليهم الرجوع؟

والجواب أن التحريم مربوط بغاية متىٰ حصلت ارتفع التحريم ورجعت هذه القرىٰ كما كانت.

فالتحريم علىٰ قرىٰ الكفر المذكور في الآية مستمر حتىٰ فتح يأجوج ومأجوج، ف(حتىٰ) تفيد الغاية وهي متعلقة ب (حرام) فغاية تحريم قيام قرىٰ الكفر ورجوعها هو فتح يأجوج ومأجوج، فإذا فتحت رجعت قرىٰ الكفر ولا يبقىٰ للسائر في الأرض عبرة من هلاك المتقدمين، ثم إذا بلغ من حالهم أنهم من كل حدب ينسلون هنالك اقترب الوعد الحق، أما قبل فتح يأجوج ومأجوج فإن رجوع قرىٰ الكفر للعتو في الأرض حرام حرّمه الله تعالىٰ عليهم كونا وقدرا، ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝٩٥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ... ﴾ وهذا هو الذي حصل في التأريخ فإن الإسلام لم يزل ظاهرا قاهرا، والله تعالىٰ يأتي الأرض ينقصها به من أطرافها، والقرىٰ الكافرة في ذل وصغار، حتىٰ جاء التتر آخر الخلافة العباسية فعادت القرىٰ الكافرة، كما أجّل الله لهم ذلك الأجل، فعادت فارس، وعادت الروم، وقد أهلكها الله وأبعدها، وعاد اليهود وعاد النصارىٰ وقد أهلكهم الله، وعادت الوثنية وعاد غيرها من أرباب الشرك والكفر والإلحاد، بعدما أهلكهم الله جميعا وحرم عليهم الرجوع للدنيا. فعادت أمم الكفر، حتىٰ صار الكفار لحمة واحدة ضد الإسلام وأهله تحت مسمىٰ الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي، وهم من كل حدب ينسلون، وأصبح العرب المسلمون في ذلة، منذ خرج عليهم التتر.

وأمور الغيب إذا أخبر الله عنها أو رسوله عليه الصلاة والسلام، فحصل بعض الخلاف في فهمها قبل وقوعها فإنها إذا وقعت فهي من دلائل النبوة، وينتهي الخلاف الذي كان سابقا ولا تفسر إلا حسبما وقعت، وتقدم معنا حديث **"أَطْوَلُكُنَّ يَدَاً"** ويدخل في هذا الباب أيضا حديث **"وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ"**، فبعد مقتل عمار تبينت الفئة الباغية من الفئتين العظيمتين من المسلمين حين اختلفوا زمن علي رضي الله عنه.

فالخلاصة من معاني هذه الآية أن علامة فتح يأجوج ومأجوج هو رجوع القرىٰ الكافرة بعدما حرم الله عليهم الرجوع.

وقد كان ابتداء رجوع القرىٰ الكافرة المهلَكة من حين خرج التتر فهلك العرب وحصل الفساد العريض والويل الذي أخبر عنه النبي عليه الصلاة والسلام، وهذا لا يمكن أن يطلع عليه أحد من القرون المفضلة ولا من يأتي بعدهم من المفسرين إلا بخبر المعصوم صلىٰ الله عليه وسلم، لأنه من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا لله.

***

## الدليل السادس

قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِّحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾ بتشديد التاء علىٰ قراءة ابن عامر وأبي جعفر ويعقوب من العشرة.

فهذه الآية صريحة في أن يأجوج ومأجوج سيحصل لهم فتح بعد فتح، فإذا كان ردمهم سيندك عند مجيء الوعد الحق ويخرجون علىٰ الناس عند دكه مباشرة مرة واحدة فما هذه الفتوحات ليأجوج ومأجوج؟ ولن يستطيع قائل أن يقول إن المقصود هو نقبهم في السد وفتحه شيئا فشيئا حتىٰ يتم هدمه، لأن نسبة التفتيح ليست للردم بذاته ولكنها ليأجوج ومأجوج كما هو ظاهر الآية، ولا يمكن الخروج عن ظاهرها بوهم أو اجتهاد إلا بقرينة صحيحة، ولم أجد أحدا من المفسرين لا من المتقدمين ولا من المتأخرين شرح الآية بقراءة التشديد هذه.

ومعناها والله أعلم حسب ظاهرها أن الفتح الأول هو انفتاحهم من الردم، كما ذكر هذا جميع المفسرين وتقدم في الدليل السابق، وهو ظاهر قراءة التخفيف ﴿فُتِحَتۡ﴾ ثم ينفتحون بالخروج من بلادهم وينفتحون بقدراتهم وصناعاتهم حتىٰ يبلغوا في السرعة مبلغا عظيما ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾ ويستمر تفتحهم حتىٰ تتكامل قدراتهم وقوتهم وسرعتهم عند خروجهم علىٰ نبي الله عيسىٰ حتىٰ أنه **"لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ"** وعندها يتكامل رجوع القرىٰ التي أهلكها الله وحرم عليها الرجوع، فينصر الله المهدي وعيسىٰ عليهم جميعا، ويهلك الله الآخرين كما وعد في سورة المرسلات، حتىٰ تهلك جميع الملل إلا الإسلام، وبعدها تقوم القيامة حسبما ذكر في السنة.

## الدليل السابع

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾﴾ [الكهف : ٨٤ - ٩٢]

وشاهدنا منها أن ذا القرنين لم تكن عنده أمور خارقة للعادة ولكنه اتبع أسبابا من الأسباب التي أوتيها أهل عصره حين وصل لبلاد الترك ومساكن يأجوج ومأجوج فردم بينهم، وقد تكرر ذكر الأسباب في القصة أربع مرات حتىٰ لا يتوهم متوهم أن ذا القرنين عنده من الوسائل الخارقة للعادة ما ليس عند أحد من أهل عصره.

وإذا كان كذلك فإن من تيسر له من الأسباب ما تيسر لذي القرنين فإنه ليس بممتنع عليه أن يجوب شرق الأرض وغربها فيطلع علىٰ مساكن الترك ويأجوج ومأجوج.

ومما لا شك فيه أن الأسباب التي سهلها الله تعالىٰ للناس في عصرنا تفوق بأضعاف مضاعفة الأسباب التي سلكها ذو القرنين حين سار في شرق الأرض وغربها، ومع هذا لم يُعثر علىٰ أمة محاصرة بين سدين مردوم عليهم حتىٰ لا يخالطوا جيرانهم، فهذا ما لا يدل عليه شرع، ولا يستسيغه عقل، ولا يشهد له واقع.

وإذا استساغته بعض العقول وصار عندها ممكنا، فهل تستسيغ وجود أمم من الترك وغيرهم بجانب يأجوج ومأجوج، عندهم من الوسائل والقدرات العصرية الشيء

العظيم كما هو مشاهد؟ فما بالهم لم يفكروا في الصعود علىٰ جيرانهم من وراء السدين ويطلعوا عليهم؟

فإذا عجز يأجوج ومأجوج عن الاطلاع علىٰ جيرانهم من الترك وغيرهم فإن الترك وغيرهم ليسوا بعاجزين عن الاطلاع علىٰ يأجوج ومأجوج!

❊❊❊

## الدليل الثامن

قال الله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ٩٠ كَذَٰلِكَۖ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا ٩١ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ٩٢ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ٩٣﴾ [الكهف: ٩٠ - ٩٣]

هذه الآية فيها تحديد مكان يأجوج ومأجوج وأنهم جهة الشرق بعد أن رجع ذو القرنين منه، وقد أجمع المؤرخون علىٰ ذكر موقع سكن يأجوج ومأجوج وتحديده من الأرض من بين أقاليمها كما نقله السعدي رحمه الله عن جميع المؤرخين وأصحاب الأقاليم، بل صرح ابن كثير أن يأجوج ومأجوج هم مغل المغول، وذكر الشيخ ابن باز رحمه الله أن يأجوج ومأجوج سيخرجون آخر الزمان من الصين الشعبية.

وبالنظر للواقع فإن مقاطعات الصين ومنغوليا معروفة الان لدىٰ الناس عموما وأهلها خصوصا علىٰ وجه الدقة، لا يوجد بلدة لم يصل إليها نفوذهم واستغلالهم اقتصاديا وسياسيا.

ولم يعثر ليأجوج ومأجوج بتلك الكثرة الكاثرة خلف ردم بين سدين من الجبال علىٰ أثر.

فهم بين أربعة أمور

الأول: أن الله تعالىٰ أخبر عن شيء يستحيل وجوده في الواقع.

والثاني: أن يأجوج ومأجوج يعيشون تحت الأرض وليس علىٰ سطحها حتىٰ يراهم الناس، فهم لا يعرفون السماء والشمس.

والثالث: أن الله تعالىٰ أخفىٰ يأجوج ومأجوج عن الناس كما أخفىٰ الجن.

الرابع: أن يأجوج ومأجوج كانوا برهة من الزمن خلف الردم كما أخبر الله عنهم، ثم اندك وعادوا لما كانوا عليه قبل أن يردم عليهم ذو القرنين من أول نشأتهم، ثم يخرج نسلهم آخر الزمان من بلادهم الشرقية لقتال عيسىٰ ومن معه، فيهلكون في بلاد العرب.

هذه أربعة أقوال ولا شك في فساد القولين الأولين.

ويبقىٰ القول الثالث الذي عليه كثير من العلماء في زماننا وهو قول فاسد، ويتجلىٰ فساده من عدة وجوه ذكرنا أدلتها في هذا الفصل، حيث إنه لا يوجد دليل لا من القران ولا من السنة ولا عن أحد من السلف أن مساكن يأجوج ومأجوج ستختفي من الأرض بحيث إن الناس لا يعرفون لهم أثرا، ومن زعم هذا الاختفاء فعليه بالدليل ولا دليل.

وإذا كانت مساكن يأجوج ومأجوج مخفية عن الناس علىٰ وجه الخرق للعادة فما هي الحاجة لذلك الردم الحسي الذي يحول بينهم وبين الناس، ولن يبرزوا لأهل الأرض إلا بانهدامه؟ فزعم وجوده وربط خروج يأجوج ومأجوج من اختفائهم الخارق بوجوده الحسي من السفه الذي يتنزه عنه رب العالمين وشريعته الغراء.

والخلاصة أن القول باختفائهم بدعة صلعاء شنعاء تولج كثيرا من الناس في مستنقع الخرافات والإسرائيليات التي يتنزه عنها طالب العلم، وإلا فإننا نحتاج لأدلة أوضح من الشمس تبين أن أكثر البشرية ستختفي من الأرض ولن تصلها دعوة المبعوث للعالمين صلىٰ الله عليه وسلم!

فتعين القول الرابع وهو القول الذي ينسجم مع مقاصد الشريعة، ولا ترده العقول السليمة.

فلسنا بحاجة مع هذا القول للتكلف بلا دليل لنزعم اختفاء يأجوج ومأجوج، ولسنا بحاجة معه للتكلف بلا دليل لاستثناء يأجوج ومأجوج من عموم المعذبين في النار بأنهم قد اعترفوا أنه قد بلغتهم الرسالة فكفروا بها، ولسنا بحاجة معه للتكلف بلا دليل لاستثناء يأجوج ومأجوج من عموم من أرسل إليهم رسول الله عليه الصلاة والسلام من العالمين، ولسنا بحاجة معه للتكلف بلا دليل لاستثناء يأجوج ومأجوج حيث إن الله وصف نفسه بقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسْرَاء : ١٥] وغير ذلك مما تقدم في هذه الرسالة.

***

## الدليل التاسع

قال الله تعالىٰ: ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ٩٤﴾ [الكهف: ٩٤]

وجه الشاهد من الآية أن فساد يأجوج ومأجوج الذي بُني السد عليهم لأجله ليس هو الفساد الذي لا يبقي ولا يذر، ولكنه فساد كفساد أهل زماننا، فإذا تأمل المتأمل في هذه الآية فإنه يتحصل علىٰ نوعية الفساد الذي يعمله يأجوج ومأجوج وأنه فساد محدود، ليس فيه الإبادة الجماعية، إذ لو كان كذلك لما بقي قوم يشتكون لذي القرنين فساد يأجوج ومأجوج ولأبادوهم إبادة، فإن هؤلاء لم يزالوا مجاورين ليأجوج ومأجوج قبل أن يُخلَق ذو القرنين منذ نشأتهم، ولم يحصل منهم ما يتصوره إخواننا مما لا يكون إلا من سباع الغاب.

بل في الآية ما يدل علىٰ أن هؤلاء الذين اشتكوا يأجوج ومأجوج لذي القرنين عندهم أموال عظيمة بأيديهم أرادوا أن يجعلوا منها خرجا لذي القرنين مقابل عمل السد إلا أنه تعفف عن أموالهم، ومعلوم أن الأموال مصادرها الذهب والفضة والأنعام والحرث ونحو ذلك.

هذه صورة الفساد الذي كان عليه يأجوج ومأجوج ولأجل هذا الفساد المحدود ردم عليهم ذو القرنين السد ومنعهم من مخالطة الناس، تأديبا لهم ومصلحة لمجاوريهم.

ولا شك أنه قد وُجد من يفسد في الأرض من زمن قديم، أشد من فساد يأجوج ومأجوج، وعلىٰ رأس أولئك المفسدين مَن أخبرنا الله بهلاكهم وعذابهم في كتابه الكريم، ولا شك أن فساد يأجوج ومأجوج دون فساد هذه الأمم الهالكة وإلا لأصابهم

ما أصاب غيرَهم، خصوصا بعد إقامة الحجة عليهم ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ٥٩﴾ [الكَهْف : ٥٩] ﴿وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ١١﴾ [الأَنبِيَاء : ١١].

فلما كان فسادهم دون فساد غيرهم اكتفىٰ ذو القرنين ببناء الردم بينهم.

والملاحظ أنه لم يقاتلهم أو يعذبهم كما فعل بأهل المغرب، والله أعلم ما هي الحكمة في ذلك!

وقد كان الأنبياء يُبعثون إلىٰ أقوامهم خاصة وقليلا ما يجوزون أقوامهم إلىٰ غيرهم.

وبالنظر إلىٰ فساد أهل زماننا فإنهم ليسوا بأقل فسادا من يأجوج ومأجوج الذين ردم ذو القرنين بينهم وبين جيرانهم، فلا زال الناس منهم في عناء خصوصا العرب، مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام **"وَيلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ"**.

وليس هناك دليل صحيح صريح أنه لن يندك ردمهم إلا زمن عيسىٰ، وأن فسادهم زمن عيسىٰ هو نفسه الفساد الذي يعقب دك الردم مباشرة.

وشاهدنا من الآية أن فساد يأجوج ومأجوج حين خروجهم من الردم هو نظير الفساد الذي ردم عليهم ذو القرنين لأجله، وليس ما يتصوره بعض إخواننا من الفساد العارم الذي يكون من نسلهم زمن عيسىٰ عليه الصلاة والسلام.

***

## الدليل العاشر

قوله تعالىٰ: ﴿قَالُواْ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ [الكهف : ٩٤ - ٩٥]

والشاهد منه أنهم طلبوا من ذي القرنين أن يجعل سدا بينهم وبين يأجوج ومأجوج من جهتهم فقط، ﴿أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ وقد علموا أنه باستطاعة يأجوج ومأجوج الخروج من الجهة الأخرىٰ إذا تيسرت لهم الأسباب، ولكنها توصلهم لبلاد بعيدة يأمنون فيها من شر يأجوج ومأجوج وغوائلهم، ولو علموا أن الجهة الأخرىٰ من السدين مغلقة تماما ولا رجاء من خروج يأجوج ومأجوج منها، لا بطول الأسفار وبعد المسافات، ولا بالوسائل الممكنة التي تتيسر لهم فيما بعد، لقالوا لذي القرني: فهل نجعل لك خرجا علىٰ أن تغلق عليهم وتحاصرهم بين السدين، فأقرهم ذو القرنين وقال ﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ [الكهف : ٩٥] ولم يقل أجعل عليهم ردما، فالردم من جهة واحدة فقط وهي ما بينهم وبين جيرانهم وليسوا محاصرين مطبق عليهم.

والجهة التي عمل فيها ذو القرنين السد هي الجهة التي تلي الأرض المأهولة وهي قريبة أيضا من بلاد العرب، أما الجهة الأخرىٰ من السدين فمسكوت عنها في القران والسنة، ولم يصح دليل في وصفها، لكن ظاهر الآية أن ذا القرنين جعل الردم بين

يأجوج ومأجوج من جهة الترك فقط حسب طلبهم، والجهة الأخرىٰ بعيدة ليس معهم من الأسباب ما يجاوزون إلىٰ جيرانهم عبرها في زمانهم، ولهذا فضلوا الحفر في الردم علىٰ قطع المسافات إلىٰ جهة السدين الأخرىٰ.

ولو أن الردم الذي صنعه ذو القرنين باق إلىٰ عصرنا هذا فإن الجهة الأخرىٰ من السدين ليست مغلقة، فما للناس مع ما معهم من قدرات هائلة مكنهم الله منها في هذا العصر لم ينفذوا إلىٰ يأجوج ومأجوج عبرها أو عبر الجو؟ وهكذا لم ينفذ بعض من يأجوج ومأجوج من الجهة الأخرىٰ ويطلع علىٰ ما عليه الناس خلف الردم!

والذي يعرف الأرض يعلم أن سلاسل الجبال تحتوي علىٰ شعاب وأودية تسيل فيها مياه الأمطار، ولا زالت كذلك حتىٰ تصب في البحر، فإذا كان الردم في الجهة السفلىٰ من الأرض فسيمتلئ بالمياه حتىٰ يفيض، وبعدها إما أن يغرق يأجوج ومأجوج بداخله بين السدين، وإما أن يكونوا في أطراف منه فيصعد عليه بعضهم بقواربهم ثم يظهرون علىٰ الناس ويخالطونهم.

وهذا الاحتمال من كون الردم في الجهة السفلىٰ من الأرض ضعيف، لأن النبي عليه الصلاة والسلام أخبر عن فتح ردم يأجوج ومأجوج مقدار تحليق الإبهام والتي تليها، ولن يستطيعوا فتحه وهو مغمور بالمياه.

وإذا كان الردم في الجهة العليا من الأرض وهذا هو الأقرب فإن سيول الأمطار ستتجه ولا شك جهة البحار، ولا توجد أمة من الأمم لا تعرف ركوب البحر ولا صنع السفن من زمن نوح عليه الصلاة والسلام، فما المانع الذي يمنع يأجوج ومأجوج من ركوب البحر علىٰ هذه الحال؟

ولا شك أنهم لن يستطيعوا الفساد عن طريق البحر كما هو عن طريق البر، لكنهم ليسوا عاجزين تماما عن الاتصال بأهل الأرض وهذا ظاهر معلوم، وإذا كان كذلك فما المانع لهم من الاستفادة من الوسائل العصرية التي عليها الناس في عصرنا؟

الجواب: إن المانع لهم هو جمود إخواننا وعدم اقتناعهم لا غير.

❊❊❊

## الدليل الحادي عشر

قوله تعالىٰ عن ذي القرنين بعد مشاهدته عجز يأجوج ومأجوج عن نقبه أو ارتقائه:

﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ٩٧ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ٩٨﴾ [الكهف: ٩٧ـ ٩٨]

وكان بإمكاننا أن نجعل هاتين الآيتين دليلين منفصلين لكنا جمعناهما في الدليل العاشر.

فالردم من جهة الترك ليس مثل جهة يأجوج ومأجوج، فإن ذا القرنين ومن معه تمكنوا من مشاهدة يأجوج ومأجوج حين لم يستطيعوا نقبه ولا الظهور عليه، وهكذا الترك ليس هناك مانع من مشاهدتهم ليأجوج ومأجوج وهم خلف الردم بعد ذلك في كل زمن من الأزمان إلىٰ عصرنا الذي يُغرم الناس فيه بالعجائب والغرائب ويذهبون إليها حيثما كانت من الأرض.

وأيضا ذِكْر الدك للردم حين بنائه ووصفه بأنه رحمة فيه دلالة أن هذه الرحمة ليست إلىٰ قيام الساعة، بل سيأتي يوم يندك فيه هذا الردم، ولو كان الردم باقيا إلىٰ قيام الساعة فإنه ليس ثمة فائدة من الإخبار بدكه وتخويف الناس من انهدامه، وهذا هو الفهم الذي فهمه أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام من الآية، فإنهم لم يفهموا أن الردم سيدوم لزمن عيسىٰ ولكنه سينهدم قبل ذلك ويهلك به العرب حين يكثر الخبث في الناس، كما في حديث زينب.

ولو كان الردم باقيا إلىٰ قيام الساعة فسيكون الإخبار عنه بغير هذا السياق المذكور في الآية، لأنهم يزعمون أن المقصود بـ﴿وَعۡدُ رَبِّي﴾ هو وعد القيامة، وإذا كان كذلك

فسيقول ذو القرني: هذا رحمة من ربي إلىٰ قيام الساعة، أو يقول: هذا أمر ربي إلىٰ يوم القيامة.

فالردم رحمة، وهذه الرحمة ليست منوطة في الآية بزمن معين كما زعموا أنه نزول عيسىٰ، والرحمة التي جعلها الله لأهل ذلك الزمان بالردم لم يثبت دليل علىٰ أنها لأهل الأرض عموما في كل عصر من العصور حتىٰ يهلك الدجال، بل الثابت أنها ستزول حين يكثر الخبث، وسيأتي تفصيل هذا عند حديث زينب إن شاء الله.

وذو القرنين إما أن يكون نبيا أخبر عن الغيب وهو دك الردم زمن عيسىٰ، وهذا لا يقوله لو كان هو المراد إلا نبي من طريق الوحي، وليس هناك دليل يدل علىٰ نبوة ذي القرنين.

وإما أن يكون ذو القرنين رجلا صالحا أخبر عما شاهده من متانة الردم وصلابته وأنه توقع أن يدوم طويلا حتىٰ يأتي أمر الله به فيندك ويعود من وراءه للفساد وهذا أقرب، وهو الموافق لسياق الآية.

ولو كان عند ذي القرنين علم أخذه من النبوة أنه سيبني الردم ليبقىٰ حتىٰ زمن عيسىٰ لأعد له العدة والقوة حتىٰ يتشرف به، ولن يطلب المعونة من أهل تلك البلاد، أو ينتظر منهم طلب بنائه.

ولكان الله ذكر قوله إنه رحمة، بعد فراغه من عمل السد مباشرة وليس بعد انتظاره ومشاهدته عجز يأجوج ومأجوج عن نقبه والظهور عليه، كما في سياق الآية.

وهذه الرحمة من الله كانت في زمن ذي القرنين مختصة بمن جاور يأجوج ومأجوج حيث أمِنوا شرهم وفسادهم، وأمم الأرض في ذاك الزمن لم يكونوا جميعا يسمعون

عن يأجوج ومأجوج سماعا فضلا عن أن ينالهم شيء من فسادهم، وهؤلاء الذين رحمهم الله بالردم علىٰ عدوهم لم يكونوا مفسدين كيأجوج ومأجوج، بل كانوا يعرفون صلاح ذي القرنين، ويعترفون له بالفضل والقوة والتمكين، ولهذا طلبوا منه عمل السد معللين ذلك بفساد جيرانهم لأنه لم يكن ليظلم أمة بالردم عليها بدون سبب.

فمتىٰ تحول حال هذه الرحمة من كونها مختصة بجيران يأجوج ومأجوج لتصبح رحمة لجميع أهل الأرض إلىٰ قيام الساعة؟

وإذا كان الله تعالىٰ قد رحم الترك بذاك الردم لقلة فسادهم وشرهم بالنسبة ليأجوج ومأجوج، فيلزم من ذلك أنه لن تأتي أمة من الأمم تفسد في الأرض كفساد يأجوج ومأجوج حين ردم عليهم ذو القرنين ما دام أن الردم سيستمر إلىٰ قيام الساعة، ولا يخفىٰ فساد هذا القول، لأن الردم رحمة كما سماه الله تعالىٰ حاكيا عن ذي القرنين.

وليس من حكمة الله ولا من عدله ولا من رحمته أن يحجز أمة من الأمم من ذاك الزمن من ذرية آدم الذين توعد الشيطان بإغوائهم أجمعين، ثم يمنعهم من دعوة الأنبياء وتتعاقب عليهم وعلىٰ جميع نسلهم القرون ليخرجهم الله زمن عيسىٰ ليهلكهم في ليلة واحدة قبل قيام الساعة، ثم يكونون أكثر بعث النار!

تعالىٰ الله عن ذلك علوا كبيرا.

فرحمة الله تعالىٰ تابعة لحكمته يرحم من يشاء، ويعذب من يشاء بما شاء، ولا شك أن للرحمة وللعذاب أسبابا، فمن أسباب رحمة الله للترك أنهم ليسوا مفسدين كيأجوج ومأجوج فنجوا من الردم، وسبب الردم علىٰ يأجوج ومأجوج هو فسادهم ذاك الزمن

علىٰ من جاورهم، فما هو الفساد الذي تميز به يأجوج ومأجوج بعد ذلك خلف ردمهم بحيث يكون أعظم وأكبر من فساد أمم الأرض كلها قديما وحديثا؟

ويستحقون بسببه أن يستمر الردم رحمة للناس منهم إلىٰ قيام الساعة؟

هذا لا يعلمه أحد وليس بوسع أحد القول به.

فإننا نلاحظ في زماننا من فساد الأمم ما لم تصل إليه البشرية قبل ذلك، فكل من قص الله علينا خبرهم في القران ممن أهلكوا من الأمم السابقة فإن فسادهم ليس بشيء أمام الفساد الذي عليه أمم الكفر العصرية المتأخرة، وقد توعد الله بإهلاكهم كما أهلك من قبلهم، قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ۝١٧ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٨﴾ [المُرْسَلَات: ١٦ - ١٨] فهذه الأمم العصرية هم من الكافرين الذين توعدهم الله بالهلاك كهلاك الأولين، وهم الذين تداعوا علىٰ أمة الإسلام كما تداعىٰ الأكلة علىٰ قصعتها.

والسبب في تأخر هلاكهم هو ضعف المسلمين في دينهم، فإذا ما رجع المسلمون لدينهم وتمسكوا به حق التمسك أهلك الله أعداءهم، وهذا حاصل بعد خروج المهدي، وبعد نزول عيسىٰ عليه الصلاة والسلام من السماء.

والشاهد من هذا كله أنه لم يرد دليل لا من القران ولا من السنة ينسب يأجوج ومأجوج لفساد خلف ردمهم أعظم من فسادهم الذي كانوا عليه، وأعظم من فساد الأمم كلها، بل الثابت عندنا أن الله يهلك القرىٰ الظالمة المحاربة لدينه ولرسله ويقصمها ولا يبقيها في أرضه، فالأمم العاتية الأولىٰ قد أهلكها الله عز وجل، ولم يبق منها أمة مستثناة مردوم عليها وأفرادها هم جمهور أهل النار!

ولو أن يأجوج ومأجوج بلغوا من الكفر والشرك والفساد مبلغ من أهلك الله من الأمم لعذبهم كما عذب تلك الأمم.

فإنه تعالىٰ ذِكرُه ذَكَرَ وعدَه بهلاك الكافرين الآخرين، ووعد بهلاك القرىٰ العاتية قبل يوم القيامة، ولا شك أن يأجوج ومأجوج من الأمم الكافرة المتقدمة لكنها لم تستحق عذاب الله بما أهلك به غيرها من الأمم في تلك العصور لأنها لم تتصدر لحرب دعوته، ومع هذا فهي من الأمم التي يحق عليها عذاب الله قبل يوم القيامة حين تتصدر للفساد في الأرض، وحرب رسوله الكريم عيسىٰ عليه الصلاة والسلام.

حتىٰ خروجهم علىٰ المسلمين أواخر الخلافة العباسية مع أنه من الشر والفساد العريض الذي صنعوه فإنه لم يسبب لهم عذاب الله، لأن الخبث قد كثر في المسلمين ذاك الزمن فسلطهم الله عليهم لذلك.

❊❊❊

## الدليل الثاني عشر

حديث زينب أم المؤمنين رضي الله عنها **أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا، يَقُولُ : " لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ " . وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنَتُ جَحْشٍ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ ؟ قَالَ : " نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ "** متفق عليه.

هذا الحديث أصح ما ورد في السنة النبوية من وصف يأجوج ومأجوج، ومن تأمله وجد فيه شفاء العليل وإرواء الغليل لمن أشكل عليه أمر هذه الخليقة واختلطت عليه حقائقها بالأساطير المنقولة عنها، وليس في هذا الحديث ذكرُ القيامة أو أشراط الساعة، أو تعليق فتح الردم بذلك، بل فيه التحذير المجرد من هذا الشر القادم، ولم يعلم أنه حصل بعد عصر النبوة شر أعظم من شر التتار، فهو أقرب وأخطر الشرور علىٰ العرب من عصر النبي عليه الصلاة والسلام، ولولا ما سطره المؤرخون من أفعال التتر لما قيل إلا أنها من باب الخيال!

وهذا الحديث من أوضح الأدلة التي تبين أن يأجوج ومأجوج لن يبقوا خلف الردم لزمن عيسىٰ عليه الصلاة والسلام.

وهذا شرح مختصر للحديث.

قوله: **"أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا"** عندنا قولان: دك الردم وبقاؤه، وبتنزيل فزعه عليه الصلاة والسلام علىٰ القولين يتبين صحة أحدهما وبطلان الآخر.

فإذا كان يأجوج ومأجوج خلف الردم إلىٰ زمان عيسىٰ فما هو الداعي لفزعه عليه الصلاة والسلام؟

ظهر المهدي ففتح جزيرة العرب بعد غزوها ثم فارس ثم فتح الروم وانتصر عليهم في الملحمة الكبرىٰ وأباد جيوشهم الصليبية، ثم فتح القسطنطينية وملأ الأرض قسطا وعدلا في عدة سنوات، ثم خرج الدجال وبقي أربعين يوما ففُتن به من فُتن، ثم نزل عيسىٰ ابن مريم فقتله وقضىٰ علىٰ فتنته، ثم واصل الفتوحات تجاه بلاد الروم فكسر الصليب وقتل الخنزير، فبينما هو كذلك إذ أوحىٰ الله إليه أن يتحرز بمن معه إلىٰ الطور بسبب يأجوج ومأجوج، ثم يدعو عليهم عيسىٰ بعد حصار شديد فيهلكون في ليلة واحدة، فيخرج عيسىٰ للأرض ويرثها كلها شرقها وغربها، وتكون الكلمة واحدة لله سبحانه وتعالىٰ وتهلك الملل كلها.

فما هو سبب فزعه عليه الصلاة والسلام ذاك الفزع في زمن تعلو فيه كلمة التوحيد وينتصر المسلمون وتهلك قرىٰ الكفر؟ هذا علىٰ القول ببقاء الردم.

أما علىٰ القول بدكه من زمن قديم، فإن النبي عليه الصلاة والسلام حين آمن به العرب نصرهم الله وأعزهم وقهروا من سواهم من الأمم ولا زالت فتوحاتهم تتجه في شرق الأرض وغربها ما داموا علىٰ التوحيد والسنة والصلاح، حتىٰ طال عليهم العمر وكثر فيهم الفسق والخبث أواخر الخلافة العباسية فجاءهم التتار المغول وهم نسل يأجوج ومأجوج كما ذكر المؤرخون، فأهلكوهم وسفكوا دماءهم واستباحوا أعراضهم وحصل لهم من البلاء والمحنة ما عجزت الأيام والليالي والسنون عن نقل مثلها، كما هو مدون في كتب التاريخ في مصيبة الإسلام والمسلمين الكبرىٰ، ثم لم يزل الإسلام

في ضعف ولم يزل العرب في ذلة حتىٰ تكالبت عليهم الأمم في عصرنا وتداعت عليهم كما تداعىٰ الأكلة إلىٰ قصعتها.

وهذا هو الذي أفزع نبينا عليه الصلاة والسلام كما في حديث زينب.

فظهر بما سبق أن الأولىٰ بتفسير فزعه عليه الصلاة والسلام هو نكبة العرب والمسلمين وذلهم، وليس فتوحات المهدي وعيسىٰ عليه الصلاة والسلام، إذ ليس في هذا الحديث ذكر الساعة وأشراطها لا من قريب ولا من بعيد.

قوله عليه الصلاة والسلام: **"وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ"**

وهذه قرينة ثانية في الحديث ترجح ما ذكرناه وتبطل القول الآخر، فما هو وجه الويل للعرب حين تكثر فتوحات عيسىٰ ابن مريم عليه الصلاة والسلام، وما مقدار ضرر يأجوج ومأجوج عليهم زمن عيسىٰ وما وجه تخصيصهم من سائر الناس؟

فعلىٰ القول الصحيح فويل للعرب من حملات يأجوج ومأجوج الذين هم التتار والمغول التي قال عنها ابن الأثير في ذكر خروج التتار إلىٰ بلاد الإسلام: لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها، كارها لذكرها، فأنا أقدم إليه رجلا وأؤخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين؟ ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت أمي لم تلدني، ويا ليتني مت قبل حدوثها وكنت نسيا منسيا، إلا أنني حثني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي نفعا، فنقول: هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى، والمصيبة الكبرى التي عقت الأيام والليالي عن مثلها، عمت الخلائق، وخصت المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم، إلى الآن، لم يبتلوا بمثلها، لكان صادقا، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما

يدانيها... ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم، وتفنى الدنيا، إلا يأجوج ومأجوج. اهـ

فأيها أولىٰ بوصف العرب بالويل زمن التتر أو زمن عيسىٰ؟

قوله عليه الصلاة والسلام: **"أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: " نَعَمْ "**

وهذه قرينة ثالثة تبين أن المقصود بالحديث ليس زمن عيسىٰ، فقد أجمع أهل العلم أن المراد بهذا الحديث هلاك الصالحين مع المهلكين بسبب كثرة الخبث، وإذا كان كذلك فإن ذروة الصالحين حين خروج يأجوج ومأجوج آخر الأمة هم عيسىٰ وأصحابه، بل لم يصح دليل في وجود صالحين غيرهم ذلك الزمن، ولا شك ولا ريب أنهم لن يهلكوا، لأن عيسىٰ قد حرزهم منهم بوحي الله جل وعلا، فتبين أن زمن الهلاك للصالحين المراد بهذا الحديث ليس زمن عيسىٰ ولله الحمد.

قوله عليه الصلاة والسلام: **" نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ"**.

وهذه قرينة رابعة في الحديث أيضا ترجح ما ذكرناه وتبطل القول الآخر.

فأيها أولىٰ بكثرة الخبث؟ زمن المهدي وملئه الأرض قسطا وعدلا، وزمن عيسىٰ وقتله الدجال وكسره الصليب وقتله الخنزير؟

أو أن الأولىٰ بكثرة الخبث أواخر الخلافة العباسية حين أصبح الخليفة مجرد رمز ليس له من خلافة المسلمين إلا اسمه، وأصبح المسلمون عدة ممالك ودويلات تتقاتل بينها البين وكل يسعىٰ للسيطرة علىٰ الملك، ووجدت البدع والأهواء والمعاصي سبيلها في الناس فانتشرت انتشارا فاحشا؟

وقد ذكر العيني في عمدة القاري في شرحه لهذا الحديث أقوالا تفسر ما فيه من الإشكال ومما ذكر من الأقوال أن المقصود بهذا الحديث هم التتر، قال رحمه الله: ويحتمل أنه أراد ما وقع من الترك من المفاسد العظيمة في بلاد المسلمين وهم من نسل يأجوج ومأجوج. اهـ

❊❊❊

## الدليل الثالث عشر

قوله عليه الصلاة والسلام كما في مسلم من حديث النواس: **"فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ أَوْحَىٰ اللهُ إِلَىٰ عِيسَىٰ: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَىٰ الطُّورِ. وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ"**

ظاهر هذا الحديث أن يأجوج ومأجوج يملكون قوة قتالية لا نظير لها.

وإذا كانوا خلف الردم لساعتنا هذه فيلزم أنهم لا يعرفون هذه القوة العصرية والأسلحة الفتاكة المدمرة، ويكونون أمة كثيرة ضعيفة في التسليح العسكري إنما هم أرباب سيوف ورماح ووسائل قديمة.

ولا شك أن هذا اللازم يخالف ظاهر حديث النواس أنه لا يدان لأحد بقتالهم، فالدول القوية في عصرنا كالصين وروسيا وأمريكا وغيرها أقوىٰ من يأجوج ومأجوج لو كانوا خلف الردم بلا مقارنة، بل بعض بلدان الإسلام التي تمتلك جيوشا جرارة وأسلحة فتاكة يلزم أن تكون اليوم أقوىٰ من يأجوج ومأجوج أيضا، ويكون الردم رحمة ليأجوج ومأجوج من بطش الناس في عصرنا، وليس رحمة للناس من يأجوج ومأجوج، وفي هذا مناقضة صريحة لظاهر القران.

ويكون قوله عليه الصلاة والسلام **"لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ"** مناقضا للواقع، لأن الجندي الواحد المتحصن الذي معه السلاح الحديث والذخيرة يستطيع بمفردة لا نقول أن يقضي علىٰ كتيبة بل يقضي علىٰ جيش جرار بمفرده من جيوش يأجوج ومأجوج لو خرجوا بالأسلحة القديمة السيوف والسهام والرماح، فما الظن بجيوش مرتبة وأعداد عظيمة مجهزة بأحدث التقنيات والتكنلوجيا العصرية مقابل آلات قديمة

في غاية من الضعف؟ وإن قال إخواننا إن هذه الوسائل العصرية الفتاكة ستنتهي وتزول والمقصود لا يدان لأحد من أهل زمانهم بقتالهم، فنقول: إنه لا دليل علىٰ زوالها بل الأدلة تدل علىٰ بقائها ورسالتي هذه بفصولها للرد علىٰ هذه الفكرة المحدثة؟

ـ مساكين أنتم يا يأجوج ومأجوج ويلكم من جيرانكم الصين والروس لو اطلعوا عليكم، لكن اطمئنوا فأنتم مختفون لن يعثروا عليكم، فقد رحمكم الله منهم بردم ذي القرنين، فأصبح الردم في وقتنا رحمة لكم من الناس لا للناس منكم، فاتركوا الحفر في الردم حتىٰ يرجع الناس مثلكم للرماح والسيوف وبعدها لكم أن تحفروا!

هذا أمر وأمر آخر أن العدد مهما كثر فإنه لا يكون سببا للنصر ولا للهزيمة.

أليس الله هو القائل: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البَقَرَة : ٢٤٩]؟

وفرضا لو كان يأجوج ومأجوج يستعملون الوسائل والأسلحة القديمة فعيسىٰ معه خيار أهل الأرض يومئذ ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المَائِدَة : ٥٤].

فالذين مع عيسىٰ قوم في منتهىٰ الشجاعة والخبرات الحربية، قد فتحوا جزيرة العرب وفارس، ثم فتحوا الروم بأن قضوا علىٰ الجيوش الأوربية في الملحمة الكبرىٰ، ثم فتحوا القسطنطينية، ثم أبادوا دولة اليهود وزعيمها الدجال وجعلوها كأمس الدابر، بل فتحوا أوربا فكسروا الصلبان، وقتلوا الخنازير، ولا يقبلون من عدوهم إلا الإسلام أو السيف، فدانت لهم أوربا بأسرها - بل الأرض المأهولة كلها بما فيها روسيا والصين والأمريكتان -إن سلمنا لهم أن يأجوج ومأجوج غير هؤلاء-

أفيتصور عاقل أن ينهزم جيش قهر أهل الأرض جميعا وهذا حاله ورجال هذه صفاتهم أمام جيش مخفي محاصر بين السدين؟

فأين التوكل علىٰ الله؟ أليس عيسىٰ أولىٰ به؟ فإنه لا فرق بين جيوش عيسىٰ التي فتحت المشارق والمغارب وبين جيوش يأجوج ومأجوج إلا في كثرة العدد فقط، أما السلاح فهو هو، بل ربما كان سلاح عيسىٰ وجنده أفضل لأنهم غير محاصرين، وينتقون من الخبرات الحربية من العالم كله يومئذ.

وأين هم من قوله عليه الصلاة والسلام كما عند أبي داود والترمذي وأحمد عن ابن عباس وصححه الألباني **" خَيْرُ الْأَصْحَابِ أَرْبَعَةٌ، وَخَيْرُ السَّرَايَا أَرْبَعُمِائَةٍ، وَخَيْرُ الْجُيُوشِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ "**. قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **" لَنْ يُغْلَبَ قَوْمٌ عَنْ قِلَّةٍ يَبْلُغُونَ أَنْ يَكُونُوا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا "**.

فليس من حكمة الله ولا من سنته الكونية أن يوحي للمسلمين المجاهدين الفاتحين الذين يقودهم نبي من الأنبياء أن يتركوا قتال عدو لمجرد تفوقه عليهم عدديا، كيف وهو القائل: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةَۢ كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٤٩]

فلفظ الحديث (**لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ**) يدل علىٰ أنهم أهل قتال وبأس وليسوا أهل كثرة فقط.

والقتال والبأس والحرب لها آلاتها الخاصة، ووسائلها المعروفه، فلا شك أن يأجوج ومأجوج متفوقون جدا في وسائلهم الحربية وآلاتهم القتالية، وأنىٰ لهم التفوق وهم محاصرون بين السدين!

ولن يكون يأجوج ومأجوج بهذا التفوق إلا بالوسائل الحديثة التي نرىٰ تفوق أهل زماننا فيها رأي العين من الشرق والغرب.

فهذه الصفة قد تحقق بعضها قطعا في عصرنا عند أولئك، حيث يمتلكون القنابل النووية التي تدمّر قرىٰ بأكملها، وهم قادرون علىٰ رمي كل بلدة في الأرض عبر الصواريخ العابرة للقارات إلا ما شاء الله، والطائرات التي تفوق سرعتها سرعة الصوت بأضعاف، والغواصات البحرية المحملة كذلك بالرءوس النووية في أعماق المحيطات بحيث تَضرِب ولا تُضرَب، وغير ذلك من أنواع العدة والقوة العصرية التي لا تخطر علىٰ بال.

ويستدل البعض بهذا الحديث علىٰ أن يأجوج ومأجوج ليسوا هذه الأمم وأن السلاح الحديث سيزول، إذ لو كانوا هم لأحرقوا الطور بمن فيه بما يمتلكون من طيران وسلاح حديث!

فنقول: إن هذا استدلال من لم يعط الحديث حقه من النظر، فعيسىٰ كما تقدم مجاهد وغاز في سبيل الله لا يهاب الأعداء، وعنده الاستعداد هو ورجاله من هذه الأمة لمواجهة كل عدو، فجيش المهدي الذين ينزل عليهم عيسىٰ أهل بأس وشدة وشجاعة منقطعة النظير قبل نزول عيسىٰ، فإذا نزل عيسىٰ فلا تسل عن منتهىٰ الشجاعة التي تصل إليها قلوبهم تلك الساعة حين يرون نبي الله بين أظهرهم.

فلهذا يقتلون اليهود قتلا ذريعا حتىٰ يختبئوا خلف الأحجار والأشجار، فيكرم الله تلك الوجوه لما بلغته من مستوىٰ الإيمان والشجاعة أن تنطق لهم الحجر والشجر وتخبرهم باختباء اليهود خلفها، وفي هذه المعركة من النوادر أن قائد المسلمين يقتل قائد الكافرين بيده بطعنه بحربته، وهذا يمثل منتهىٰ الشجاعة والنصر في عيسىٰ وجنده، ومنتهىٰ الجبن والخذيلة في الدجال وأتباعه.

ومثل هذا قل أن يحصل في معركة من المعارك أن يقتل القائدُ القائدَ بعد ملاحقته وفراره، وبعد هذه المعركة تزداد شجاعتهم ويزداد إيمانهم بما يحصل لهم من الجهاد والفتوحات حتىٰ يأتي يأجوج ومأجوج وهم في منتهىٰ القوة والبسالة، إلا أنهم في هذه المعركة لا يستعملون أي شيء من الخبرات الحربية، بل يأتي الوحي من السماء بعدم القتال، ولولا هذا الوحي لقاتلوا يأجوجَ ومأجوجَ فيكون فيه هلاكهم.

أيضا أمر آخر مهم أن الله تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ عيس أن يتجنب يأجوج ومأجوج هو ومن معه ولا يقاتلهم، فتصوُّر حصول معركة بين عيسىٰ وبين يأجوج ومأجوج يُحرق فيها الطور بالطيران وغيره تصور قاصر يخالف مقصد هذا الوحي من عدم الدخول في معركة أصلا، يشهد لهذا لفظة (**حَرِّزْ**) فالمقصود وضعهم في حرز من يأجوج ومأجوج بعيدا عن المصادمة والدخول في الحرب، سواء استعملوا الوسائل القديمة أو الحديثة.

أيضا يتبين من لفظ الحديث أن المكان الذي يتحرز فيه عيسىٰ قد تم اختياره من قبل الله عز وجل، ولم يوكل الأمر فيه لعيسىٰ ولا لأحد من أهل الرأي والحرب من جنده، فالله تعالىٰ قد علم أن يأجوج ومأجوج لن يصلوا إلىٰ الطور وأنه سيغيب عنهم ملاحقة

عيسىٰ وجنده فيه، وإلا لأمره الله أن يحفر الخنادق أو يسور الأسوار التي يتحصنون بداخلها حين يصل إليه يأجوج ومأجوج، ولكنهم لن يصلوا.

ويأجوج ومأجوج لن يقتحموا قارات الأرض كلها وإنما يتجهون من الشرق فيمرون علىٰ بحيرة طبرية فيشربونها، ثم يأتون الشام حتىٰ ينتهوا إلىٰ جبل بيت المقدس، ثم يهلكون هناك قبل أن يجوزوا الشام إلىٰ القارة الأوربية أو غيرها، كما في حديث النواس السابق (**ثُمَّ يَسِيرُونَ حَتَّىٰ يَنْتَهُوا إِلَىٰ جَبَلِ الْخَمَرِ، وَهُوَ جَبَلُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَيَقُولُونَ : لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ، هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ...**) وليس معناه استأصلنا من في الأرض وفرغنا منهم جميعا! والروم كما هو معلوم يكونون أكثر الناس حين تقوم الساعة وهم أهل أوربا فلن يصل إليهم يأجوج ومأجوج، كما في مسلم من حديث الْمُسْتَوْرِدُ الْقُرَشِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : "**تَقُومُ السَّاعَةُوَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ**". وهكذا أهل الحبشة وهم من أهل إفريقيا في زماننا ليسوا ممن يقضي عليهم يأجوج ومأجوج أو يصلون إلىٰ بلادهم، ومنهم ذو السويقتين الأفحج الذي يهدم الكعبة آخر الزمان ويستخرج كنزها، والطور كذلك لن يصل إليه يأجوج ومأجوج.

ومعنىٰ الحديث أنهم قتلوا من واجههم في الأرض ويريدون أن يقتلوا في السماء، وهو فسادهم في العلويات والسفليات، كما قال القاري في مرقاة المفاتيح: مع احتمال إصابة سهامهم لبعض الطيور في السماء، فيكون فيه إشارة لإحاطة فسادهم بالسفليات والعلويات. اهـ

فخروج يأجوج ومأجوج مثل خروج الدجال تماما ليس فيه اكتساح القارات السبع، فالدجال يخرج من خراسان من المشرق أو بين الشام والعراق، فيتجه إلىٰ بيت المقدس فيهلك هناك حيث يقتله عيسىٰ بحربته، ويقتل أصحابُ عيسىٰ أتباعَ الدجال من اليهود، ويأجوج ومأجوج كذلك يأتون من الشرق فيتجهون إلىٰ بيت المقدس فيهلكون هناك بدعوة نبي الله عيسىٰ عليه الصلاة والسلام، وقد صح أن الملل كلها تهلك في زمن عيسىٰ، ومنها هذه الملل اليهودية اتباع الدجال، وملل يأجوج ومأجوج والله أعلم.

وهناك شبهة اشتبهت علىٰ البعض نذكرها استطرادا وهي أن عدد المسلمين في العالم في عصرنا ربما يساوي عدد الصين، فكيف يكونون يأجوج ومأجوج؟ ويأجوج ومأجوج أكثر منا بما نسبته واحد من الألف!

والجواب أن يأجوج ومأجوج ليسوا أهل الصين وحدهم، بل يدخل فيهم من هو علىٰ شاكلتهم من مجاوريهم، وأعدادهم هائلة ربما يفوق عدد سكان العالم كله مسلمهم وكافرهم، وأمر آخر أن التعداد السكاني للمسلمين في العالم يشمل التسمية العامة لكل المنتسبين للإسلام سواء كانت التسمية صحيحة أو باطلة، فيدخل في تعداد المسلمين الشيعة الروافض والصوفية الغلاة وأمم غيرهم ممن انتشرت فيهم الشركيات والوثنيات ولا يمتون للإسلام الحنيف بصلة، ولا شك أن المسلمين الحنفاء هم أقل القليل من هذا التعداد السكاني العصري للمسلمين.

## الدليل الرابع عشر

ما رواه أبو داوود وغيره عن أبي هريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام في خبر عيسىٰ

وهو حديث صحيح وفيه:

**"فَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَيُهْلِكُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّىٰ فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ"**.

والمتأمل لنصوص الشرع يرىٰ أن الملل كلها لن تهلك بالجهاد وحده

فالمهدي يغزو جزيرة العرب وفارس والروم وقسطنطينية فقط ثم يرجع للشام.

ثم يخرج الدجال ويبقىٰ أربعين يوما يدعو فيها لنفسه، وأتباعُه أكثرهم من اليهود، ثم ينزل عيسىٰ فيقاتل الدجال واليهود ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية.

وكسر الصليب كناية عن انتصاره علىٰ النصرانية الصليبية.

وفيه إشارة لإذعان النصارىٰ ودخولهم في الإسلام، لأنه لا يقتلهم لكن يكسر صليبهم، ولأنهم قد انهزموا في الملحمة الكبرىٰ علىٰ يد المهدي وجيشه، وتقوم الساعة وهم أكثر الناس، كما في الحديث الذي رواه مسلم قَالَ الْمُسْتَوْرِدُ الْقُرَشِيُّ عِنْدَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : **" تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ "**. فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو : أَبْصِرْ مَا تَقُولُ. قَالَ : أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد قال الله تعالىٰ عنهم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النِّسَاء : ١٥٩]

ذكر بعض المفسرين أن معناها إيمانهم بعيسىٰ آخر الزمان، فلا يموتون مع يأجوج ومأجوج.

وتبقىٰ العلمانية والإلحاد العالمي!

فالمعسكر الشرقي كالصين وروسيا وغيرها من الدول شيوعية اشتراكية ملحدة، وبعضها وثنية، هؤلاء كلهم لم يأت نص واحد يشير أن عيسىٰ سيغزوها بالسلاح وينتصر عليها، والذي ورد هو قتاله للنصارىٰ عباد الصليب واتجاههم شمالا في أوربا وبعضهم غربا جهة أمريكا.

وكثير من دول الشرق والغرب دول علمانية ملحدة لا تؤمن بدين ولا تنقاد لشريعة، وينطبق عليهم في عصرنا أنه **"لَا يَدَانَ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ"** فمَن مِن المسلمين يطيق قتال هؤلاء؟

فلا شك أن هذه الدول سينالها الهلاك والعذاب كما أُهلكت الأممُ السابقة ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾﴾ [الإسْرَاء : ٥٨]

فما المانع أن تكون هذه الدول أو بعضها هي نفسها يأجوج ومأجوج؟

خصوصا أن مساكن يأجوج ومأجوج الأصلية في منغوليا جهة الصين وروسيا!

فكم من الدول القوية الجبارة في عصرنا وكل واحدة من هذه الدول العصرية بمفردها أعتىٰ وأقوىٰ من تلك القرىٰ التي أهلكها الله مجتمعة، وأخبر عنها في كتابه الكريم!

فلو اجتمعت عاد وثمود وفرعون وجنودهم لما ساووا بقوتهم قوة الصين ولا روسيا ولا أمريكا ولا الهند، ولا دولة من الدول الكافرة ممن هي أضعف من هذه الدول

بمراحل عُددا وعَددا! فكيف لا يكون هلاكهم من عند الله كما قال ربنا عز وجل ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [المُرْسَلَات : ١٦ - ١٨]

فما المانع لهم من العذاب وقد جمعوا أنواع الكفر التي تفرقت فيمن سبقهم من الأمم ممن قص الله علينا هلاكهم في كتابه؟ فهم الآخرون الذين أخبر الله عنهم.

فقد اجتمع في الدول العصرية جبروت عاد وعصيان ثمود وطاغوتية فرعون وسفاهة قوم لوط وظلم قوم شعيب، وغير ذلك من الشرور التي اخترعوها ولم تكن فيمن سبقهم، فعذاب الله عليهم ولحاقهم لمن سبقهم بالهلاك قاب قوسين أو أدنىٰ، فهم آخر هذه الأمة وليس بعدهم إلا القيامة الكبرىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يُونُس : ٢٤]

فهذه القوىٰ الشرقية التي تسكن من حيث يخرج يأجوج ومأجوج إما أن يفتحها عيسىٰ بجنوده وهذا ليس عليه دليل، فحين يخرج يأجوج ومأجوج يكون عيسىٰ في الشام قريبا من الطور، وإما أن تتصدىٰ هي بنفسها ليأجوج ومأجوج وهذا ليس عليه دليل أيضا، فالفاء في الحديث تفيد الترتيب مع التعقيب فهم يخرجون فيمرون علىٰ بحيرة طبرية، وإما أن يهلكهم الله قبل ذلك حتىٰ تخلو الأرض ليأجوج ومأجوج وهذا ليس عليه دليل، وإما أن يتحالفوا مع يأجوج ومأجوج وهذا كذلك ليس عليه دليل، والأقرب أنهم أنفسهم يأجوج ومأجوج يخرجون من بلادهم بعد هزيمة عيسىٰ للأمم

وهم ينظرون فيخرجون في حنق وغيض فيهلكهم الله حتىٰ تنتهي الملل كلها، وتبقىٰ ملة الإسلام واحدة وليس هناك ملة غير الإسلام.

وهنا ملاحظة مهمة نقول فيها: أين نساء يأجوج ومأجوج وذراريهم بعد خروجهم وموتهم؟ لا شك سيكونون غنيمة للمسلمين، ويفيض المال حتىٰ لا يقبله أحد، فبعد هلاك يأجوج ومأجوج تبقىٰ نساؤهم وذراريهم في بلدانهم فيدخلون في الإسلام، وهم أقرب الناس وصفا لحديث أنس في مسلم عن النبي عليه الصلاة والسلام في كثرة النساء **"إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيَفْشُوَ الزِّنَىٰ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَذْهَبَ الرِّجَالُ، وَتَبْقَىٰ النِّسَاءُ، حَتَّىٰ يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً قَيِّمٌ وَاحِدٌ"**.

ثم آخر الزمان بعد موت عيسىٰ وقبض أرواح المؤمنين يرجع من كفر من هؤلاء الذراري الذي أسلموا لدين آبائهم وتقوم عليهم الساعة، كما في حديث عائشة عند الإمام مسلم وفيه **"ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَوَفَّىٰ كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَيَبْقَىٰ مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ، فَيَرْجِعُونَ إِلَىٰ دِينِ آبَائِهِمْ "**.

فليس هناك شرع صحيح ولا عقل صريح يدل علىٰ هلاك الكافرين المعاصرين الذين فاقت قوتهم قوة من قصصهم الله علينا في كتابه لمجرد الصدفة والأحداث الطبيعية أو بالمخترعات الحديثة، ثم يبقىٰ الكافر في عزته والمسلم في ذله ويعود الناس للسيف والرمح ثم حينها ينتصر المسلمون بالوسائل القديمة!

ومما جعلنا نجزم بهذا ما رواه أحمد في مسنده من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **" تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَىٰ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ**

**تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَىٰ مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ "**. ثُمَّ سَكَتَ.

والشاهد هو سرد سلسلة الأحداث بعد موته عليه الصلاة والسلام من الخلافة الراشدة ثم الملك العاض ثم الحكم الجبري، ونحن الان في زمان الحكم الجبري، وليس بعد الحكم الجبري إلا عودة الخلافة الراشدة وهي متحققة علىٰ يدي المهدي عليه السلام.

فلو تماشينا مع من يقطع بأن الله سيذهب النعم العصرية ويعيد الناس للزمن الأول فإنه إذا هلكت هذه الأمم الكافرة كيف يبقىٰ مكان للظلم والجور الذي يخرج المهدي فيه ثم يقوم بتغييره إلىٰ قسط وعدل!

أبالله عليكم معاشر العقلاء هل عُرف من سنة الله الكونية أنه يهلك الكافرين دون أن يمكّن عقبهم للمؤمنين؟

وهل يُتصور أن الله سيهلك أمم الكفر المتحدة بزوال قوتها وتكنولوجياتها ثم تبقىٰ لها الهيمنة علىٰ الأرض لتملأها جورا وظلما؟ ويبقىٰ بعد زوالها الحكم الجبري برهة من الدهر قبل حصول الخلافة التي علىٰ منهاج النبوة؟

أو يذهب الله النعم العصرية كرامة لتقر عيون الحكام الجبريين لتمتلئ الدنيا في زمانهم جورا وظلما؟!

ففي هذا عبرة عظيمة لمن تأمّل وتفكّر وتخلص من التقليد.

## الدليل الخامس عشر

حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : **" أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي : نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ؛ فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ عَامَّةً** ". متفق عليه

فلو كان يأجوج ومأجوج وراءالسد فلقائل أن يقول: إنك يا رسول الله لم تبعث إلىٰ الناس عامة! ولكنك بعثت لما نسبته واحد من الألف منهم، أما أكثر الناس فهم يأجوج ومأجوج، وهم وراءالسد لن يخرجوا منه إلا زمن عيسىٰ لهلاكهم!

فهل هناك تناقض ينسب للشريعة المطهرة أظهر من هذا؟ وهل هناك قول أفحش من هذا القول اللازم من اعتقاد بقاء السد حتىٰ زمن عيسىٰ؟

وحصر يأجوج ومأجوج خلف السد من زمن ذي القرنين حتىٰ القرن السادس لا يلزم أن يكونوا قبل البعثة بدون أنبياء، بل قد بلغتهم الرسالة كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النَّحل : ٣٦] وهم أمة من الأمم يشملها هذا العموم، ويشملها أيضا عموم قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإِسْرَاء : ١٥] فجزما أنه قد بلغتهم الرسالة قبل البعثة المحمدية، أما بعد البعثة المحمدية فيقينا أنه لم يُبعث نبي قط في أمة من الأمم بعد نبينا محمد عليه الصلاة والسلام لعموم الآية ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأَحْزَاب : ٤٠] أما المدة التي لبثوها خلف الردم بعد زمن النبوة فعلمها عند

الله، وهم لن يخرجوا من الردم للغزو مباشرة، فهم لا يعرفون ما الذي وراء الردم، وقد كان ذو القرنين صنعه علىٰ أجدادهم قبل قرون من الزمن، فهم حين يخرجون يجدون عالما آخر وبلادا لا يعرفها هذا الجيل الذي اندك الردم في زمنه، فإذا عاشروا أهل تلك البلاد التي انفتحوا عليها عادوا لتلك الغريزة الإفسادية التي انطبع عليها أجدادهم، وفعلا هذا هو الذي حصل من التتر، فقد فاجئوا العالم بظهورهم المباغت، ولم تكن لهم حضارة يعرفها الناس قبلُ كالصين والترك والسند والهند وغيرها من الأمم التي تضرب في جذور التاريخ.

وأيضا فإن التتر لم يغزوا العالم مباشرة بل عاشوا قبلها فترة من الزمن مختلطين بمن جاورهم حتىٰ حصل ما حصل من الأسباب، كما هو مدون في كتب التاريخ والله أعلم.

فهذه بضعة عشر دليلا من القران والسنة وضعتها بأسلوب علمي وطرح مقنع بفضل الله تعالىٰ، وما أنا إلا طالب علم قليل الحصيلة، فكيف لو بحث هذه المسألة أهل العلم المتمكنون؟ لا شك أنه لن يبقىٰ بعد بحثهم في رءوس المعترضين أي وساوس للشيطان، بل كيف لو أن المجال ترك للإمام السعدي ولم يضيق عليه وهو جذيلها المحكك وعذيقها المرجب! فإنه لن يستطيع أحد الوقوف في وجهه لقوة الحق الذي معه، لا من الفضلاء كالتويجري، ولا من غيرهم ممن ذكرهم العلامة العثيمين ووصفهم بالحسد والهوىٰ.

❊❊❊

# الباب الثالث
## أسباب انتشار عقيدة بقاء الردم وعدم اندكاكه حتى ينزل عيسى.
### السبب الأول

اجتهاد بعض المفسرين في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأنبيَاء : ٩٧] بعد ذكر يأجوج ومأجوج في سورة الأنبيا وفسروه بأنه هو نفْسه الوعد المذكور في قصة ذي القرنين الذي يندك الردم بمجيئه ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ٩٨﴾ [الكَهْف : ٩٨]

وهذا الاجتهاد خطأ نتج عنه الخلط بين حدثين منفصلين ودمجهما في حدث واحد الأول: اندكاك الردم عن يأجوج ومأجوج وعودتهم لمخالطة الناس، والثاني: خروج يأجوج ومأجوج لقتال عيسىٰ ومن معه آخر الزمان.

وهذا غلط، فإن الله تعالىٰ أخبر في سورة الأنبياء بعد ذكر هلاك الأمم السابقة وفتح يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون أن هذا علامة علىٰ اقتراب الوعد الحق وهو يوم القيامة، فرجوع الأمم التي تتداعىٰ علىٰ المسلمين حين أن يكونوا كغثاء السيل، وفتح يأجوج ومأجوج وسرعتهم في الأرض من علامات وأشراط الساعة. ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٩٥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧﴾ [الأنبيَاء : ٩٥ - ٩٧]

حكىٰ الله تعالىٰ في سورة الكهف قول ذي القرنين عن الردم الذي جعله حاجزا بين يأجوج ومأجوج وبين جيرانهم ﴿قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ٩٨﴾ [الكَهْف : ٩٨] الوعد الذي في سورة الأنبياء من حيث قواعد اللغة معرفة،

﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ والألف واللام فيه للعهد المعلوم وهو يوم القيامة، أما الذي في الكهف فهو نكرة مضافة للرب ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي﴾ والنكرة هنا تفيد العموم فتطلق علىٰ أي وعد للرب سبحانه وتعالىٰ، وليس وعد يوم القيامة فقط، وتبين بالقرينة أنه وعد دك الردم، ومن فسر المجيء بأنه الاقتراب، ثم حمله علىٰ وعد القيامة المقارن لزمن عيسىٰ فهو قول بلا تأصيل، وتأويل بلا دليل، لأن سياق الآية سياق شرط وليس سياق خبر، ولا يتحقق المشروط إلا بوجود الشرط، فتبين بهذا أن الوعد المشروط لخروج يأجوج ومأجوج عند دك الردم غير الوعد الذي هو يوم القيامة، فالأول لا يتحقق دك الردم إلا به، فإذا وقع وخرج بعده يأجوج ومأجوج فخروجهم علامة من علامات اقتراب الثاني، فكيف يكونان شيئا واحدا؟!

ولو سلمنا لمن فسر المجيء بالقرب، وجعل الوعد هنا هو نفسه الذي في سورة الأنبياء فإن القرب عام، ولا يشترط كونه مقارنا لأشراط الساعة الكبرىٰ، بل تتفق دلالته مع دلالة آية الأنبياء، ويكون دك الردم من علامات الساعة الصغرىٰ، ومن جزم بمقارنة دك الردم للأشراط الكبرىٰ للساعة آخر هذه الأمة فهو قول بلا دليل كما تقدم، وعمدته هذا المعتقد الفاسد من الخلط بين مفهوم دك الردم ومفهوم الخروج علىٰ عيسىٰ، وليس قواعد التفسير التي سار عليها السلف.

فالأدلة والنصوص الشرعية التي تتحدث عن يوم القيامة وصفت ذلك الوعد بالقرب، ومنها ما جاء في أول سورة الأنبياء التي ذكر الله تعالىٰ فيها خبر يأجوج ومأجوج ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ۝١﴾ [الأنبياء: ١] ولا يشترط من اقتراب الوعد الحق أن يكون مقارنا لأحداث الدنيا الأخيرة، فانشقاق القمر وبعثة نبينا عليه

الصلاة والسلام علامات علىٰ اقتراب الوعد الحق، وقد مضىٰ عليها أربعة عشر قرنا، وفتح يأجوج ومأجوج كذلك.

❊❊❊

## السبب الثاني

انتشار بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة فيما يتعلق بيأجوج ومأجوج، سواء مما ورد في صفاتهم مما تتناقله العامة من الطول المفرط أو القصر المفرط ليأجوج ومأجوج، أو كبر آذانهم، أو غير ذلك، حتىٰ ظن كثير من الناس أن يأجوج ومأجوج غير مشاهدين علىٰ الأرض ما داموا بهذه الصفات ولن يظهروا للناس إلا في زمن عيسىٰ بهذه الكيفية.

أو ما ورد من صفاتهم مما تتناقله الخاصة من الأحاديث التي ظاهرها الصحة وهي معلة، تذكر فتح السد زمن عيس دون الأحاديث الثابتة فإنه لم يقع في شيء منها ذكر الفتح زمن عيسىٰ، من هذه الأحاديث الضعيفة ما رواه أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "إِنَّ يَأْجُوجَ، وَمَأْجُوجَ لَيَحْفِرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ... الحديث"

وهذا الحديث أعله الحافظ ابن كثير رحمه الله وسيأتي الكلام عليه في باب الردود إن شاء الله من هذا الفصل.

ومنها ما رواه أحمد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " يُفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، يَخْرُجُونَ عَلَىٰ النَّاسِ كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿من كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ فَيَغْشَوْنَ الْأَرْضَ، وَيَنْحَازُ الْمُسْلِمُونَ عَنْهُمْ إِلَىٰ مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ...الحديث"

وهو من طريق محمد بن إسحاق وقد ذكر فيه أمورا لا يحتمل تفرده بها وسيأتي إن شاء الله.

ومنها حديث النواس بن سمعان الذي رواه ابن ماجه وغيره عن النبي عليه الصلاة والسلام قال: " سَيُوقِدُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قِسِيِّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَنُشَّابِهِمْ وَأَتْرِسَتِهِمْ سَبْعَ سِنِينَ "

وهذا الحديث أصله من الإسرائيليات وسيأتي أيضا تفصيل ذلك إن شاء الله.

***

## السبب الثالث

تقرير كثير من أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين بأن الردم لن يندك إلا في زمن عيسىٰ.

وهذا لا دليل عليه، وإنما قلد فيه اللاحقُ السابقَ وتواردوا عليه دون تحرٍ وتنقيح، ظنا منهم ثبوت ما أشرنا له من الأحاديث، وهذا دأب المفسرين في قضايا كثيرة يقلد فيها المتأخرون بعض المتقدمين وينقلون عنهم جميع الأقوال مسلمين لها، وهي من جنس الغث والسمين الذي شحنت به كتب التفسير كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في مقدمة أصول وقواعد التفسير.

ولأن مسألة الفتح للردم ومسألة الخروج زمن عيسىٰ كلها بالنسبة للمتقدمين من أمور الغيب، فبسبب توهمهم صحة الأحاديث التي أشرنا لها، وكون مسألة الردم غيبية بالنسبة لهم قرر كثير منهم هذا المعتقد للناس وفي ظنهم أن خروجهم علىٰ عيسىٰ سيكون بعد دك الردم مباشرة، وهو مجرد ظن ليس معهم عليه أثارة من علم، ومن حاول من المعاصرين التقرير والتنقيح لتصحيح قولهم فإنما بنىٰ قوله علىٰ غير أصل صحيح، لكن علىٰ قول قيل قبله، فصار يناصره ويتأول له التأويلات البعيدة.

وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله عليه الصلاة والسلام، وليس قول أحد من العلماء حجة علىٰ أحد لا ممن سبقه ولا ممن عاصره ولا ممن يأتي بعده، وإنما الحجة للدليل الشرعي.

فبسبب ما قرره هؤلاء العلماء انتشر ذلك القول انتشارا عظيما وصار عند كثير من المسلمين كأنه من المسلمات.

ولما أخرج الإمام السعدي رسالته في هذا الباب، فإنهم قد ردوا عليه بقوة السلطان حتىٰ سكت، لا بقوة الحجة والبيان، ثم هاب الناس الكلام في هذا الباب، وهُضِمت رسالة العلامة السعدي، وانبرىٰ من يردّ عليها من أهل العلم، لكن لم تسلم ردودهم من التحامل والأوهام والتجاوزات، وسيأتي إن شاء الله بيان ذلك في الباب الرابع من هذا الفصل.

❊❊❊

## السبب الرابع

اعتقاد بعض المسلمين أن هذا الاسم سيبقىٰ ليأجوج ومأجوج إلىٰ قيام الساعة، وهذا لا دليل عليه، والنبي عليه الصلاة والسلام أخبر عن تسميتهم في زمانه، ولا يلزم من ذلك استمرار الاسم إلىٰ آخر الدهر، وهذا مما نبه عليه العلامة السعدي رحمه الله ونزيده توضيحا إن شاء الله

فنقول:

إن مما يوضح هذا ما جاء في مسلم من حديث النواس بن سمعان وفي آخر الحديث **"فَيُوحِي اللهُ إِلَىٰ عِيسَىٰ إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَىٰ الطُّورِ"**

والشاهد منه أن الله تعالىٰ يوحي إلىٰ عيسىٰ أنهم عباد لله ولم يسمهم بيأجوج ومأجوج، ووحي الله تعالىٰ لعيسىٰ بهذا فيه إشارة إلىٰ أن أمر يأجوج ومأجوج لن يكون بالصورة التي يتصورها الناس اليوم، ولو كان الأمر كذلك لقال الله تعالىٰ لعيسىٰ **(إني قد أخرجت يأجوج ومأجوج)** لأن أمرهم عندنا أشهر من نار علىٰ علم، وخروجهم علامة من علامات الساعة الكبرىٰ، فوصْف الله لهم بالعبودية المطلقة دون الاسم الخاص بهم المعروف عندنا فيه دلالة واضحة أنهم لن يبقوا بهذا الاسم، واسمهم يأجوج ومأجوج إنما اختص بهم وقت الخطاب والبلاغ، وليس ثمة دليل علىٰ عدم تغييره، بل ظاهر الأدلة أنهم لن يتسمّوا به.

ومما يوضح هذا إخبار النبي عليه الصلاة والسلام عن بعض الأمور أنها تتغير أسماؤها كقوله عليه الصلاة والسلام كما في السنن عن أبي مالك الأشعري (**لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا**)

وهذا حاصل في زماننا إذا أرادوا تزيين المنكر سموه بغير اسمه، كالخمر يسمونها مشروبات روحانية، واللواط يسمونه مثلية، والزنىٰ يسمونه الجنس، وغير ذلك.

وأيضا أسماء البلدان والقبائل قد تغيرت كثيرا، فالروم في زماننا لم تعد تسمىٰ بهذا الاسم لكنهم يتسمون بالأوربيين، وفارس تقطعت عدة دول وأشهرها الان إيران، وقسطنطينة لم تعد قسطنطينية لكنها اسطانبول، وروما الان اسمها إيطاليا، والحجاز ونجد وما جاورها من المدن يسمونها دول الخليج السعودية والكويت والإمارات ونحوها، وكثير من البلدان في بلاد العرب وغيرها تغيرت كثيرا.

وهكذا أسماء القبائل قد تغير كثير منها، وهي من قبائل العرب التي تعتني بالأنساب غاية العناية، فمن باب أولىٰ أسماء العجم الذين لا عناية لهم بالأنساب.

والمقصود أن الأسماء القديمة قد انقرضت وليس من الفقه الشرعي اشتراط عودتها آخر الزمان.

فالعجم تتغير حتىٰ لغاتهم وليس أسماء قبائلهم فحسب، فبعضهم كما سمعنا يكتب تاريخه باللغة العربية لعلمهم أنها لا تتغير، أما لغاتهم فأجيالهم بحاجة لمترجم يترجم لهم ما كان يتكلم به أجدادهم.

والخلاصة أن الحكمة الشرعية ليست في بقاء هذا الاسم (يأجوج ومأجوج) أو تغيره، لكن المقصود في الشرع هو خروج خليقة من الناس آخر الزمان من جهة المشرق

يتصفون بالقوة التي لا طاقة لأحد بمواجهتها، والبطش الشديد الذي يتسلطون به علىٰ الناس زمن عيسىٰ عليه الصلاة والسلام، ويتصفون بالكثرة وأنهم يغشون الأرض ويشربون بحيرة طبرية، ثم يهلكون بدعوة نبي الله عيسىٰ في ليلة واحدة.

فإذا حصل هذا فقد تحقق ما أخبر الله به من أمارة الساعة الكبرىٰ، ولا يشترط أنه لابد حين يخرجون أنهم لن يتسموا إلا بيأجوج ومأجوج.

بل قد ذكر كثير من أهل العلم أن اسمهم هذا مشتق من أجيج النار وهو لهبها واضطرامها.

وفي واقعنا الان كما أشار لذلك السعدي رحمه الله قبائل في بلاد منغوليا لا زالت تسمىٰ إلىٰ الان بيأجوج ومأجوج، لكن لا تنطبق عليهم وحدهم صفات من سيخرجون زمن عيسىٰ لا من قريب ولا من بعيد، مع أن بلادهم هي من بلاد يأجوج ومأجوج كما في كتب التاريخ!

❊❊❊

## السبب الخامس

اعتقاد كثير من الناس فيما أنعم الله به علىٰ أهل هذا العصر من النعم العظيمة أنها ستزول، ويعود الناس للوسائل القديمة في معاشهم ومنها وسائل الحروب، لأنهم يعتقدون أن يأجوج ومأجوج يستعملون السيوف والرماح والحراب في حروبهم، وعندها فلا بد من زوال هذه النعم العصرية حتىٰ ينتهي السلاح الحديث الذي لن يستطيع يأجوج ومأجوج مقاومته بسلاحهم البدائي القديم، فإذا أذهب الله هذه النعم تسنىٰ ليأجوج ومأجوج غزو الناس بإمكانياتهم القديمة.

ورسالتنا هذه كلها الغاية منها الرد علىٰ هذه الشبهة وهي اشتراط زوال ما أكرم الله به عباده في هذا العصر من النعم قبل أحداث آخر الزمان.

فرد الأحاديث الضعيفة، التي بان ضعفها أو كان ظاهرها الصحة وهي بخلاف ذلك، وصرف بعض ظواهر النصوص الصحيحة في هذا الباب بالقرائن والبينات الشرعية الواضحة، أولىٰ وأهون من التعسفِ بالحكم بزوال نعم الله العصرية، وصرفِ ظواهر كثير من النصوص الشرعية بلا مسوغ، ومخالفةِ سنن الله الكونية من ربط الأسباب بمسبباتها بدون أدلة صريحة، وإثباتِ خوارق العادات والمعجزات بلا أدلة، إلا لمجرد الفهم من بعض المصنفين والشراح للأحاديث النبوية.

❊❊❊

## السبب السادس

توهم بعض الناس أن يأجوج ومأجوج عالم غيبي كالجن أو الملائكة، وأنه يجب الإيمان بهم دون معرفة مكانهم أو السؤال عنهم، وأنه لا يمكن الاطلاع عليهم ولا العثور لهم علىٰ خبر حتىٰ يأتي زمن عيسىٰ عليه الصلاة والسلام.

وهذا الوهم باطل لا يدل عليه نقل صريح ولا عقل صحيح.

فليس في القران ولا السنة ما يدل علىٰ أنهم عالم غيبي، بل العكس من ذلك، فنصوص القران والسنة تدل علىٰ أنهم من البشر لهم ما لهم وعليهم ما عليهم.

فالله تعالىٰ ذكر خبرهم في القران ومخالطة الناس لهم، وأن بلادهم معروفة جهة المشرق بين السدين وليست بخافية لا يمكن الوصول إليها، بل وصل إليها ذو القرنين بجيوشه بعد بذله من الأسباب التي آتاه الله إياها، وجاورهم فيها الترك، وصار بين مساكنهم ومساكن الترك ذلك الردم، ومساكن الترك لا زالت معروفة في كل عصر من العصور.

وهذا الوهم من أكبر مفاسد هذا المعتقد.

❊❊❊

## السبب السابع

أن بعض المسلمين إذا نظر إلىٰ النصوص الشرعية التي تذكر آخر الزمان فإنه يتصور الأحداث التي فيها، تصور من يعيش زمن التشريع، فتكون عنده مستقبلة بالنسبة إليه لا بالنسبة لزمن التشريع، وهذا أيضا من الخطأ، فإن علامات الساعة الصغرىٰ قد انقضىٰ جلها إن لم نقل كلها، وما بقي إلا العلامات الكبرىٰ تصبحنا أو تمسينا، فنحن نعيش في عصرنا هذا آخر الأمة المحمدية التي هي آخر الأمم.

روىٰ الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **" قَبْلَ السَّاعَةِ سِنُونَ خَدَّاعَةٌ، يُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُّصدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ "**

ونحن نشاهد هذا ونراه في زماننا رأي عين.

***

## السبب الثامن

اختلاط الأمر علىٰ كثير من الناس فيما يتعلق بأحداث آخر الزمان فمنها ما يجري علىٰ عادة أهل العصر بفعل الأسباب ومسبباتها، ومنها ما يجري علىٰ الأمور الخارقة للعادة التي لا علاقة للبشر بها، فيخلط ويجعل الجميع من قبيل الأمور الخارقة للعادات ويسلب أهل العصر أمكانياتهم وقدراتهم ويتعسف لذلك غاية التعسف، وحجته أفهام فهمها إما بعض الأولين الذين لا يعرفون الأسباب التي جاءت بعدهم، وإلا لحملوا النصوص عليها ولما تكلفوا القول بخرق العادة، وإما بعض المعاصرين ممن يتعصب لمذهب الظاهرية في هذا الباب.

فهذه الأسباب العادية في عصرنا تعتبر في تصور الأولين من قبيل خوارق العادات ولا لوم عليهم ولا عتب وقد أحسن من انتهىٰ إلىٰ ما سمع.

قريش أنكرت علىٰ رسول الله عليه الصلاة والسلام حادثة الإسراء لبيت المقدس والرجوع في ليلة واحدة، بل اتخذوا هذا فرصة للطعن في الدين لأنه أمر خارق للعادة في تصورهم، وما علموا أن هذا سيكون في آخر الزمان من الأمور المسلمة بالأسباب العادية.

فماذا سيقول أبو جهل وكفار قريش والناس لو أخبرهم رسول الله عليه الصلاة والسلام بشيء يسير مما سيكون عليه أهل عصرنا؟ لا شك سيكون حالهم أسوأ مما قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾ [الإسراء: ٦٠].

## السبب التاسع

الخلط في هذه القضية بين مفهوم متابعة السلف والحذر من البدع والمحدثات وبين مفهوم تنزيل أحداث الغيب علىٰ الواقع حال حصولها، وأنه لا تناقض بين هذا وبين نصوص السلف، وأن أهل العلم المتقدمين لم يكونوا يعلمون منها إلا ما نقلوه عن السلف وفسروه حسب مداركهم.

فما نقلوه عن السلف من طريق الوحي فهو حجة قطعي الدلالة، وما قالوه باجتهاداتهم واختلفت فيه أقوالهم وآراؤهم فهو محل نظر.

فيأتي بعض الناس ويريد أن يجمد علىٰ اجتهادات الأولين وأفهامهم واختلافاتهم وكأنها تنزيل من حكيم حميد، فتراه يعمد مثلا لأقوال لقتادة والسدي ومقاتل والكلبي ونحوهم فيصدع بها علىٰ اختلافها وكأنه ينقل قول الخلفاء الأربعة، وإذا خالفته في شيء منها وأبرزت له الأدلة من القران والسنة ومقاصد الشريعة ولغة العرب علىٰ ذلك رماك بمخالفة أئمة السلف، والحدث في الدين ومشابهة الجهمية والمعتزلة فيا لله العجب!

❊❊❊

## السبب العاشر

أن هذه المسألة لم تعط حقها من البحث والتحقيق العلمي من قِبل أهل العلم المعاصرين، إلا ما قام به العلامة السعدي رحمه الله علىٰ أنه تعرض لما تعرض له من تهديد ووعيد السلطان، ثم حملات أهل الأهواء الحساد، حتىٰ راج ذلك علىٰ بعض الصالحين، ثم ترك الناس هذه المسألة وكأنها من مسلمات الدين والعقيدة، وانبرىٰ من انبرىٰ للرد علىٰ السعدي بردود لا خطم لها ولا أزمة.

ولما نشرتُ بعض المقالات في هذه القضية حاولتُ جاهدا التواصل ببعض شيوخ العلم لمناقشة هذه المسألة والتحقيق فيها فما وجدتُ إلا الإعراض عنها تماما، والركون فيها لرسالة التويجري التي رد فيها علىٰ العلامة السعدي رحمه الله.

فشمرت عن ساعد الجد لضبط هذه المسألة وبذلتُ فيها جهد المقل فكتبتُ هذه الرسالة، وتحريت فيها طريقة السلف غاية التحري، والتوفيق والبركة من الله، فما كان لله دام واتصل وما كان لغير الله انقطع وانفصل، علىٰ أني أتوقع شدة المخالفة من بعض الشيوخ الذين رضوا لأنفسهم التقليد في هذه القضية، بل قد صرح بعضهم بالتبديع، وبعضهم هددني به، وهم لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا فضلا عن غيرهم، ومن تكلم في هذه المسألة وخاض فيها بغير علم فوالله الذي لا إله غيره لن يضر إلا نفسه، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وإننا نكتب هذا براءة للذمة وبلاغا للناس لأنه لا يجوز كتم الحق لرأي أحد من الناس، فلا نبتغي بكتابتنا استرحاما واستعطافا لبعض الناس، نريد منهم الإنصاف، فهم وإن كانوا أحبابنا لكن الحق أحب إلينا من كل أحد، ونحن نعتقد أنه الحق الذي

ليس به خفاء فليدعونا من بنيات الطريق، فسيول الحق الجارفة إذا جرت لا يوقفها أشواك التقليد المتناثرة، ولا نتوءات ركامه المتفرقة، بل تمر عليه وتجرفه حتىٰ ترميه في البحر، ولا يبقىٰ إلا زبده الذي يذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

لكن بعض الناس كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية كالذباب لا يقع إلا علىٰ الجروح، تجده ينظر في الحجج والبراهين القاطعة الساطعة فلا يبالي بها، ثم يتتبع ويبحث حتىٰ يعثر علىٰ بعض العثرات، التي لا يسلم منها أي مؤلف وباحث، فيعمد لتلك العثرات ويجعل لها العناوين البارزة، وينشرها في الناس متشبعا بالرد بها علىٰ البحث كله، راميا صاحبها بما قدر عليه من صنوف الذم والقدح، وهذا من الخذلان ومشابهة أهل البدع والخسران.

أما طريقة أهل السنة من السلف والخلف فهي النصح والسداد والمقاربة دون بغي وفحش في القول والله المستعان.

قد يقول قائل: كيف ظهر لك أنت هذا الذي تقرره وتدافع عنه ولم يتكلم به أحد قبلُ خلال تاريخ الإسلام كله؟

فالجواب: أنني ما جئت ببدعا من القول ولكني سلكت مسلك الإمام السعدي رحمه الله ومن قال بقوله من الأئمة.

والمتقدمون قبلنا من أهل القرن السادس الهجري وما بعده لا يستطيعون الجزم بأن التتر هم يأجوج ومأجوج، بل أشار القرطبي إشارة حين تكلم عن التتر في تفسير سورة الكهف في قصة ذي القرنين بقوله: (وقد خرج منهم في هذا الوقت أمم لا يحصيهم إلا الله تعالىٰ، ولا يردهم عن المسلمين إلا الله تعالىٰ، حتىٰ كأنهم يأجوج ومأجوج أو

مقدمتهم) لأن الأولين لم يكونوا في آخر الزمان، ولم يتحقق كثير من أشراط الساعة حينها، فالخلافة العباسية التي قضىٰ عليها التتر كانت قريبة العهد بزمن النبوة والخلافة الراشدة، ولم تكن هناك أمم ينتظر الناس تداعيها علىٰ أهل الإسلام، أما في زماننا فيكاد الإنسان أن يجزم أننا في آخر الأمة المحمدية لكثرة العلامات والأشراط التي تدل علىٰ ذلك، من أبرزها وجود أمم كثيرة كافرة تداعت علىٰ المسلمين كما تتداعىٰ الأكلة إلىٰ قصعتها، ومنها وجود الحكم الجبري الذي تعقبه الخلافة الراشدة الثانية، وغير ذلك.

وأيضا لأنه لم تتيسر للأولين من الإمكانيات ما تيسر لأهل زماننا من وسائل المعرفة والتواصل والسفر، فحين خرج التتر فإنه يحتمل عند الأولين أن يكونوا غيرهم، لعدم معرفتهم بالبلاد الشرقية، أما في زماننا فقد عرف الناس البلاد كلها مما يمكن أن يتواجد فيه أمة يأجوج ومأجوج، ولم يعثروا علىٰ شيء.

وعليه فيكون الناس بين أمرين: أحدهما أن الشرع أخبر عن شيء يستحيل وجوده في الواقع، والثاني أن هذا السد قد اندك قديما، وقد خرج مَن خلفه حتىٰ تقوم عليهم حجة الله من بعث الرسل، ولا شك أن الثاني هو الحق الموافق للنصوص الشرعية، علىٰ أن أهل العلم المعاصرين للتتر والذين جاءوا بعد التتر وإن لم يصرحوا أن التتر هم يأجوج ومأجوج فإنهم لم يشبهوا التتر إلا بهم كما فعل القرطبي كما تقدم، بل ما تكاد تجد مفسرا من المفسرين المتأخرين إلا ويسوق قصة التتر عند تفسير آيات يأجوج ومأجوج!

# الباب الرابع
# الردود على المخالفين للإمام السعدي
## الرد على أبي بكر الحمادي

هذا الباب معقود للرد علىٰ من أنكر اندكاك الردم وزعم بقاءه حتىٰ زمن عيسىٰ وتحامل علىٰ الإمام السعدي تحاملا شديدا.

وحامل راية هذا القول من المعاصرين هو العلامة التويجري رحمه الله، لكنه سلك مسلكا خاطئا في نقد العلامة السعدي رحمه الله، وقلده بعض الشيوخ المعاصرين، فأخرج أخونا أبو بكر الحمادي بعض الرسائل في الرد عليّ بلا خلفية ولا روية، وظهر في رسائله التعصب والتقليد بعيدا عن طريقة أهل العلم في طرح المسائل العلمية ونقاشها.

وقد رددتُ عليه برسالة خاصة لم أنشرها، ورأيت أن أنقلها هنا مع شي من التصحيح، والحذف لكثير من العبارات الغليظة، فالكلام مع عامة الناس ليس كالكلام مع طلاب العلم، خصوصا إذا حصل شيء من التخشين الزائد في العبارات في الكلام الخاص، فبيان المسألة شيء، والرد علىٰ فلان من الناس شيء آخر، وقمت بتعديلها لتكون عمدة في هذا الباب، ناصحة لكل خائض فيه بغير علم، وقد ضمنتها الرد علىٰ التويجري كما ضمن التويجري الرد علىٰ السعدي في رسالة له للرد علىٰ بعض المخالفين، ولو أن التويجري أفرد الرد برسالة مستقلة، وحاول فيها التماس العذر للعلامة السعدي لصنعنا معه ذلك، ولكنه بالغ في الرد والمذمة لرسالة العلامة السعدي فنخلنا كلامه نخلا، وبينا ما فيه من الغلو والشطط والتجاوز والغلط في حق علامة عصره الإمام المجدد عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، والجزاء من

جنس العمل، ولولا ما أدركنا عليه علماءنا من الثناء علىٰ التويجري ومحبته لكان لنا أسلوب آخر في الرد عليه، والأمر لله من قبل ومن بعد، ونسأل الله أن يعفو عنا وعنه.

فأقول مستعينا بالله: لقد اطلعت علىٰ رسالة لكاتبها أبي بكر الحمادي جعل عنوانها **(قدح الزند في رد قول من قال: إن يأجوج ومأجوج (هم: كفار روسيا أمريكا وأروبا والصين والهند)**.

ذكر فيها بعض الفصول والمسائل، وأخذ فيها ورد، فرجح في رسالته القول المرجوح، وأكثر التجريح في القول الصحيح، ولولا أن المسألة دين ما تجشمنا الرد عليه وتقبيح قوله الذي دافع عنه بقوة، فإنه رجل صالح وعنده خير وعلم فيما بلغنا، لكن صلاح الرجل ليس شافعا له في السكوت عما قرره من الباطل.

ونحن في هذا الباب من رسالتنا هذه نبين بعض الذي جانب فيه الصواب، سواء مما ذكره من كلامه القليل، أو ما نقله عن غيره نسخا ولصقا وهو كثير.

وكنتُ قد عزمتُ فيما مضىٰ الرد علىٰ التويجري في كلامه الذي رد به علىٰ العلامة السعدي وتحامل به عليه تحاملا شديدا، فلما رأيتُ الحمادي نقل كلام التويجري برمته، عزمت علىٰ الرد عليه ضمن الرد علىٰ الحمادي في رسالة واحدة أسميتها **(حشد الجند لنصرة الإمام السعدي والرد علىٰ التويجري ورسالة الحمادي قدح الزند)**

فبادئ ذي بدء ننبه أن رسالة الحمادي ولو لم يصرح بأنها رد علىٰ فلان من الناس، حيث جعل بحثه عاما فإنه لا يخفىٰ أنه عناني بهذا الرد بدرجة أولىٰ لأني بفضل الله من نشر مذهب العلامة السعدي في منشورات سابقة بين أهل السنة في هذا الوقت بعد أن كان مهضوما فترة من الزمن، لكنه لم يسمني استحقارا لي فيما يبدو والله أعلم حتىٰ لا

أستفيد شهرة علىٰ حسابه، فمن أكون أنا في نظره حتىٰ يذكر اسمي في رسائله التي رد بها عليّ! ومن تكلم في غير فنه أتىٰ بالعجائب، فلو أنه راسلني علىٰ الخاص قبل أن ينشر تلك الرسائل (قدح الزند... وغيرها) حتىٰ يثبت لي كمال الأخوة بيننا، أو أنه كتب كتابة فيما بعد يعلق فيها رسائله ويوقفها كما وقفت منشوراتي وعلقتها درءا للفتنة لما تعرضنا له بالرد بخصوصه، ولاكتفيت بالرد علىٰ التويجري، ولكنه لم يفعل شيئا من ذلك غير أنه أرسل إلي رسالة خاصة يطالبني فيها بالتوبة! وعليه فإن ردي عليه سيكون بصريح العبارة دون ما استعمله هو من الإشارة، وهو أخونا من أهل السنة والجماعة لكنه جنىٰ علىٰ نفسه جناية ليس له خروج منها إلا بتوبة صريحة واضحة، علىٰ أني لن أغير حرفا كتبته في رسالتي هذه (الفرقان) في الرد عليه حتىٰ لو تاب وبيّن، لأن رسائله قد انتشرت وراجت ولا يستطيع هو استردادها، فلا يجوز لي حينها التغيير حفاظا علىٰ الحق ودرءا للباطل، لكن سنبين بكتابة مستقلة أنه تاب ونحن نشكره علىٰ تراجعه.

وأقول هذا لأني علىٰ يقين أنه لن يستطيع الوقوف أمام كتابي الفرقان لا هو ولا غيره، ولو يجتمع معه للرد علي جميع من في الأرض وأقسم علىٰ هذا بالله الذي لا إله غيره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

فقد رتب الحمادي رسالته هذه في عدة فصول، فذكر أولا فصلا في الحجج التي يراها تثبت بقاءهم وراء السد حتىٰ يخرج عيسىٰ، ونحن إن شاء الله نناقش فصوله التي ذكرها والحجج التي أوردها واحدة واحدة، وهذا أوان الشروع في المقصود.

## فصله الأول الحجج والأدلة التي أوردها
## حجته الأولى

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧﴾ [الأنبياء : ٩٦ - ٩٧]

ساق الحمادي بعد هذه الآية كلام ابن الجوزي في بيان معانيها وشيء من مفرداتها، ثم ذهب يذكر أوجه الاحتجاج بها عنده، وقد تقدم الكلام علىٰ هذه الآية في الباب الثاني من هذا الفصل في ذكر الأدلة، ونزيد هنا توضيحا فنناقش كلام الحمادي قبل دليله، فقد ذكر في الوجه الأول كلاما لا نخالفه فيه فقال ضمن كلامه: ( **أن الآية تدل علىٰ أن خروجهم من السد يكون عند اقتراب الوعد الحق وهو قيام الساعة، وهذا يدل علىٰ قرب ذلك من قيام الساعة**).

ثم ذكر إيرادا أن القرب عام وأن الساعة قريبة من مبعث النبي صلىٰ الله عليه وسلم.

فأجاب بقوله: (**إن المراد بذلك أشد القرب، وذلك أنه لم يقل أحد من السلف بأن يأجوج ومأجوج خرجوا في زمن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم**)

وتقرير الحمادي هذا ضعيف وهزيل؛ فزعمه أن المراد أشد القرب الذي يتصوره ليس عليه دليل، وأما ما علل به شدة القرب فلا ندري أزلة قلم أو غفلة وجهل بالمسألة!

فإنه لم يقل أحد من السلف ولا من الخلف من أهل العلم المعتبرين وليس السلف وحدهم أن يأجوج ومأجوج خرجوا في زمن النبي عليه الصلاة والسلام!

فإما أن يغير ما زل به قلمه، وإما أن يصحح ما أخطأ به فهمه.

أما شدة القرب عموما فنعم هو كذلك، لكن تبقىٰ المطالبة بالدليل علىٰ أن المقصود بالآية شدة القرب الذي يتصوره الحمادي من موافقة أشراط الساعة الكبرىٰ قائمة، فهات ياحمادي دليلا؟

ولا يسعفك أن تقول بأن ردك عام .

ونزيدك إيضاحا فنقول إن تقريرنا لاندكاك السد ليس في زمن السلف ولا القرون المفضلة ولكنه بعد زمانهم بستة قرون أواخر الخلافة العباسية حين هلك العرب لكثرة الخبث.

وأما الوجه الثاني فذكر الحمادي الآيات قبل آية الفتح وأنها ذكرت عيسىٰ وأمه وأن هذا يُشعر بأن خروجهم يكون بعد نزول عيسىٰ عليه الصلاة والسلام.

فنقول له ياحمادي إن الحجة ليست بالشعور ولكنها بالأدلة الواضحة فشعورك هذا احتفظ به لنفسك، أما المسألة فهي بحاجة لأدلة واضحة لا مرية فيها وليس مجرد الشعور.

فذكر عيسىٰ وأمه لا يدل علىٰ ما ذكرتَ لا من قريب ولا من بعيد لأن عيسىٰ وأمه عاشوا قبل بعثة النبي عليه الصلاة والسلام بقرون فما ندري من أين جاءك هذا الشعور!

زد علىٰ ذلك أن الله ذكر بين عيسىٰ وأمه وبين ذكر الفتح اختلافَ الناس وهلاك الأمم وتحريم رجوعها.

فالخلاصة أنه ليس في الآية تصريح باندكاك السد زمن عيسىٰ، فليس في القران ولا في السنة ولا من أقوال الصحابة ما يصرح بهذا، وليس هناك إلا قول لقتادة لا ندري من

أين جاء به! وقتادة لا تقبل روايته للحديث في أمور الفقه عن شيوخه حتىٰ لو رفعه للنبي عليه الصلاة والسلام إلا إذا صرح بالسماع والتحديث، فكيف نقبل قوله المجرد في خبر من علم الغيب؟

فالحذر الحذر من القول علىٰ الله بغير علم خصوصا في أمور الغيب.

وأما نقاشنا للدليل فنحن نذكر الآية مع التي قبلها للترابط بينهما وقد تقدم، وهذا الترابط بإقرار الحمادي لكنه لم يوفق لمعرفته.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنبياء: ٩٥ - ٩٧]

وقبل الشروع في الكلام علىٰ الآيات نحب أن ننبه أنه إذا كان معنىٰ الآية ظاهرا للمفسرين قل الخلاف في تفسيرها حتىٰ ربما يحصل فيه الإجماع، وإذا كان فيه شيء من الخفاء ربما حصل الخلاف اليسير من بعضهم مع سهولة الوصول للراجح بالقرائن المحتفّة، وإذا اشتد خفاء المعنىٰ فإنه يكثر فيه الخلاف حتىٰ ربما يصعب الترجيح في هذا الاختلاف لكثرة الأقوال وتقارب الحجج التي يُستدل بها لكل قول، وتجد هذه الأقوال غالبا مبنية علىٰ الاستنباطات وما يبذله العالم المفسر من جهده الذي يفتح الله تعالىٰ عليه به.

ففي مثل هذه الحال لا ينبغي التعنت علىٰ قول من الأقوال، والتعصب له، ونصب العداوة لمخالفه والتنقيص في حقه، إما لشهرة هذا القول أو لكثرة القائلين به أو لغير ذلك بدون وجه حق.

ولكن يتحرىٰ الباحث الإنصافَ والعدلَ مع تقوىٰ الله سبحانه وتعالىٰ لأن المسألة تحديث عن رب العالمين، والترجيح بدون معرفة أوجه الترجيح المعتبرة يعتبر من الكذب علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ أجارنا الله من ذلك.

اعلم أخي المسلم أنه لا يوجد شيء من القران ليس بوسع العباد فهمه ومعرفته، لكن الناس يختلفون في أفهامهم ومداركهم، والله يتفضل علىٰ من يشاء من خلقه بما شاء سبحانه ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبيَاء : ٧٩].

فهذه الآية ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبيَاء : ٩٥] قبل الآيات التي ذكرها مباشرة اختلف فيها المفسرون اختلافا شديدا حتىٰ نقل القرطبي عن النحاس أنها مشكلة.

بل قال الزجاج في معاني القران: وظاهر (حرام عليهم أنهم لا يرجعون)، يحتاج إلىٰ أن يبين، ولا أعلم أحدا من أهل اللغة، ولا من أهل التفسير بينه. اهـ

ونلخص كلام أهل العلم فيها واختلافهم إن شاء الله تعالىٰ.

فنقول ذكر ابن الجوزي أربعة أقوال وحقيقتها راجعة إلىٰ ثلاثة أقوال لأهل العلم

فمنهم من قال: حرام وجب، يعني قد قدر أن أهل كل قرية أهلكوا أنهم لا يرجعون إلىٰ الدنيا قبل يوم القيامة.

نُقل عن ابن عباس ورجحه ابن كثير، وضعفه القرطبي وقال إن هذا ما لا فائدة فيه.

ومنهم من قال: ﴿لَا يَرْجِعُونَ ﴾ لا يتوبون، قيل أيضا عن ابن عباس، وقال القرطبي: وإن أراد التوبة فالتوبة لا تحرم.اهـ

ومنهم كما قال الزجاج وغيره: في الكلام إضمار أي وحرام علىٰ قرية حكمنا باستئصالها، أو بالختم علىٰ قلوبها أن يتقبل منهم عمل لأنهم لا يرجعون أي لا يتوبون. اهـ

ومنهم من جعل حرام بمعنىٰ المنع علىٰ ظاهر الآية.

ومعلوم أن لأهل العلم طريقة يمشون عليها في تفسير كلام الله عز وجل، وطريقتهم أن يفسروا القران بالقران أو بالسنة، فإذا لم يوجد رجعوا لأقوال الصحابة لأنهم أعرف الناس بالوحي، فإذا لم يجدوا رجعوا للغة العرب حسبما يقتضيه ظاهر القران لأنه نزل بلسان عربي مبين ولا يعدلون عن الظاهر إلا لقرينة بينة واضحة.

والناظر المتأمل للقران يجد أن الله تعالىٰ أهلك القرىٰ الظالمة المتقدمة وقص علينا أخبارها.

وأخبر في القران أن القيامة لن تقوم حتىٰ تكون هناك قرىٰ ظالمة ستلحق من سبقها بالهلاك، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأنبياء : ٩٥]

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [المُرْسَلَات : ١٦ - ١٨] وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾﴾ [الإسْرَاء : ٥٨]

وأخبر في السنة عن تسلط هذه القرىٰ علىٰ المسلمين، وأنها تتكالب عليهم كما تتداعىٰ الأكلة علىٰ قصعتها.

لكن قبل ذلك أخبر أنه سيمكّن لنبيه عليه الصلاة والسلام وصحابته الكرام رضوان الله عليهم.

فحصل من التمكين للعرب ما هو مبسوط في كتب الإسلام في السيرة والتاريخ والمغازي وغير ذلك.

فأخبر عليه الصلاة والسلام عن فتح جزيرة العرب والشام وغيرها وهو محاصر في الخندق، وأخبر عن كنوز كسرىٰ وقيصر فكان كذلك وأخبر عن الخلافة الراشدة فكانت كذلك، وأشار الله تعالىٰ في القران لذلك فقال في سورة الإنبياء: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنبياء : ٤٤]

فتنقص الأرض بتوسع دولة الإسلام.

والسؤال الذي يهمنا هو: متىٰ تكون المرحلة التي تنقلب فيها الأحوال ويضعف فيها المسلمون وتعود فيها قرىٰ الكفر؟ وهل هناك ما يشير لذلك من القران والسنة؟

وللإجابة علىٰ هذا لابد من الرجوع للتاريخ لأننا الان في المرحلة الأخيرة التي عادت فيها القرىٰ الكافرة وضعفت فيها دولة الإسلام وانتهت مرحلة عز المسلمين العرب من زمن قديم، والذي وقع في التاريخ هو ما تدل عليه أدلة القران والسنة لأن الله تعالىٰ علام الغيوب ولا يخبر عن أشياء إلا وقعت، فالذي حصل في التاريخ هو الذي أخبر الله تعالىٰ عنه ورسوله عليه الصلاة والسلام.

وعلىٰ ما مر في التاريخ الإسلامي فإن الإسلام انتشر في الأرض انتشارا واسعا وكانت الغلبة للعرب المسلمين حينا من الدهر، ثم انقلبت الأحوال وعادت أمم الكفر.

فبدأ عز الإسلام بالفتوحات التي قادها النبي عليه الصلاة والسلام بنفسه الكريمة، ثم زادت عزة الإسلام علىٰ يد العرب أكثر بما حصل زمن الخلافة الراشدة، ثم استمرت

عزة الإسلام كذلك زمن الدولة الأموية وهكذا في الدولة العباسية حتىٰ القرن الخامس أو السادس ودولة الإسلام قوية بالعرب المسلمين، ثم بدأ الضعف وكثُرت الفتن حتىٰ تسلط علىٰ المسلمين أعداؤهم، وبدأت دول الكفر بالعودة، فجاء التتار المغول من جهة الشرق فعاثوا في الأرض فسادا وأهلكوا العرب وسلبوهم ما بقي من ملكهم وقتلوا آخر خليفة عباسي، حتىٰ أن العلماء لِما رأوا منهم من الفساد العريض الذي لا نظير له لم يشبهوهم إلا بيأجوج ومأجوج كما قال القرطبي رحمه الله في تفسير سورة الكهف عند الكلام علىٰ يأجوج ومأجوج فذكر الترك وقال: وقد خرج منهم في هذا الوقت أمم لا يحصيهم إلا الله تعالىٰ، ولا يردهم عن المسلمين إلا الله تعالىٰ، حتىٰ كأنهم يأجوج ومأجوج أو مقدمتهم. اهـ

وهكذا من الشرق الأمم الصليبية عادت لها قوتها وعزتها وصارت تطمع في بلاد الإسلام.

فزال ملك العرب وتحول الملك للأتراك المسلمين وغيرهم في زمن الدولة العثمانية، وهكذا زال ملك الأمويين للأندلس ثم لم تقم للعرب بعدهم قائمة إلىٰ زماننا، ودول الكفر تزداد عتوا، والمسلمون يزدادون ضعفا، علىٰ أنه وجدت بعض المراحل انتصر فيها المسلمون في بعض البلاد لكن من حيث العموم فالملك إما لغير العرب، وإما للعرب لكنه بصورة قليلة جدا ليس ملكا عاما علىٰ المسلمين جميعا.

فأحداث التاريخ هذه تذكر المرحلة التي أخبر الله تعالىٰ فيها والنبي عليه الصلاة والسلام عن ضعف المسلمين وعودة القرىٰ الكافرة.

ويبقىٰ الشق الآخر من السؤال وهو هل في القران والسنة ما يذكر ذلك؟

الجواب نعم، وقبل الإجابة ينبغي أن يستشعر الإنسان خطورة هذه المرحلة التي مرت علىٰ المسلمين، وعظمَ البلاء الذي نال أهلها من زوال الملك وسفك الدماء وانتهاك الأعراض وضعف الدين وغير ذلك من الشر، حتىٰ قال ابن الأثير رحمه الله في تاريخه: لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها، كارها لذكرها، فأنا أقدم إليه رجلا وأؤخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين؟ ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت أمي لم تلدني، ويا ليتني مت قبل حدوثها وكنت نسيا منسيا، إلا أنني حثني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي نفعا، فنقول: هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى، والمصيبة الكبرى التي عقت الأيام والليالي عن مثلها، عمت الخلائق، وخصت المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم، إلى الآن، لم يبتلوا بمثلها، لكان صادقا، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها...إلى أن قال: ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم، وتفنى الدنيا، إلا يأجوج ومأجوج.اهـ

فلا شك أن أحداثا مهمة كهذه إن لم يذكرها القران والسنة صريحة فستُذكر ولو بالإشارة.

فأما من حيث العموم فالأدلة كثيرة جدا من القران والسنة أن القوة والتمكين بالطاعة، وأن الضعف والخذيلة بالمعاصي.

وأما علىٰ وجه الخصوص في هذه المرحلة بذاتها فإنها وردت في السنة مقرونة بذكر حادثة عظيمة وهي حادثة انفتاح سد يأجوج ومأجوج فقد ثبت في الصحيحين من حديث أم المؤمنين زينب رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا

فَزِعًا، يَقُولُ : "لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ". وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بْنَةُ جَحْشٍ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ ؟ قَالَ : "نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ".

وقد كان هلاك العرب كما تقدم باقتحام التتر لبلاد الإسلام آخر الخلافة العباسية.

أليس هذه الحادثة أولىٰ ما يُفسر به حديث زينب من فزع النبي عليه الصلاة والسلام وهو يقول لا إله إلا الله ويل للعرب...، حين انتهىٰ ملكهم وتسلطت عليهم الأمم؟

فإن لم تكن هذه الحادثة هي التي أفزعت نبينا عليه الصلاة والسلام علىٰ أمته أفنراه يفزع ويحمرّ وجهه لأحداث تقع بعد نزول عيسىٰ عليه الصلاة والسلام حين تقوىٰ شوكة الإسلام؟

والشاهد من الحديث أن مرحلة انتكاسة المسلمين وعودة أمم الكفر من حين هلاكهم تكون بعد فتح سد يأجوج ومأجوج.

وأما من القران الكريم فالآيات التي نحن بصددها ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٩٥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦﴾ [الأنبياء : ٩٥ - ٩٦]

فمعناها والله أعلم أن الله حرم علىٰ القرىٰ الكافرة الرجوع للدنيا والعلو فيها حتىٰ تفتح يأجوج ومأجوج فترجع تلك القرىٰ، ثم يصل من حالهم جميعا أنهم في سرعة عظيمة جدا يجوبون الأرض كلها، هنالك اقترب وعد القيامة، وجملة الحال المبدوءة بالضمير ﴿وَهُم﴾ في الآية يعود أيضا للقرىٰ المهلكة وليس ليأجوج ومأجوج وحدهم، وهذا المعنىٰ تجتمع به أقوال المفسرين التي نقلت عنهم مضطربة في كتب التفسير، ويتضح الاشكال المنقول في الآية الذي لم يبينه لا المفسرون ولا أهل اللغة، وأيضا

فهذا القول يوافق حديث زينب ويفسر به، وهذا القول هو الذي شاهده الناس في الواقع عبر أحداث التاريخ.

ونزيد التوضيح فنقول: كما تقدم عن ابن عباس وغيره من تفسير الآية بظاهرها وهو ترجيح الإمام ابن كثير أن المراد أنهم لا يرجعون إلىٰ الدنيا.

وما استنكره القرطبي من هذا فهو متجه إلىٰ أشخاص الكافرين بأفرادهم أنه لن يعود كل من هلك منهم، لأن الموت حتم علىٰ كل النفوس ولن يرجع أحد بعد موته كان من أولياء الله أو أعدائه.

وهذا التفسير يتنافىٰ مع حكمة الشرع أن يكون المقصود موت الأشخاص لأن هذا يشترك فيه جميع الخلق، ولهذا رده القرطبي.

والمقصود عودة القرىٰ الكافرة بقوتها وكفرها وشركها وإلحادها وحربها للإسلام وأهله، وفعلا هذا هو الذي وقع في التاريخ حسبما ذكرنا من معنىٰ الآية وصاروا جميعا كما أخبر الله من كل حدب ينسلون، فمن يستطيع أن ينكر أن الأمم الان ينسلون من كل حدب؟

فالعبرة بالكفر والقيام به ونصرته، وليست العبرة بالذوات، فالقرية الكافرة تحمل نفس الاسم ونفس المعتقد، لكن يختلف حكامها وقادتها، فكل فترة يملكها منهم رجل، ويأتي جند ينصرونه من نسل الجند الذين كانوا قبلهم، ولا تهلك الدولة بمجرد موت قائدها وتتابع جنودها بعده بالموت عبر السنين ما دام وقد ظهر منهم من يخلفهم علىٰ نفس ما كانوا عليه، فلا يسمىٰ موتهم هلاكا، بل العبرة بزوال القرية بمعتقداتها ونصرتها للكفر وحربها للإسلام ولو لم يمت قادتها، فهذا هو الهلاك.

والتحريم في الآية ليس إلىٰ قيام الساعة بل هو إلىٰ حين فتح سد يأجوج ومأجوج كما هو ظاهر الآية بدليل حتىٰ التي تفيد الغاية فهي متعلقة بحرام.

فالتحريم مستمر حتىٰ تفتح يأجوج ومأجوج فتعود بعد ذلك قرىٰ الكفر.

وما ذكره بعض المفسرين أن الامتناع حتىٰ تقوم القيامة فهذا ظنا منهم أن سد يأجوج ومأجوج لن ينفتح إلا آخر الزمان عند نزول عيسىٰ.

ولو سلمنا أن السد لن ينفتح إلا زمن عيسىٰ فإن القيامة لا تقوم بخروج يأجوج ومأجوج، بل سيُحج البيت ويُعتمر بعد يأجوج ومأجوج ويتطاول الزمان حتىٰ يبقىٰ الشيخ الكبير والمرأة العجوز لا يعرفون إلا الشهادة ولا شك أن الذين يعاصرون عيسىٰ سيعيشون بعده فترة من الزمن قبل أن يصل الناس لمستوىٰ أنهم لا يعرفون إلا شهادة التوحيد فقط.

وقد قيل بأن (حتىٰ) في الآية للابتداء ثم اختلفوا في جوابها، لكن الأظهر ما تقدم، بقرينة حديث زينب وما حصل في التاريخ الإسلامي، فلا مانع أن يخفىٰ معنىٰ النص الشرعي ولا يتبين مراد الشرع منه لمن لم يدرك زمن الوحي، ولم ينقل الصحابة لمن خلفهم هذا المعنىٰ إما لظهوره ووضوحه بالنسبة لهم، وإما لعدم حاجتهم إليه ذلك الوقت وقد نُهوا عن كثرة المسائل، وإما لنسيان أو غير ذلك، كما في البخاري عن حذيفة رضي الله عنه قَالَ : (**لَقَدْ خَطَبَنَا النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُطْبَةً، مَا تَرَكَ فِيهَا شَيْئًا إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا ذَكَرَهُ، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ، إِنْ كُنْتُ لَأَرَىٰ الشَّيْءَ قَدْ نَسِيتُ، فَأَعْرِفُ مَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ إِذَا غَابَ عَنْهُ فَرَآهُ فَعَرَفَهُ**).

حتىٰ إذا وقع ذلك المعنىٰ واحتاج الناس لمعرفته عرفه من شاء الله تعالىٰ، كما في قصة نساء النبي عليه الصلاة والسلام في الصحيحين حين سألنَ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن أولهن لحاقا به؟ فقال: **"أَطْوَلُكُنَّ يَدًا"** ففهمن من ظاهر النص طول اليد الحقيقي فجعلن يتذارعن، فكانت سودة أطولهن يدا، فلما ماتت زينب قبلهن علمنَ أن المقصود بالحديث النبوي طول اليد بالصدقة.

وقوله عليه الصلاة والسلام: **"بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً"** كما في البخاري عن عبدالله بن عمرو، وقوله: **"فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ ؛ فَإِنَّهُ رُبَّ مُبَلَّغٍ يُبَلِّغُهُ مَنْ هُوَ أَوْعَىٰ لَهُ"** رواه البخاري عن أبي بكرة.

وأما الآية الثانية ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنبياء : ٩٧] فهي مفسرة للآية في أول سورة الأنبياء ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾ [الأنبياء : ١]

فقد بدأ الله تعالىٰ هذه السورة بهذه الآية وذكر فيها ما ذكر من خوارق العادات التي أعطاها أنبياءه حتىٰ ختم بذكر عودة الأمم الكافرة للدنيا حين تفتح يأجوج ومأجوج وذكر نسلانهم من كل حدب، وأن هذا من علامات الساعة، هنالك اقترب الوعد الحق.

فتبين بما تقدم أن الدليل الأول الذي ذكره الحمادي عليه لا له والله الموفق.

***

## حجته الثانية

قوله تعالىٰ: ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ٩٧ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ٩٨ وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ٩٩﴾ [الكهف: ٩٧ - ٩٩]

تقدم معنا في الباب الثاني ذكر هذه الآيات وأنها تدل علىٰ اندكاك السد لا بقائه من عدة وجوه.

ونقول هنا: علق الحمادي بسطرين ثم ساق كلاما للشنقيطي فيما يقارب السبع صفحات وسود بعض الثامنة بكلام لابن كثير.

ونحن نرد عليه ثم نناقش كلام الشنقيطي رحمه الله

قال الحمادي (**وهذه الآية تدل علىٰ أن يأجوج ومأجوج ما زالوا خلف السد الذي بناه ذو القرنين إلىٰ قرب النفخ في الصور**)

فنقول له ما هو وجه الدلالة؟

ففي الآية خبر أنهم في زمانهم ولا زال ذو القرنين موجودا عندهم لم يستطيوا الصعود عليه ولا نقبه، وفيها حمد ذو القرنين ربه بأن السد رحمة من الله وله وعد محدد سيندك فيه.

ثم أخبر الله تعالىٰ أنه ترك بعض يأجوج ومأجوج يموجون في بعض حين يندك السد.

فما هو وجه الدلالة يا حمادي؟ أين ذُكر في الآية أنهم لا زالوا خلف السد حتىٰ زمن عيسىٰ؟

فإن قلت وجه الدلالة ذكر النفخ في الصور بعد موج بعضهم في بعض.

فنرد عليك بوجهين الأول أنه لا يلزم أن يكون دك السد قرب النفخ في الصور لأن يأجوج ومأجوج ليس آخر علامات الساعة، فهناك علامات للساعة بعد يأجوج ومأجوج أعظم من يأجوج ومأجوج بلا مقارنة فما هو وجه تخصيص يأجوج ومأجوج بالذكر دون غيرها حتىٰ كأنك تصور أنه ليس بعد يأجوج ومأجوج إلا النفخ في الصور؟

الوجه الثاني وهو الأقوىٰ أن هذه النفخة هي نفخة البعث وليست نفخة الفزع خلافا لمن قال هذا من المفسرين فهو وهم.

فهذه النفخة نفخة الجمع والعرض ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ٩٩ وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا ١٠٠﴾ [الكهف : ٩٩ - ١٠٠]

﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ هو يوم النفخ في الصور والجمع والعرض.

فكم يا حمادي بين يأجوج ومأجوج وبين عرض جهنم علىٰ الكافرين عرضا؟

فاستدلالك بالآية تقليد محض لمن سبقك ليس فيه ريح الاجتهاد والاستنباط.

وأما الوعد الذي تحدث عنه ذو القرنين فإنه قد بدأت مقدماته من زمن النبي عليه الصلاة والسلام حين أخبر أنه فتح منه مثل هذه وحلق أصبعيه الإبهام والتي تليها، ولا زال الفتح فيه يستمر ويكبر حتىٰ تكامل ذلك حين كثر الخبث في المسلمين وهلك العرب مصداقا لحديث رسول الله عليه الصلاة والسلام.

ولم يوجد هلاك للعرب كما وجد آخر الخلافة العباسية حين خرج التتر كما تقدم، فالسنة تفسر القران وهذا الموضع من ذلك.

فمسائل الخلاف في التفسير يرجع فيها للدليل حسب قواعد التفسير، وليس بقول فلان وفلان من العلماء، فمن ذا الذي صار قوله فصلا في النزاع حتىٰ ينقل لنا اجتهاده المجرد ويكون قوله هو الحجة؟

فإن فسرت الآية بالقران فالقران يدل علىٰ اندكاك السد قبل زمن عيسىٰ، وقد سبق معنا ذكر عدة أدلة من القران علىٰ هذا في الباب الثاني من هذا الفصل، وإن فسرت الآية بالسنة فالسنة تدل علىٰ اندكاك السد حين يكثر الخبث، وإن فسرتها بأقوال السلف فإنه لم يصح عن الصحابة شيء فيه التصريح بهذا الذي تقرره، وإن رجعت للغة العرب فليس في الآية ذكر عيسىٰ ولا زمنه لا من قريب ولا من بعيد، وإن رجعت في تفسيرها للتقليد والتعصب فهذا شأنك.

وأما كلام الشنقيطي فالشنقيطي عالم من علماء المسلمين له ما للعلماء وعليه ما عليهم، يدور بين الأجر والأجرين وليس كلامه ولا كلام غيره في باب من أبواب العلم حجة علىٰ أحد إلا بما يسوقه من أدلة الشرع مما تؤيد قوله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مقدمة أصول التفسير عند الكلام علىٰ تفسير القران بأقوال التابعين: (وقال شعبة ابن الحجاج وغيره: أقوال التابعين في الفروع ليست حجة، فكيف تكون حجة في التفسير!؟ يعني أنها لا تكون حجة علىٰ غيرهم ممن خالفهم، وهذا صحيح، أما إذا أجمعوا علىٰ الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة علىٰ بعض، ولا علىٰ من بعدهم، ويرجع في ذلك إلىٰ لغة القران أو السنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة في ذلك). اهـ

فلا أدري هل درس الحمادي أصول وقواعد التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية ونسيها أو أنه لم يدرسها أصلا! والأقرب عندي أنه إن كان يعرفها فقد اطلع عليها مجرد اطلاع ومر عليها مرورا سريعا، فننصحه بدراستها وإعادة النظر فيها لأنها مفيدة جدا في معرفة طريقة أهل السنة والجماعة في تفسير القران علىٰ قواعد السلف.

❊❊❊

## الرد على الشنقيطي

وقبل نقاش كلامه ننبه أن الشنقيطي رحمه الله لم يسلك مع العلامة السعدي مسلك التجديع والتكفير والتشويه الذي سلكه التويجري، بل استعمل أسلوب أهل العلم في الأخذ والرد.

قال الشنقيطي رحمه الله فيما نقل الحمادي: **وأظهر الأقوال في الجملة المقدرة التي عوض عنها تنوين ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ من قوله:** ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف : ٩٩] **أنه يوم إذ جاء وعد ربي بخروجهم وانتشارهم في الأرض، ولا ينبغي العدول عن هذا القول لموافقته لظاهر سياق القرآن العظيم، وإذا تقرر أن معنى ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم إذ جاء الوعد بخروجهم وانتشارهم فاعلم أن الضمير في قوله:** ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ﴾ **على القول بأنه لجميع بني آدم فالمراد يوم القيامة، وإذا فقد دلت الآية على اقترانه بالخروج إذا دك السد، وقربه منه.** اهـ

وهذا الكلام فيه اضطراب واضح.

فلازم كلام الشنقيطي حسب تقريره أن تفسير الآية هكذا: وتركنا جميع بني آدم بعد البعث بعضهم يموج في بعض يوم مجيء وعد دك السد وانتشار يأجوج ومأجوج.

فهل يقول هذا عاقل؟

فكيف يذكر الشنقيطي أن الوعد في الآية ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ هو وعد انتشارهم ولا ينبغي العدول عنه! ثم يقرر أن الضمير في ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ﴾ أنه يوم القيامة في حال حملناه علىٰ بني آدم جميعا؟

فهل يوم انتشار يأجوج ومأجوج هو يوم القيامة؟

هذا من العجب العجاب!

وهذا الكلام لا يستساغ بمجرد الرأي فإن الناس سيحجون البيت ويعتمرون بعد يأجوج ومأجوج، فكم بين يأجوج ومأجوج وبين قيام الساعة وخروج جميع بني آدم من القبور؟

أما مسألة القرب فهي حاصلة ببعثة نبينا عليه الصلاة والسلام وليست مقارنة للقيامة الكبرىٰ.

ولا يصح قول الشنقيطي (**وإذا فقد دلت الآية على اقترانه بالخروج إذا دك السد، وقربه منه**)

لأنه لم يجعله مقارنا له فحسب بل جعله هو هو، وليس في الآية دليل علىٰ ما قال لا بمطابقة ولا تضمن ولا التزام، علىٰ أن الشنقيطي بنىٰ كلامه علىٰ قول من جعل الضمير بأنه لجميع بني آدم وقد أشار لذلك، لكن لنا أن نحتج عليه بنفس كلامه السابق في تقريره الجملة المقدرة التي عوض عنها التنوين فنقول: إن الضمير في (بعضهم) يعود لأقرب مذكور وهم يأجوج ومأجوج فليس في الآية ذكر أحد غيرهم يعود الضمير إليه (**ولا ينبغي العدول عن هذا القول لموافقته لظاهر سياق القرآن العظيم**) وقول الشنقيطي (**وعلى القول بأن الضمير راجع إلى يأجوج ومأجوج، فقوله بعده ونفخ في الصور يدل في الجملة على أنه قريب منه**) أما الصورفنعم، هو قريب منه، كما أنه قريب من بعثة نبينا عليه الصلاة والسلام وموته، والنفخة كما تقدم في الرد علىٰ كلام الحمادي هي نفخة البعث والنشور والخروج من القبور، فليس فيها دلالة صريحة ولا غير صريحة لما ذهب إليه رحمه الله من بقاء السد.

ثم أورد الشنقيطي علىٰ نفسه إيرادا فقال: (**فإذا قيل: إنما تدل الآيات المذكورة في (الكهف) و (الأنبياء) على مطلق اقتراب يوم القيامة من دك السد واقترابه من يوم القيامة لا ينافي كونه قد وقع بالفعل، كما قال تعالى:** ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ [الأنبياء: ١]...الآية ﴾

**وقال:** ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: ١] **وقال النبي ﷺ: (وَيلٌ لِلْعَرَبِ، مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَومَ مِن رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ وَحَلّقَ بِأَصْبُعَيْهِ الإِبْهَامِ وَالّتِي تَلِيْهَا) الحديث، وقد قدمنا في سورة (المائدة) ، فقد دل القرآن والسنة الصحيحة على أن اقتراب ما ذكر لا يستلزم اقترانه به، بل يصح اقترابه مع مهلة، وإذا فلا ينافي دك السد الماضي المزعوم الاقتراب من يوم القيامة، فلا يكون في الآيات المذكورة دليل على أنه لم يدك السد إلى الآن.**

**فالجواب: هو ما قدمنا أن هذا البيان بهذه الآيات ليس وافيا بتمام الإيضاح إلا بضميمة السنة له، ولذلك ذكرنا أننا نتمم مثله من السنة، لأنها مبينة للقرآن...اهـ**

فقول الشنقيطي (**أن هذا البيان بهذه الآيات ليس وافيا بتمام الإيضاح...**) هذا رد علىٰ الحمادي جملة وتفصيلا في استدلاله بهذه الآيات فلا يتعب نفسه، فقد أقر الشنقيطي رحمه الله أن الآيات ليست وافية بتمام الإيضاح.

أما ضميمة السنة فهذا الفرس وهذا الميدان يا حمادي.

ثم ساق الشنقيطي حديث النواس في مسلم بطوله وقال عقبه: (**وهذا الحديث الصحيح قد رأيت فيه تصريح النبي صلى الله عليه وسلم: بأن الله يوحي إلى عيسى ابن مريم خروج يأجوج ومأجوج بعد قتله الدجال**).

وهذا الكلام من الشنقيطي صحيح لا غبار عليه ولا نخالفه فيه أن خروج يأجوج ومأجوج يكون في زمن عيسىٰ، لكن أين ذكر انهدام السد؟

ثم زاد فقال: (**فمن يدعي أنهم روسية، وأن السد قد اندك منذ زمان فهو مخالف لما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مخالفة صريحة لا وجه لها، ولا شك أن كل خبر ناقض خبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم فهو باطل، لأن نقيض الخبر الصادق كاذب ضرورة كما هو معلوم**). اهـ

فأين ضميمة السنة التي تحدث عنها الشنقيطي في تخصيص الآية؟ ليس في حديث النواس ولا غيره في السنة النبوية إلا ذكر عموم خروجهم آخر الزمان وليس للسد ذكر.

فنقول المقدمة التي ذكرها الشنقيطي لا نخالفه عليها، وإذا كان كذلك فكيف له أن يلزم مخالفَه بنتيجة يتفق فيها معه علىٰ مقدمتها، والخلاف إنما هو في قدر زائد خارج عنها؟

والسبب في ذلك هو خلطه رحمه الله بين قضية فتح السد وبين قضية خروج يأجوج ومأجوج آخر الزمان.

فخروج يأجوج ومأجوج آخر الزمان أمر متفق عليه لم يخالف فيه الإمام السعدي ولا من نشر مذهبه، وعليه فكل دليل يذكر خروجهم آخر الزمان فإنه حجة للطرفين فكلاهما يسلم به، ولا يصح شرعا ولا عقلا أن تجعل أدلة القضية المتفق عليها مرجِّحة لأحد القولين بسبب قدر زائد حصل فيه الخلاف ولا يوجد التصريح به في هذه الأدلة.

وموطن الخلاف هو اندكاك السد هل هو مقارن للخروج آخر الزمان أو ليس مقارنا له؟ وليس مع الشنقيطي ولا غيره دليل يدل علىٰ هذا، حتىٰ يأتي متشبع يتشبع بما ليس عنده، ويرفع أقوالهم لمرتبة الحجج الشرعية.

وألفاظ القران تذكر الفتح والدك، وأحاديث السنة زمن عيسىٰ لا تذكر إلا الخروج، وفرق عظيم بين الفتح ليأجوج ومأجوج ودك سدهم وبين خروجهم لقتال عيسىٰ آخر الزمان.

والخبر الصادق عندنا في السنة أن السد ينفتح حين يكثر الخبث، كما في الصحيحين من حديث زينب، ونقيضه أنه ينفتح حين ترفع راية الإسلام وتملأ الأرض قسطا وعدلا علىٰ يدي عيسىٰ، ونقيض الخبر الصادق كاذب ولا شك.

والخلاصة أن الاحتجاج بمثل هذه النصوص يُعتبر خارج المسألة المختلف عليها، فليس هناك ضميمة من السنة تفسر الآيات بالفهم الذي فهموه منها.

ثم قال الشنقيطي: (**والعمدة في الحقيقة لمن ادعى أن يأجوج ومأجوج هم روسية، ومن ادعى من الملحدين أنهم لا وجود لهم أصلا هي حجة عقلية في زعم صاحبها**)

فنقول أما من أنكرهم فهذا كافر بالله تعالىٰ لأنه مكذب بالنصوص الشرعية، وليس معه لا حجة عقلية ولا سمعية، وإنما يزعم وجود الحجة العقلية عندهم من يعتقد أنهم لا يزالون خلف السد إلىٰ عصرنا ولن يندك السد إلا في زمن عيسىٰ، فمن يقول بهذا القول فالحجة العقلية واردة عليه.

ولا يوجد في الشرع شيء يرده العقل، وهذه زلة من هذا العالم رحمه الله حيثُ أثبت أن الحجة العقلية هي دليل هذا القول لا غير.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام قوي مفيد في هذه المسألة حيث قال: (وكل من خالف ما جاءت به الرسل فهو ضال من أي الطوائف كان فإن الله بعثهم بالحق، والمعقول الصريح دائما يوافق ما جاءت به الرسل لم يخالف العقل الصريح شيئا مما جاءت به

الرسل وقد بسط هذا في الكتاب المصنف في درء تعارض العقل والنقل) اهـ الصفدية.

وقال (فلا يعلم حديث واحد يخالف العقل أو السمع الصحيح إلا وهو عند أهل العلم ضعيف، بل موضوع) من درء تعارض العقل والنقل.

ثم ذهب الشنقيطي يتكلف الرد علىٰ ما قال بأنه حجة عقلية بكلام منطقي تمل من قراءته النفوس.

وهذه الحجة العقلية واردة وما ذكره الشنقيطي غير كاف في إبطالها، وذلك لأن ما قالوا به ليس من الشرع حتىٰ يناقضه العقل ولكنه اجتهاد اجتهدوا فيه حين انكروا اندكاك السد، ووردت عليهم الحجج العقلية من كل جانب، ثم تكلفوا الرد عليها تكلفا، وقاسوها علىٰ أمور الغيب التي لا مجال فيها للعقل.

وأما قياس قضية يأجوج ومأجوج بقضية تيه بني إسرائيل فهذا لا يستقيم لأنه قياس مع الفارق.

فيأجوج ومأجوج أمه عظيمة لا يعلم عددهم إلا الله بينما بنوا إسرائيل أعداد قليلة، والناس في زمنهم قليل، وليس عندهم من الوسائل ما تمكنهم من الوصول إليهم.

وبنوا إسرائيل ثبت في الشرع تيههم، أما يأجوج ومأجوج فلم يثبت دليل علىٰ تيههم ولا اختفائهم بل العكس فالثابت هو وجودهم في شرق الأرض بجوار الترك، بإجماع المؤرخين.

وبنوا إسرائيل كانت مدة تيههم لفترة محدودة أربعين سنة، أما يأجوج ومأجوج فيزعمون أنهم مختفون من زمن ذي القرنين حتىٰ ينزل عيسىٰ، وهذا فرق عظيم.

ومن الفوارق أن تيه بني إسرائيل لا يناقض العقل الصحيح أما اختفاء يأجوج ومأجوج ففيه مناقضة صريحة.

وغير ذلك من الفوارق فكيف يصح القياس عليه؟

فما ادعاه الشنقيطي بقوله: (**والعمدة في الحقيقة لمن ادعى أن يأجوج ومأجوج هم روسية...**)

ليس بصحيح فقد تقدم معنا من أدلة الشرع في إثبات ذلك، وليس مجرد الحجة العقلية وحدها بل الحجة السمعية والعقلية فالعمدة في الحقيقة كما في رسالتنا هذه هي القران والسنة واللغة العربية ومقاصد الشريعة، وليس ما زعمه الشنقيطي رحمه الله.

وليس روسية وحدها يأجوج ومأجوج لكنهم أمم من شرق الأرض من تلك الجهات فقد يكونون هم أو غيرهم وغالب الظن أن الروس منهم.

وقد ذكر ابن باز عليه رحمة الله كما في الفتاوى أن خروجهم آخر الزمان يكون من الصين الشعبية وما جاورها والله أعلم.

أما الملحدون الذين ذكرهم الشنقيطي فلسنا حولهم لكننا نهتم بما يتعلق بتقريرات العلامة السعدي رحمه الله.

وبقية الكلام الذي ذكره الشنقيطي في صفحتين تقريبا ليس له كبير تعلق بالمسألة فما ندري لماذا يريد الحمادي أن يكبّر كتابه بالنسخ واللصق!

وأما ما نقله عن ابن كثير من أن النفخة هي نفخة الفزع فقد تقدم أن هذا وهم والصواب أنها نفخة البعث.

## حجته الثالثة

قال الحمادي الحجة الثالثة:... وذكر حديث النواس بن سمعان بطوله نسخا ولصقا في صفحتين، ثم علق عليه بسطرين فقال: ( **قلتُ وهذا الحديث صريح الدلالة في أن خروج يأجوج ومأجوج يكون في آخر الزمان بعد مقتل المسيح الدجال ونزول عيسىٰ ابن مريم عليه الصلاة والسلام)**

فنقول صدقت يا حمادي هذا الكلام صحيح لا غبار عليه، ولم يخالف فيه أحد من أهل السنة لا من قبل ولا من بعد، ولكن ليس هذا موضوع خلافنا فنحن نتحدث عن الردم لا عن خروجهم آخر الزمان!

ثم قال الحمادي: وقوله في الحديث (**إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي**) أي من السد.

هذا كلام لا يدل عليه دليل لا من القران ولا من صحيح السنة، فأنىٰ لك يا حمادي أن الله أخرجهم ذلك الزمن من السد؟

حرام أن تفسر الحديث وتقول علىٰ الله بلا علم!

وهذا جرأة عظيمة منه في القطع في هذه المسألة بعد تحققه من الخلاف، ومن يقلدهم ممن ربما ذكر شيئا من هذا فإنما ذكروه قبل تحقق صورة الخلاف من المتقدمين، أو بعبارات فيها شيء من التورع، أو باجتهاد اجتهدوا فيه، وطريقة أهل العلم بعد وجود الخلاف مع عدم تحقيق المسألة هو سلوكهم الورع في التصريح، وليس التهور بالقطع في المسألة كهذا التهور! فلو أن الحمادي ذكر أدلة شرعية أو عقلية توصل إليها باستنباطاته وبحثه للمسألة لقلنا إن اجتهاده ساقه لهذا، لكنه نقل أدلة قلد فيها غيره

حذو القذة بالقذة، ثم يصرح بعبارات لم يسبقه إليها غيره، فياليته وقف حيث وقف من قلدهم!

فعبارة الحمادي هذه (وقوله في الحديث (**إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي**) أي من السد) لم يتوصل إليها باستنباط صحيح أو اجتهاد معتبر كما تقدم، فهل عنده فيها سلف! وهل سبقه أحد من العالمين بهذا التصريح؟

❊❊❊

## حجته الرابعة

ما رواه أحمد وابن ماجه وغيرهم عن أبي سعيد الخدري من طريق محمد بن إسحاق قال أبو سعيد رضي الله عنه سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " يُفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، يَخْرُجُونَ عَلَىٰ النَّاسِ كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ فَيَغْشَوْنَ الْأَرْضَ، وَيَنْحَازُ الْمُسْلِمُونَ عَنْهُمْ إِلَىٰ مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ، وَيَضُمُّونَ إِلَيْهِمْ مَوَاشِيَهُمْ، وَيَشْرَبُونَ مِيَاهَ الْأَرْضِ، حَتَّىٰ إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَمُرُّ بِالنَّهَرِ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهِ، حَتَّىٰ يَتْرُكُوهُ يَبَسًا، حَتَّىٰ إِنَّ مَنْ بَعْدَهُمْ لَيَمُرُّ بِذَلِكَ النَّهَرِ فَيَقُولُ : قَدْ كَانَ هَاهُنَا مَاءٌ مَرَّةً. حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَحَدٌ فِي حِصْنٍ أَوْ مَدِينَةٍ، قَالَ قَائِلُهُمْ : هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْأَرْضِ قَدْ فَرَغْنَا مِنْهُمْ، بَقِيَ أَهْلُ السَّمَاءِ ". قَالَ : " ثُمَّ يَهُزُّ أَحَدُهُمْ حَرْبَتَهُ، ثُمَّ يَرْمِي بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَتَرْجِعُ إِلَيْهِ مُخْتَضِبَةً دَمًا لِلْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ، فَبَيْنَا هُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، بَعَثَ اللهُ دُودًا فِي أَعْنَاقِهِمْ، كَنَغَفِ الْجَرَادِ الَّذِي يَخْرُجُ فِي أَعْنَاقِهِ، فَيُصْبِحُونَ مَوْتَىٰ لَا يُسْمَعُ لَهُمْ حِسًّا، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ : أَلَا رَجُلٌ يَشْرِي نَفْسَهُ فَيَنْظُرَ مَا فَعَلَ هَذَا الْعَدُوُّ ". قَالَ : " فَيَتَجَرَّدُ رَجُلٌ مِنْهُمْ لِذَلِكَ مُحْتَسِبًا لِنَفْسِهِ، قَدْ أَظَنَّهَا عَلَىٰ أَنَّهُ مَقْتُولٌ، فَيَنْزِلُ فَيَجِدُهُمْ مَوْتَىٰ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، فَيُنَادِي : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أَلَا أَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللهَ قَدْ كَفَاكُمْ عَدُوَّكُمْ. فَيَخْرُجُونَ مِنْ مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ، وَيَسْرَحُونَ مَوَاشِيَهُمْ، فَمَا يَكُونُ لَهَا رِعْيٌ إِلَّا لُحُومُهُمْ، فَتَشْكَرُ عَنْهُ كَأَحْسَنِ مَا تَشْكَرُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ النَّبَاتِ أَصَابَتْهُ قَطُّ ".

فأقول ردا علىٰ الحمادي: ظاهر هذا الحديث أنه حسن لأنه من طريق محمد بن أسحاق وهو صدوق.

لكن في الحديث نكارة شديدة، وأهل الحديث يعللون الحديث لنكارته ويحكمون عليه بالضعف ولو كان سنده مثل الشمس.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فلا يعلم حديث واحد يخالف العقل أو السمع الصحيح إلا وهو عند أهل العلم ضعيف، بل موضوع.اهـ

وهذ الحديث يخالف السمع الصحيح ويخالف العقل، وقد ذكر محمد بن إسحاق فيه أمورا لا يحتمل تفرده بها.

منها ذكره لفظ الفتح ليأجوج ومأجوج حين يخرجون آخر الزمان، والأحاديث والروايات الصحيحة في الصحيحين وخارجها كلها تصفهم آخر الزمان بالخروج وليس بالفتح، وفرق بين الخروج والفتح.

ولم ترد لفظة الفتح إلا في هذا الموضع وموضع آخر من حديث حذيفة بن أسيد رواه النسائي في الكبرىٰ وغيره في ذكر علامات الساعة الكبرىٰ وذكر منها (فتح يأجوج ومأجوج) وهي شاذة تفرد بها عبدالرحمن بن عبدالله المسعودي وهو صدوق اختلط بآخر عمره، عن فرات القزاز عن أبي الطفيل عن حذيفة، وخالفه شعبة وسفيان وأبو الأحوص كلهم رووا الحديث عن فرات القزاز عن أبي الطفيل عن حذيفة بلفظ (خروج يأجوج ومأجوج)، بل المسعودي نفسه تارة يقول (فتح) وتارة يقول (خروج) فدل هذا علىٰ أنها ليست محفوظة.

والله أعلم.

ومنها نفي كونه بقي أحد سلم من يأجوج ومأجوج إلا أحد في حصن أو مدينة، وهذا يناقض حديث النواس بن سمعان في مسلم **"إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ**

**بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَىٰ الطُّورِ"** ذكر فيه أنهم في الطور بعد تحريز نبي الله عيسىٰ لهم، لا في حصن ولا مدينة، كما ذكر هنا أنهم ينحازون للحصون والمدن، ثم يخرجون منها بعد هلاك يأجوج ومأجوج.

فلو كانت الحصون والمدن نافعة من يأجوج ومأجوج لما أوحىٰ الله إلىٰ نبيه أن حرز عبادي إلىٰ الطور!

ومنها أنه ذكر أن البهائم تأكل لحوم البشر وترعاها، وهذا ليس من عادة البهائم، وليس فيما صح من أدلة الشرع أن يأجوج ومأجوج يهلكون نبات الأرض حتىٰ تضطر بهائمهم للحوم البشر!

فيلزم من هذا الحديث إثبات خرق العادة للبهائم، وخرق العادة للرعاة الذين يرعون البهائهم حيث إنهم لن يتأثروا بزهم يأجوج ومأجوج الذي لا يطيقه عيسىٰ ومن معه.

ومنها نسبة شربهم لمياه الأرض، وهذا لم يثبت، لكن الثابت شربهم لبحيرة طبرية، كما في مسلم **"فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَىٰ بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ"**.

ومنها تناقض الحديث حيث أثبت انحياز الناس للحصون والمدن، وبالمقابل أثبت زعم يأجوج ومأجوج أنهم فرغوا من أهل الأرض، فكيف يفرغون ممن لم يلقوه؟

ومن تناقضه أنه أثبت غشيان يأجوج ومأجوج للأرض وأثبت انحياز الناس للحصون والمدن.

فما هي الأرض التي يغشاها يأجوج ومأجوج غير الحصون والمدن؟ هل هي الصحاري والبراري والقفار؟ وهل يأجوج ومأجوج كالبهائم والسباع لا تعرف

الحصون والمدن ولا تميز ساكنيها، حيث زعموا فراغهم من أهل الأرض حتىٰ طمعوا في أهل السماء؟ مع أن الناس في حصونهم ومدنهم!

أم أن الناس سيختفون عن يأجوج ومأجوج كما اختفىٰ يأجوج ومأجوج عن الناس خلف الردم حسب زعمهم؟

ومنها أنه صوّر الناس كما لو كانوا في قرية صغيرة، وصوّر يأجوج ومأجوج كأنها جماعة قليلة في هذه القرية، بحيث يتفقون علىٰ نزول ذلك الرجل ليستطلع لهم خبر يأجوج ومأجوج ثم يصدرون عن قوله بعد مناداتهم، ويسرحون مواشيهم من هذه القرية.

ومنها إهمال الحديث لذكر عيسىٰ عليه الصلاة والسلام تماما مع أنه أهم ما يُذكر في قصة يأجوج ومأجوج، فهم يخرجون لقتاله ويهلكون بدعائه.

ولو كان حديث أبي سعيد وحديث أبي هريرة (الذي جعله الألباني ـ كما سيأتي ـ شاهدا ومقويا له) في الصحيحين أو أحدهما لكانت فيهما علة قادحة لا يمكن معها قبولهما، وهي مخالفة مفهومهما لمنطوق آيات محكمات في كتاب الله تعالىٰ وأحاديث ثابتة صحيحة، تقدمت معنا في الباب الثاني من هذا الفصل، فكيف وهو خارج الصحيحين من مرويات محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي ؟! فمنذ متىٰ صار محمد ابن إسحاق ممن يقوىٰ بمروياته علىٰ مصادمة الآيات المحكمات أو أحاديث السنة النبوية الثابتة؟ فهذا الحديث بعد التأمل والنظر تبينت نكارته وعدم صحة الاحتجاج به، فهو حديث ضعيف لعله عن بني إسرائيل، فهو أشبه ما يكون بحكاياتهم، فأخطأ محمد بن إسحاق

ورفعه للنبي عليه الصلاة والسلام، ومحمد بن إسحاق صدوق، ومدار هذا الحديث عليه لم يروه غيره.

والألباني رحمه الله صحح الحديث اعتمادا علىٰ حديث أبي هريرة المعل حيث جعله شاهدا له.

والحكم علىٰ الحديث بالصحة أو الضعف مسألة اجتهادية لا زال أهل العلم عليها سابقا ولاحقا، هذا يصحح وهذا يضعف حسب اجتهاده ووسعه وما يقربه لله.

وما بان ضعفه من الأحاديث بالحجج الواضحة كهذا الحديث بطل الاحتجاج به.

ومع هذا نناقش تعليق الحمادي عليه حيث قال بعده: ( **وهذ الحديث يدل علىٰ أن قتال يأجوج ومأجوج عند خروجهم يكون بالأسلحة القديمة كالحراب، ولو كان يأجوج ومأجوج هم الكفار الذين في هذه الأزمان لكان قتالهم بالأسلحة الحديثة)**

فنقول له يا حمادي إنك تزعم أن هذه الأسلحة ستزول! فكيف تقر استخدامها آخر الزمان لو كان هؤلاء يأجوج ومأجوج؟

فنحن الان ندافع علىٰ مذهبك منك، فسواء كان هؤلاء يأجوج ومأجوج أو غيرهم فالقتال آخر الزمان لن يكون عندك إلا بالأسلحة القديمة! فكيف استسغتَ أن تأتي بهذا الإيراد الذي تناقض فيه نفسك؟

ومسألة قتال يأجوج ومأجوج فإنه حسب علمي لم يصح في السنة من تفصيلها شيء إلا حين يقولون قتلنا من في الأرض... ثم يرمون نشابهم إلىٰ السماء فترجع مخضوبة دما.

ثم قال الحمادي: وقوله في الحديث (**يفتح يأجوج ومأجوج، يخرجون علىٰ الناس**).

**أي يفتح عنهم السد، وهذا دليل علىٰ أن فتح السد يكون في آخر الزمان...)**

فنقول نعم يا حمادي لو كان الحديث صحيحا ولكنه ضعيف لا يصح الاعتماد عليه، وإن كنتَ تعتقد صحته فدافع عنه مما أوردنا فيه من الحجج علىٰ نكارته الشديدة.

❊❊❊

## حجته الخامسة

وأما دليله الخامس فقد ساق حديث النواس ابن سمعان عند ابن ماجه (سَيُوقِدُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قِسِيِّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَنُشَّابِهِمْ وَأَتْرِسَتِهِمْ سَبْعَ سِنِينَ) ثم قال: (**ووجه الدلالة منه أن خروج يأجوج ومأجوج يكون عند انتهاء هذه الحضارة ورجوع الناس إلىٰ الأسلحة القديمة**)

فأقول معلقا: لا وجه للدلالة من هذا الحديث علىٰ بقاء الردم، لكن مشكلة أخينا أبي بكر أنه اعتقد عقيدة ولابد أن يستدل لها كيفما أمكن، فخرجت عقيدته في فلتات بنانه!

أيضا يتألّىٰ الحمادي علىٰ الله أنه سيأخذ هذه النعم العصرية التي أنعم بها علىٰ الناس، وكأن هذا التألي شيء معروف مسلم به!

فيأجوج ومأجوج إذا أخذ الله عن عباده ما أكرمهم به من هذه النعم العصرية وهم خارج السد فستزول نعمهم مع الناس، فأين وجه الدلالة من الحديث؟

ثم من أين لك الجزم أن الناس سيعودون للأسلحة القديمة وهي مسألة غيبية؟

والسلف لم يذكروا هذه النعم العصرية أصلا فكيف تزعم أن منهجهم زوالها؟ وأنت بردودك تدّعي نصرة منهج السلف!

وليس هذا موطن هذه المسألة ولكن الحمادي حشرها هنا فبيّنا علىٰ قدر الحاجة.

وهذا الكلام علىٰ الحديث ما لو كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما أو مما صح خارجهما لكن إليك بيان حاله:

هذا الحديث رواه ابن ماجه فقال حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ حَمْزَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ جَابِرٍ ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ جَابِرٍ الطَّائِيِّ قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جُبَيْرِ

بْنِ نُفَيْرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (سَيُوقِدُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قِسِيِّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَنُشَّابِهِمْ وَأَتْرِسَتِهِمْ سَبْعَ سِنِينَ )

وفي هذا الإسناد هشام ابن عمار وهو صدوق وصار يتلقن فروايته غير مقبولة، لكن هذا الحديث رواه الترمذي في حديث النواس بطوله كما هو عند مسلم مع اختلاف يسير فقال حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ ، دَخَلَ حَدِيثُ أَحَدِهِمَا فِي حَدِيثِ الْآخَرِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ جَابِرٍ الطَّائِيِّ به...

ولفظه (فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ بِالْمَهْبِلِ ، وَيَسْتَوْقِدُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قِسِيِّهِمْ وَنُشَّابِهِمْ وَجِعَابِهِمْ سَبْعَ سِنِينَ)

وقد قال الترمذي عقب روايته لهذا الحديث: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ.

وابن ماجه أيضا رواه من طريق هشام بن عمار بطوله بدون هذه الزيادة.

والترمذي رحمه الله يحكم علىٰ الحديث بالغرابة لمعان منها أن يكون الحديث صحيحا وقد وردت فيه زيادة فيستغرب الحديث لهذه الزيادة، أو يكون استغراب الحديث لأجل التفرد بسنده بحيث لم يأت من طريق غير هذا، أو يكون استغراب الحديث الوارد من عدة طرق لحال بعض هذه الطرق، وهذا معلوم في مصطلح الحديث.

قال الترمذي في العلل: ورب حديث استغرب زيادة تكون في الحديث، وإنما يصح إذا كانت الزيادة ممن يعتمد علىٰ حفظه. اهـ

وزيادة علىٰ ما سبق فإن الحديث عند الترمذي من طريق الوليد بن مسلم وعبدالله بن عبدالرحمن، والوليد بن مسلم مدلس وقد عنعن في رواية الترمذي وعنعنته غير مقبولة إلا إذا صرح بالتحديث.

ولا يسلم لهذه الزيادة إلا طريق الترمذي عن علي بن حجر عن عبدالله بن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر.

وحكمها حكم زيادة الثقة لو صحت لكنها معلة كما سيأتي، ولأهل العلم نزاع كبير في زيادة الثقة هل هي صحيحة أو ضعيفة لا يخفىٰ علىٰ صغار طلاب العلم.

فمنهم من قبلها مطلقا ومنهم من ردها ومنهم من فصّل.

وخلاصتها أنها تعود للقرائن وكل موطن بحسبه، وليس هناك قاعدة مطردة فيها حكم عام بالقبول أو الرد.

ولفظ الترمذي (جعابهم) مكان (أترستهم)

وهناك فرق بين الجعاب والتروس، فالجعاب أماكن النشاب، والتروس ما يُتقىٰ بها، وهذا الجمع الذي في رواية ابن ماجه منتقد عند أهل اللغة فيقولون الصواب تروس وأتراس وترسة وليس أترسة.

وهذا من القرائن علىٰ عدم ضبط الرواة لهذه الزيادة.

والحديث رواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني والديلمي كذلك من طريق هشام بن عمار عن عبدالله بن عبدالرحمن به.

ورواه نعيم بن حماد بمعناه عن زيد بن أسلم عن أبيه مرسلا، ورواه الطبراني والخطيب في تاريخ بغداد، من طريق أحمد بن بشر بن عبدالوهاب عن سليمان بن عبدالرحمن ابن بنت شرحبيل عن عبدالله بن عبدالرحمن.

فمدار هذا الحديث علىٰ عبدالرحمن بن يزيد بن جابر.

والحديث رواه الإمام مسلم وهو دقيق في ألفاظ الأحاديث النبوية ومع هذا أعرض عن هذه الزيادة كلها فلم يخرجها، فهذه الزياد التي تركها الإمام مسلم ولم يخرجها ضمن الحديث التي هي فيه من صحيحه تعتبر مدرجة في الحديث والله أعلم.

وأما قول الألباني رحمه الله عن حديث ابن ماجه: فالغالب أنه عند مسلم أيضا لأن شيخهما واحد، فالسياق ينبغي أن يكون واحد و إنما لم يسقه مسلم اكتفاء منه بسياق زهير بن حرب، و لم ينبه علىٰ زيادة ابن حجر هذه اختصارا منه، و له من مثل هذا شيء كثير لا يخفىٰ علىٰ المتبحر بدراسة كتابه. اهـ

والإمام الألباني وإن كان مجدد العصر في علم الحديث لكنه بشر ليس معصوما من الخطأ، وهذا القول الذي ذكره مردود من عدة وجوه:

الأول: قال الإمام مسلم في مقدمة صحيحه: **ثُمَّ إِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ مُبْتَدِئُونَ فِي تَخْرِيجِ مَا سَأَلْتَ وَتَأْلِيفِهِ عَلَىٰ شَرِيطَةٍ سَوْفَ أَذْكُرُهَا لَكَ، وَهُوَ إِنَّا نَعْمِدُ إِلَىٰ جُمْلَةِ مَا أُسْنِدَ مِنَ الْأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَقْسِمُهَا عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ، وَثَلَاثِ طَبَقَاتٍ مِنَ النَّاسِ عَلَىٰ غَيْرِ تَكْرَارٍ، إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ مَوْضِعٌ لَا يُسْتَغْنَىٰ فِيهِ عَنْ تَرْدَادِ حَدِيثٍ فِيهِ زِيَادَةُ مَعْنًىٰ أَوْ إِسْنَادٌ يَقَعُ إِلَىٰ جَنْبِ إِسْنَادٍ لِعِلَّةٍ تَكُونُ هُنَاكَ ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَىٰ الزَّائِدَ فِي الْحَدِيثِ الْمُحْتَاجَ إِلَيْهِ يَقُومُ مَقَامَ حَدِيثٍ تَامٍّ، فَلَا بُدَّ مِنْ إِعَادَةِ الْحَدِيثِ الَّذِي فِيهِ مَا وَصَفْنَا مِنَ**

**الزِّيَادَةِ، أَوْ أَنْ يُفَصَّلَ ذَلِكَ الْمَعْنَىٰ مِنْ جُمْلَةِ الْحَدِيثِ عَلَىٰ اخْتِصَارِهِ إِذَا أَمْكَنَ، وَلَكِنْ تَفْصِيلُهُ رُبَّمَا عَسُرَ مِنْ جُمْلَتِهِ، فَإِعَادَتُهُ بِهَيْئَتِهِ إِذَا ضَاقَ ذَلِكَ أَسْلَمُ، فَأَمَّا مَا وَجَدْنَا بُدًّا مِنْ إِعَادَتِهِ بِجُمْلَتِهِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنَّا إِلَيْهِ، فَلَا نَتَوَلَّىٰ فِعْلَهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ.**

فهذا شرط الإمام مسلم يتكلم فيه عن نفسه أنه لا يكرر إلا ما كان فيه زيادة معنىٰ ويقول: (**فَلَا بُدَّ مِنْ إِعَادَةِ الْحَدِيثِ الَّذِي فِيهِ مَا وَصَفْنَا مِنَ الزِّيَادَةِ، أَوْ أَنْ يُفَصَّلَ ذَلِكَ الْمَعْنَىٰ مِنْ جُمْلَةِ الْحَدِيثِ عَلَىٰ اخْتِصَارِهِ إِذَا أَمْكَنَ**) وما لم يكن كذلك فإنه لا يتولىٰ فعله.

الثاني: أنها لو كانت عند الإمام مسلم لذكرها كما ذكر رواية رمي النشاب ورجوعها مختضبة بالدم، فليست بأقل أهمية منها، فهي زيادة تمثل حديثا مستقلا، رواه ابن ماجه ورواه غيره، فليست لفظة فيها تغيير معنىٰ يسير حتىٰ يحيل إليها الإمام مسلم بقوله (نحوه) ويشير إلىٰ مثل هذه الزيادة دون أن ينبه عليها كما نبه علىٰ غيرها في نفس الحديث.

الثالث: أن هذه الزيادة فيها من المعاني ما يتصادم مع أحاديث صحيحة تقدم بيانها في رسالتنا هذه.

الرابع: أن موضع الزيادة في الحديث لا يتناسب مع الكلام النبوي الذي من مشكاة النبوة، فقد ذكرت بعد هلاك يأجوج ومأجوج وقبل نزول المطر الذي يغسل الأرض حتىٰ يتركها كالزلفة وهي المِرآة الصافية، فأين يبقىٰ هذا الحطب بعد ذلك المطر؟

الخامس: أن هذه الرواية معلة، ومسلم لا يخرج الأحاديث المعلة.

فالزيادة عند الترمذي بهذا اللفظ (فَتَطْرَحُهُمْ بِالْمَهْبِلِ ، وَيَسْتَوْقِدُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قِسِيِّهِمْ وَنُشَّابِهِمْ وَجِعَابِهِمْ سَبْعَ سِنِين، وَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمْ مَطَرًا...)

ورواية مسلم (**فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا...**)

وقد روىٰ الإمام أحمد حديث النواس بن سمعان بطوله من طريق الوليد بن مسلم مصرحا بالتحديث، ولفظه (**فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ " . قَالَ ابْنُ جَابِرٍ : فَحَدَّثَنِي عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ السَّكْسَكِيُّ ، عَنْ كَعْبٍ – أَوْ غَيْرِهِ – قَالَ : " فَتَطْرَحُهُمْ بِالْمَهْبِلِ " . قَالَ ابْنُ جَابِرٍ : فَقُلْتُ : يَا أَبَا يَزِيدَ، وَأَيْنَ الْمُهَبَّلُ ؟ قَالَ : مَطْلَعُ الشَّمْسِ. قَالَ : " وَيُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا...**)

قال الإمام المزي في تهذيب الكمال في ترجمة يزيد بن عطاء السكسكي: يروي عن كعب الأحبار، ومعاذ بن سعد السكسكي. ويروي عنه: عبدالرحمن بن يزيد بن جابر، ويزيد بن سعيد بن ذي عصوان.

ففي رواية الإمام أحمد التصريح أن زيادة (تطرحهم بالمهبل...) مدرجة في الحديث عن كعب الأحبار أو غيره.

وروىٰ نعيم بن حماد بسند حسن إلىٰ تبيع ابن أخت كعب الأحبار من قوله: (فيلبث الناس سنوات يحتطبون من سلاحهم)

فالخلاصة أن هذا الحديث ضعيف وأصله من الإسرائيليات، فلا يصح الاحتجاج به، ولو صح فليس فيه دليل علىٰ أن يأجوج ومأجوج باقون وراء الردم حتىٰ ينزل عيسىٰ.

## حجته السادسة

أما دليله السادس فحديث أبي هريرة قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: (إِنَّ يَأْجُوجَ، وَمَأْجُوجَ لَيَحْفِرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ، حَتَّىٰ إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمُ : ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا. فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ كَأَشَدِّ مَا كَانَ، حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ، وَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ إِلَىٰ النَّاسِ حَفَرُوا، حَتَّىٰ إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمُ : ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ. وَيَسْتَثْنِي، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ، فَيَحْفِرُونَهُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَىٰ النَّاسِ، فَيَنْشَفُونَ الْمِيَاهَ، وَيَتَحَصَّنُ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حُصُونِهِمْ، فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَتَرْجِعُ وَعَلَيْهَا كَهَيْئَةِ الدَّمِ، فَيَقُولُونَ : قَهَرْنَا أَهْلَ الْأَرْضِ، وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ. فَيَبْعَثُ اللهُ عَلَيْهِمْ نَغَفًا فِي أَقْفَائِهِمْ، فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا "، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ دَوَابَّ الْأَرْضِ لَتَسْمَنُ، وَتَشْكَرُ شَكَرًا مِنْ لُحُومِهِمْ وَدِمَائِهِمْ)

قال الحمادي: (**قلت: هذا حديث صحيح. وقد أعله الحافظ ابن كثير رحمه الله وفيما أعله به نظر**).

فنقول: بينك وبين هذا الحكم يا حمادي مفاوز تنقطع دونها أعناق المطي.

أنّىٰ لك أن تصحح حديثا أعله الحافظ ابن كثير ووافقه الإمام الوادعي فأورده في (أحاديث معلة ظاهرها الصحة)؟

وهذا النظر الذي رأيته واستدركتَ به علىٰ ابن كثير نظر قاصر وإليك التحقيق.

فظاهر هذا الحديث من حيث السند الصحة فرجاله رجال الصحيح،

لكنه معل لنكارة متنه، فلكأن مخرجه ومخرج حديث أبي سعيد السابق واحد لتشابه ألفاظهما.

وهذا كلام الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله في هذا الحديث، قال بعدما ساق الحديث السابق: ورواه أحمد أيضا عن حسن هو ابن موسى الأشهب عن سفيان عن قتادة به، وكذا رواه ابن ماجه عن أزهر بن مروان عن عبد الأعلى عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: حدث أبو رافع، وأخرجه الترمذي من حديث أبي عوانة عن قتادة ثم قال غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه.

وإسناده جيد قوي ولكن متنه في رفعه نكارة لأن ظاهر الآية يقتضي أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه ولا من نقبه لإحكام بنائه وصلابته وشدته، ولكن هذا قد روي عن كعب الأحبار أنهم قبل خروجهم يأتونه فيلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل فيقولون غدا نفتحه فيأتون من الغد وقد عاد كما كان فيلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل فيقولون كذلك فيصبحون وهو كما كان فيلحسونه ويقولون غدا نفتحه ويلهمون أن يقولوا إن شاء الله فيصبحون وهو كما فارقوه فيفتحونه، وهذا متجه ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب فإنه كان كثيرا ما كان يجالسه ويحدثه فحدث به أبو هريرة فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع فرفعه والله أعلم.

ويؤيد ما قلناه من أنهم لم يتمكنوا من نقبه ولا نقب شيء منه ومن نكارة هذا المرفوع قول الإمام أحمد حدثنا سفيان عن الزهري عن عروة عن زينب بنت أبي سلمة عن حبيبة بنت أم حبيبة بنت أبي سفيان عن أمها أم حبيبة عن زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم- قال سفيان أربع نسوة- قالت: استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم من نومه وهو محمر وجهه وهو يقول: "**لاَ إِلَهَ إِلاّ الله وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذَا**" وحلق

قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "**نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ**" هذا حديث صحيح اتفق البخاري ومسلم على إخراجه.اهـ

فهذه ثلاث علل ذكرها الحافظ ابن كثير رحمه الله وبسببها يضعف الحديث ولا يصح الاحتجاج به، بل ولا الاستشهاد به، قال العلامة الوادعي في رسالته الفصل في المعتدين علىٰ كتب العلل: ولا تظن أني لا أقول بالشواهد والمتابعات، ولكن حديث حكم عليه أهل العلم بأنه خطأ أو باطل فلا يستشهد به، وإن كان سنده مثل الشمس.اهـ

وقال الشيخ شعيب الأرناءوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان عند هذا الحديث معلقا علىٰ كلام ابن كثير: ومما يؤيد ما قاله ابن كثير أن الوهم من بعض الرواة ما رواه مسلم بن الحجاج في كتابه "التمييز" ص١٢٨: حدثنا عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، حدثنا مروان الدمشقي، عن الليث بن سعد، حدثني بكير بن الأشج، قال: قال لنا بسر بن سعيد: اتقوا الله وتحفظوا من الحديث، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، ويحدثنا عن كعب الأحبار ثم يقوم، فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن كعب، وحديث كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم. اهـ

وعلة هذا الحديث مثل علة حديث أبي هريرة في مسلم (**خلق الله التربة يوم السبت**... الخ قال ابن كثير هذا الحديث من غرائب "صحيح مسلم"، وقد تكلم عليه ابن المديني والبخاري، وغير واحد من الحفاظ، وجعلوه من كلام كعب، وأن أبا هريرة إنما سمعه من كلام كعب الأحبار، وإنما اشتبه على بعض الرواة، فجعله مرفوعا.

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى: فإن هذا طعن فيه من هو أعلم من مسلم مثل

يحيى بن معين ومثل البخاري وغيرهما وذكر البخاري أن هذا من كلام كعب الأحبار وطائفة اعتبرت صحته مثل أبي بكر ابن الأنباري وأبي الفرج ابن الجوزي وغيرهما والبيهقي وغيره وافقوا الذين ضعفوه وهذا هو الصواب؛ لأنه قد ثبت بالتواتر أن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وثبت أن آخر الخلق كان يوم الجمعة فيلزم أن يكون أول الخلق يوم الأحد وهكذا هو عند أهل الكتاب وعلى ذلك تدل أسماء الأيام وهذا هو المنقول الثابت في أحاديث وآثار أخر، ولو كان أول الخلق يوم السبت وآخره يوم الجمعة لكان قد خلق في الأيام السبعة وهو خلاف ما أخبر به القرآن مع أن حذاق أهل الحديث يثبتون علة هذا الحديث من غير هذه الجهة وأن رواية فلان غلط فيه لأمور يذكرونها وهذا الذي يسمى معرفة علل الحديث بكون الحديث إسناده في الظاهر جيدا ولكن عرف من طريق آخر: أن راويه غلط فرفعه وهو موقوف أو أسنده وهو مرسل أو دخل عليه حديث في حديث وهذا فن شريف وكان يحيى بن سعيد الأنصاري ثم صاحبه علي بن المديني ثم البخاري من أعلم الناس به وكذلك الإمام أحمد وأبو حاتم وكذلك النسائي والدارقطني وغيرهم. وفيه مصنفات معروفة. اهـ

فالخلاصة في هذا الحديث علىٰ ما ذكر ابن كثير أن فيه ثلاث علل، العلة الأولىٰ مخالفته لظاهر النص القراني.

والعلة الثانية مخالفته لما جاء في الصحيحين من حديث زينب.

والعلة الثالثة أن مثله قد روي عن كعب الأحبار، وكعب ممن يروي الإسرائيليات.

والحديث صححه العلامة الألباني ولم يقبل إعلال ابن كثير له بل دافع عنه بكلام قال ابن كثير فيه مثله فقال: أورد الحافظ ابن كثير هذا الحديث من رواية الإمام أحمد رحمه الله تحت تفسير آيات قصة ذي القرنين وبنائه السد وقوله تعالى في يأجوج

ومأجوج فيه: ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ٩٧﴾ [الكهف: ٩٧] ثم قال عقبه: وإسناده جيد قوي ولكن متنه في رفعه نكارة لأن ظاهر الآية يقتضي أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه ولا من نقبه، لإحكام بنائه وصلابته وشدته.

قلت: نعم، ولكن الآية لا تدل من قريب ولا من بعيد أنهم لن يستطيعوا ذلك أبدا، فالآية تتحدث عن الماضي، والحديث عن المستقبل الآتي، فلا تنافي ولا نكارة بل الحديث يتمشى تماما مع القرآن.اهـ

وذكر الألباني له شاهدا من حديث أبي سعيد وقد تقدم الكلام عليه وأنه ضعيف فلا يصلح للشواهد، ونبهنا علىٰ ما فيه من العلل وبعضها في هذا الحديث لأن الألفاظ متقاربة وكأن مخرج الحديث واحد والله أعلم!

فحديث أبي سعيد يشهد لحديث أبي هريرة هذا بالضعف وقرب المخرج.

ودفاع الألباني إنما هو عن علة واحدة من العلل التي ذكرها ابن كثير، وبقيت علتان لم يتعرض لهما منهما مخالفته لحديث زينب الذي لا يستطيعون الخروج منه إلا بوضع كف الحيرة، فما عساك يا حمادي ستقول في حديث زينب في الصحيحين وكيف ستجمع بينه وبين هذا الحديث؟

ونزيد بيانا وتوضيحا لبعض العلل في الحديث من حيث نكارة المتن فنقول:

في هذا الحديث (فَيَنْشَفُونَ الْمِيَاهَ) وهذا يخالف حديث النواس في مسلم حيث ذكر أنهم يشربون بحيرة طبرية، وليس مياه الأرض.

فشربهم لمياه الأرض من المرويات الضعيفة والباطلة التي وردت فيهم.

وفي هذا الحديث (وَيَتَحَصَّنُ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حُصُونِهِمْ) وهذا يخالف تماما حديث النواس أنهم يكونون في الطور بوحي الله لعيسىٰ وليس في الحصون!

ويخالف أيضا حديث النواس في قول يأجوج ومأجوج: "**قَتَلْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**" فهذا دليل علىٰ قتلهم لكثير من الناس ولو لم يثبت تفصيل شيء من ذلك، فمن عساهم يقتلون إذا تحصن الناس منهم في الحصون والمدن؟

وبقية ما ذكرنا فيما تقدم من حديث أبي سعيد وتكرر هنا أيضا له حكمه.

فما هو النظر الذي استدركته علىٰ الحافظ ابن كثير؟

جرد قلمك يا حمادي ودافع عن هذا الحديث المنكر من هذه العلل.

فبعد هذا البيان يبقىٰ الحديث علىٰ ضعفه والله أعلم.

وما علق به الحمادي عليه نقول له فيه كما قلنا سابقا: نعم لو صح الحديث ولكنه ضعيف.

وبهذا نكون قد أتينا علىٰ ما توهمه الحمادي وغيره من الأدلة الشرعية وبينا أنه لا يستقيم له منها شيء، فبطل بذلك كل ما ادعاه وقلد فيه الشنقيطي من ضميمة السنة، ولم يبق معه إلا سوق ما زعمه من الأدلة العقلية المتوهمة كما سيأتي.

❊❊❊

## حجته السابعة

وأما دليله السابع فهو حديث حذيفة بن أسيد عند مسلم في ذكر علامات الساعة الكبرىٰ المتتابعة، (الدخان والدجال والدابة...الخ) ونحن نوافقه عليه ولا نخالفه فيه كما تقدم.

وأما قوله عقب الحديث: (**فمن زعم أن يأجوج ومأجوج هم دول الكفر وقد خرجوا من السد قبل قرون لزمه أن تكون جميع الآيات الكبرىٰ قد وجدت قبل قرون وهذا من أبطل الباطل**).

فالرد عليه هنا أن نقول: إن هذا الموطن أول دليل عقلي يسوقه في خلال رده هذا تقليدا للتويجري رحمه الله، وهكذا الدليل الثامن والتاسع مما ذكره الحمادي أدلة عقلية وليست نقلية.

وبما أنه قلد فيها التويجري فسيأتي الكلام عليها أيضا إن شاء الله ضمن الرد علىٰ التويجري.

والقران والسنة لا تخالف صحيح العقل، وبما أن الحمادي وقبله التويجري سلكوا بزعمهم مسلك الاحتجاج بالأدلة السمعية والعقلية فإنا سنسلك معهم مسلكا علميا نرد به علىٰ ما توهموه أدلةً سمعية أو عقلية إن شاء الله تعالىٰ، وتقدم الكلام علىٰ سمعيات الحمادي وبقيت عقلياتهما وسمعيات التويجري.

فهذا الإلزام الأول الذي ألزمَنا به الحمادي غير لازم لأننا نعتقد أن خروج يأجوج ومأجوج علىٰ عيسىٰ سيكون آخر الزمان وليس قبل قرون حتىٰ يلزمَنا بتتابع علامات الساعة الكبرىٰ وقتئذ! وهذا الإيراد من الحمادي بسبب خلطه بين فتح السد وعودة

يأجوج ومأجوج لما كانوا عليه قبل الردم، وبين خروجهم آخر الزمان علىٰ عيسىٰ، وهما قضيتان منفصلتان لا يلزم من إحداهما وجود الأخرىٰ لا شرعا ولا عقلا!.

وقد تقدم معنا نقاش الحمادي وبيان ما استدل به وأنه لم يسلم له فيه شيء، فماذا بقي معك من صريح الأدلة لتحتج به يا حمادي؟

***

## حجته الثامنة

وأما دليله العقلي الثاني فهو قوله: **(الدليل الثامن أن يقال لو كان السد قد فتح منذ قرون كثيرة لانتشر بذلك الخبر، ولدونه علماء التاريخ في كتبهم فإن هذا من الحوادث العظام التي تستدعي الهمم إلىٰ تدوينه وقد سطر علماء التاريخ في كتبهم حوادث كثيرة ليس لها كبير شأن فكيف يغفلون عن مثل هذا الحادث الكبير والخطب الجلل فهذا مما لا يكون قطعا، فعلم أن هذا القول باطل لا أساس له من الصحة)**.

فأقول: يا حمادي اعلم أنه لولا إخبار الله تعالىٰ عن سد يأجوج ومأجوج في القران لما عرف المسلمون وجوده وبناءه وحجز أمة عظيمة وراءه فضلا عن هدمه.

ثانيا: يتحدث الحمادي عن يأجوج ومأجوج وكأنهم في الحجاز أو اليمن فيريد من المؤرخين أن يلاحظوا اندكاك السد وبينهم وبين شرق الأرض المهالك والمفاوز التي لم يبلغها أحد في تلك الأزمان إلا ذو القرنين بما مكن الله تعالىٰ له، فبأي وسيلة يريد من المؤرخين أن يدونوا له خبر اندكاك السد؟

ثالثا: هات لنا يا حمادي من الحوادث العادية التي حصلت أقاصي الأرض من شرق الصين وما جاورها في غابر الأزمان حتىٰ تكون دليلا لاطلاع العرب علىٰ أخبار شرق الأرض؟

رابعا: هذا السد مساحته قصيرة فلو أنه حين انهدامه يزلزل تلك الأرض ويدوي صوته في الأرجاء لما شعر العرب ولا من جاورهم بشيء من ذلك، فكيف وهو حديد مذاب بالنحاس يسقط كما تسقط الجدر ويحفر فيه كما يحفر فيها؟

خامسا: هل يتوقع الحمادي أن ينزل وحي علىٰ المسلمين حين يندك سد يأجوج ومأجوج يخبَرون فيه أن السد قد اندك؟

سادسا: هل سيخرج يأجوج ومأجوج من وراء السد بآذان يلتحفون بواحدة ويفترشون الثانية، ويخرجون بأجساد بعضها كالنخلة السحوق وبعضها لا يتجاوز الشبر، ويخرجون بأنياب كأنياب الفيلة، حتىٰ يعرف الناس خروجهم ويدونونه في كتب التاريخ؟ أم أن خروجهم سيكوم كخروج أي جيش قوي همته القتال والسطو والفساد؟

فالمطلوب من الحمادي أن يخبرنا أولا كيف يستطيع المؤرخون معرفة اندكاك السد؟ ونحن سنجيبه حينها لماذا لم يدونوه وقد دونوا حوادث أقل من ذلك؟

فإن قال إن يأجوج ومأجوج سيُعرفون بآثارهم حين خروجهم كما قال الحمادي هنا: (**فكيف يغفلون عن مثل هذا الحادث الكبير والخطب الجلل**) فنقول له وهل رأىٰ المسلمون أثرا لأهل المشرق أعظم من أثر التتر؟ فهل غفل المسلمون عن حادثة التتر الكبيرة وخطبها الجلل، أو أن حادثة التتر صغيرة وخطبها عند الحمادي هين؟ وهل بلغه أن التتر هم المغول وأن المؤرخين ينسبون يأجوج ومأجوج للمغول بل قال ابن كثير فيهم إنهم مُغل المغول! فهل ينتظر وحيا نصيا من السماء ينص علىٰ أنهم هم؟ وهل تيقن الحمادي من أين جاء التتر وعرف أنسابهم إلىٰ آدم وأنه تبين له بالخبرة والدراسة أنهم ليسوا من يأجوج ومأجوج فليفدنا إن كان كذلك؟

﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾﴾ [النَّجم : ٢٨]

هذا نقاش عقلي لما توهمه دليلا عقليا، وإليك ردا علميا من كلام الإمام السعدي في رسالته في هذا الباب. قال رحمه الله: وقد يتوهم بعض الناس أنه لا بد عند خروجهم أن يشاهد الناس الردم منهدمًا، فإذا لم يشاهدوه، فهم إلىٰ الآن خلفه، وهذا غلطٌ واضح من وجوه: منها: أن النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم أخبر أن ابتداء انفتاحه قد ابتدأ في زمانه، وفحوىٰ ذلك الحديث يدل علىٰ أنه في ازدياد من وقتٍ إلىٰ آخر، حتىٰ وصلوا إلىٰ هذه الحالة المشاهدة. ومنها: أنه لا يلزم من انفتاح الردم المعين في السد أن يراه كل أحد حال انفتاحه، فقد يراه من يجاوره، ويخفىٰ علىٰ غيرهم، وقد يصل النقل إلىٰ الناس، وقد لا يصل. ومنها: أن المقصود من خروجهم قد حصل، فليس في رؤية نفس الردم الذي بناه ذو القرنين كبير آية، بل الآية المقصودة خروجهم، فإذا رآهم الناس قد خرجوا علىٰ الناس من كل حدبٍ وصوب، ومكانٍ مرتفع ومنخفض، عرفوا أن السد قد اندك. ومنها: أن الله أخبر أنه لما بنىٰ ذو القرنين الردم، أنهم لم يستطيعوا أن يظهروه، أي: يعلوا عليه، ولا علىٰ السدود الطبيعية، وما استطاعوا له نقبًا، ومعلوم أن عدم قدرتهم علىٰ واحدٍ من الأمرين في ذلك الوقت، لعدم الأسباب التي توصلهم إلىٰ ظهوره أو نقبه. ومنها: أن السد عبارة عن سلاسل الجبال التي عن يمين تلك الثنية، وذلك الريع ويساره. والردم منه عبارة عن تلك الثنية التي سدها ذو القرنين، فالآن قد شاهد الناس خروجهم من وراء هذه الجبال والبحار، ألا ترىٰ سلاسل جبال آسيا وأروبا وغيرها قد خرجوا من ورائها، والبحر الأسود والأبيض، والبحار المحيطات من كل جانب قد عبروها، ونفذوا من ورائها، بعد ما كانوا منحازين في ديارهم، غير متمكنين من الخروج؟ اهـ

## حجته التاسعة

وأما دليله العقلي الثالث فقد قال:(**الدليل التاسع أن يقال إن الكفار في الصين والهند وروسيا وغير ذلك ما زالوا موجودين في الأرض منذ قرون كثيرة قبل مبعث النبي صلىٰ الله عليه وسلم وهم في أماكن متفرقة من الأرض وليسوا في موضع واحد بحيث يمنعهم من الخروج إلىٰ الناس سد واحد**)

فنقول للحمادي هل عندك برهان يثبت أن الموجودين الان في ما ذكرت من البلاد هم يقينا نسل أولئك الذين عاشوا في تلك البلاد قبل البعثة وأنه قطعا لم تحصل إغارة من أحد علىٰ أحد ولا إبادة من دولة لدولة؟

فإن أثبتّ ذلك سلمنا لك، وإن قلت الله أعلم، فلماذا هذا الإيراد وأنت لا تعلم أصول هؤلاء الموجودين إلىٰ أين ترجع؟

وقد عُلم في التاريخ جشع التتر وإغارتهم علىٰ بلاد من حولهم من الأمم وإهلاكهم لهم وتسلطهم علىٰ بلدانهم مثل الصين وروسيا والهند وغير ذلك بل وصلوا لبلاد العرب وفعلوا فيها الأفاعيل مما هو مسطر في كتب التاريخ، وقد كان ظهورهم مفاجئا للعالم كله ذاك الزمن، فلم يكونوا أصحاب دولة أو حضارة معروفة سابقا كالصين وغيرهم!

وهذا الدليل العقلي قلد فيه الحماديُّ التويجريَّ.

❊❊❊

## حجته العاشرة

وأما الدليل العاشر للحمادي فهو ادعاؤه الإجماع في هذه المسألة، وهذا الإجماع موهوم ادعاه بنفسه لا نعلم من سبقه إليه.

فإن كان يقصد إجماع الصحابة فلينقله، ونحن نعلم أنه لن يستطيع، لأنه لم يثبت عنهم شيء بالنسبة للسد زمن عيسىٰ.

وإن كان يقصد إجماع المفسرين المتقدمين، فلم يصح كذلك عنهم إجماع، وإن كان كما يقول فمن هو الذي نقل إجماعهم وأين وجده؟ لكن قد ذكر بعض المفسرين هذا الفهم معتمدين علىٰ إسرائيليات أو أفهام قالها بعضهم باجتهاده، وليس مع أحد منهم نص صحيح صريح مرفوع ولا حتىٰ موقوف، فأنىٰ لهم معرفة ما هو حاصل بعد موتهم بقرون؟ فاندكاك الردم كان في أواخر الخلافة العباسية!

وإن كان يقصد إجماع المفسرين المتأخرين فإن كثيرا منهم قد نقلوا كلام من سبقهم حذو القذة بالقذة في قضايا كثيرة لم يثبت فيها شيء، لا من دلالات القران ولا من صحيح السنة، وعمدتهم فيها أحاديث ضعيفة أو إسرائيليات ونحو ذلك مما لا يُعتمد عليه في التفسير،كما أشار شيخ الإسلام في مقدمة أصول التفسير أن كتب التفسير مشحونة بالغث والسمين، وهذه المسألة واحدة من تلك القضايا التي لو أفردها بعضهم بالتأليف لجاءت في جزء لا بأس به، ولو شئتُ أن أفعل ذلك لفعلتُ بفضل الله تعالىٰ ومشيئته.

وإن كان يقصد علماء العصر فهذا الإجماع المزعوم باطل، وقد خالف السعدي وغيره وخرقوه لو كان إجماعا صحيحا.

فكيف يكون القول بعدم دك السد إجماعا وقد فُرض بقوة السلطان؟ بل كيف يكون إجماعا ولم يقل به كل علماء العصر؟ فكثير منهم سكت، وإذا كان لازم القول ليس بقول فكيف يُنسب لساكت قول؟

والإجماع الصحيح الذي نتفق عليه في المسألة هو خروج يأجوج ومأجوج من شرق الأرض آخر الزمان لقتال عيسىٰ، وهذا ليس الحجة فيه الإجماع بل النصوص الشرعية، وليس هذا محل خلافنا هنا.

وبهذا نكون شبه انتهينا من الرد علىٰ الحمادي في رسالته هذه فإنه بعد هذا الموضع ساق كلام التويجري رحمه الله بطوله في أكثر من ستين صفحة وساق بعدها عدة صفحات ينقل فيها آراء من خالف في هذه المسألة وهم قلة، فالخلاصة في رسالته هذه أنه ملأها بالنقولات عن رجلين من أهل العلم ممن زل في هذه المسألة.

ونفس الحمادي هنا طويل في النقل، وكان بإمكانه أن يلخص كلام التويجري والشنقيطي، ويختصر منه موضع النقاش القوي في نظره، لكنه نقل الكلام برمته بل كرر كلام الشنقيطي مرتين! فنخشىٰ أن يكون الحامل له التشبع والتكثر وتكبير كتابه الذي زعم به الرد علينا.

لأن الحمادي في رسالته هذه لم يكتب من طرحه الخاص بتعبيره إلا القليل جدا كما سبق، بينما جمع بعض الكتابات لأهل العلم ونشرها باسمه.

فنقول للحمادي أين كلامه واجتهاده؟ وأين ترجيحه واستنباطه؟ وأين زنده الذي قدحه؟

فالزند لغيره والقدح لغيره، وما هو في هذه القضية إلا ناسخ ولاصق، ولو أنه اختار عنوانا رفيقا وأسلوبا رقيقا لكان لاقىٰ منا الرفق في الرد، وللاحظ الفرق في الطرح، ولكنه قدح زنده فعرفناه حقيقة ما عنده، لأن قدح الزند سيصل لصدر العلامة السعدي رحمه الله ونحن لعلمائنا الفداء.

ونحن أغلظنا القول في الحمادي في هذا الرد حتىٰ لا يتجرأ هو أو غيره علىٰ الخوض في المسائل بغير علم إلا لمجرد التقليد خصوصا في مناطحة علماء الإسلام الكبار كالسعدي رحمه الله.

❊❊❊

## فصله الثاني رسالة التويجري رحمه الله

وننتقل إن شاء الله في رسالتنا هذه للرد علىٰ العلامة التويجري رحمه الله وقبل البدء ننبه أنه بالغ في الرد علىٰ السعدي والنقد عليه بحجج عقلية واهية، وحجج سمعية إما ضعيفة وإما غير صريحة كالذي ذكر الحمادي، فالحمادي قلّد التويجري، وعند المحاققة تجد ردودهم علىٰ السعدي ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النُّور : ٣٩].

فأبدأ مستعينا بالله فأقول: التويجري رحمه الله رد في أول رسالته علىٰ طائفتين: الطائفة الأولىٰ الذين أنكروا السد من أصله، والطائفة الثانية الذين لم ينكروه ولكنهم قالوا باندكاكه من زمن قديم، وقد أشار في مقدمة رده بتكفير الطائفتين وذكر وجه التكفير والأدلة علىٰ ما ذهب إليه محتجا بكلام للشيخ محمد الكافي، ثم في أثناء رسالته خفف الحكم بالتكفير علىٰ الطائفة الثانية.

وسننقل من كلام التويجري حججه في فقرات ونرد عليها فقرة فقرة إن شاء الله تعالىٰ.

***

## الفقرة الأولى

قال التويجري (**ووجه القول بتكفير من قال به أنه يلزم عليه تكذيب ما أخبر الله به في كتابه عن السد، وأنه قد حال بين يأجوج ومأجوج وبين الخروج علىٰ الناس، وأن يأجوج ومأجوج ما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا، وأنه إذا جاء وعد الرب تبارك وتعالىٰ أي في آخر الزمان إذا دنا قيام الساعة جعله دكاء فخرجوا علىٰ الناس، وذلك بعدما ينزل عيسىٰ ابن مريم عليه الصلاة والسلام**).

زعم التويجري أن القول باندكاك السد يلزم منه التكذيب لما أخبر الله به في كتابه عن السد ثم ساق التويجري ما أخبر الله عنه في كتابه فقال (**وأنه قد حال بين يأجوج ومأجوج وبين الخروج علىٰ الناس**) قلتُ هذه نعم.

وقال (**وأن يأجوج ومأجوج ما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا**) قلتُ وهذه نعم.

وقال (**وأنه إذا جاء وعد الرب تبارك وتعالىٰ أي في آخر الزمان إذا دنا قيام الساعة جعله دكاء فخرجوا علىٰ الناس**) قلتُ وهذه نعم.

وقال (**وذلك بعدما ينزل عيسىٰ ابن مريم عليه الصلاة والسلام**) قلتُ من أين للتويجري هذا في القران؟ فإما أن يكون قد كذب علىٰ الله، إذ ليس في القران ذكر هذا، وحاشاه أن يتعمد الكذب علىٰ الله، وإما أن يدعي أنه بضميمة السنة النبوية عرف ذلك كما زعم الشنقيطي، لكنه لم يذكر السنة حين حكم بالتكفير وأطلق المخالفة لصريح القران.

فكلام ليس في القران ولا في صريح السنة وإنما جاء به التويجري من كيسه، أو من كيس الكافي وفهمه لبعض أحاديث السنة النبوية، كيف يقوم التويجري بإلزام من خالفه فيه التكذيبَ بالقران ثم يطلق الحكم بتكفيره!

فهذه طريقة الخوارج حيث يفهمون النصوص ثم يبنون الأحكام علىٰ فهمهم وليس لظاهر النصوص الشرعية، ولا نقول بأن التويجري والكافي ومقلدهم الحمادي من الخوارج لكنهم سلكوا في هذه المسألة في التكفير مسلكهم.

فلعمر الله هذه من الفواقر ومن الظلم الشديد.

والعبارات الأولىٰ التي ذكرها لا يخالفه فيها السعدي ولا من نشر مذهبه، فيأجوج ومأجوج لم يستطيعوا ذاك الزمن الظهور علىٰ السد ولا نقبه، والسد حال بين يأجوج ومأجوج زمن ذي القرنين وما بعده من القرون حتىٰ بعثة نبينا عليه الصلاة والسلام التي هي من علامات الساعة واقترابها، ففتح منه قدر تحليق الإبهام والسبابة، ولا زالوا بعد البعثة ينقبون حتىٰ تم لهم فتحه بعد قرون من زمن النبوة، وهذا قرب شديد من يوم القيامة أقرب من البعثة النبوية.

وتلخص من هذا أن اطلاق التكفير في هذه المسألة ليس من الإنصاف، وصورة الخلاف هي اندكاك السد لا الخروج زمن عيسىٰ، فالخروج زمن عيسىٰ متفق عليه ولا عذر في تكفير من أنكره لمخالفته لظواهر النصوص، وإنما الخلاف في السد هل اندك أو لا؟ وهي مسألة فقهية لا ينبغي إقامة الولاء والبراء عليها فضلا عن تكفير من قال بأحد القولين فيها.

❊❊❊

## الفقرة الثانية

ثم قال التويجري: (**وقد جاء ذلك صريحا في عدة أحاديث صحيحة**) ثم ساقها

الحديث الأول حديث النواس بن سمعان في مسلم وذكر موضع الشاهد منه "**فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ أَوْحَىٰ اللهُ إِلَىٰ عِيسَىٰ : إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَىٰ الطُّورِ. وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ،** ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأَنبِيَاء : ٩٦]"

زعم التويجري أنه صريح في أن السد سيندك زمن عيسىٰ، فأين ما يدل علىٰ ذلك في الحديث؟ لا يوجد ذكر للسد لا من قريب ولا من بعيد، والمذكور في الحديث هو الخروج، وهذا متفق عليه لا إشكال فيه.

الحديث الثاني حديث حذيفة عند الحاكم وغيره (**فَبَينَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَخْرَجَ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ**).

فأين التصريح بذكر السد هنا؟

المذكور هو الخروج لا غير، والخروج لا خلاف فيه عند أهل السنة.

الحديث الثالث حديث ابن مسعود عند أحمد وابن ماجه وغيرهم (لَقِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي إِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَىٰ، وَعِيسَىٰ "، قَالَ : " فَتَذَاكَرُوا أَمْرَ السَّاعَةِ، فَرَدُّوا أَمْرَهُمْ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ : لَا عِلْمَ لِي بِهَا. فَرَدُّوا الْأَمْرَ إِلَىٰ مُوسَىٰ، فَقَالَ : لَا عِلْمَ لِي بِهَا. فَرَدُّوا الْأَمْرَ إِلَىٰ عِيسَىٰ، فَقَالَ : أَمَّا وَجْبَتُهَا فَلَا يَعْلَمُهَا أَحَدٌ إِلَّا اللهُ ذَلِكَ وَفِيمَا عَهِدَ إِلَيَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ الدَّجَّالَ خَارِجٌ "، قَالَ : " وَمَعِي قَضِيبَيْنِ، فَإِذَا رَآنِي ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الرَّصَاصُ "، قَالَ : " فَيُهْلِكُهُ اللهُ حَتَّىٰ إِنَّ الْحَجَرَ وَالشَّجَرَ لَيَقُولُ : يَا مُسْلِمُ، إِنَّ تَحْتِي كَافِرًا فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ "، قَالَ : " فَيُهْلِكُهُمُ اللهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَىٰ بِلَادِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ "،

قَالَ : " فَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُ يَأْجُوجُ، وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَطَئُونَ بِلَادَهُمْ لَا يَأْتُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ إِلَّا أَهْلَكُوهُ، وَلَا يَمُرُّونَ عَلَىٰ مَاءٍ إِلَّا شَرِبُوهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَيَّ فَيَشْكُونَهُمْ، فَأَدْعُو اللهَ عَلَيْهِمْ، فَيُهْلِكُهُمُ اللهُ، وَيُمِيتُهُمْ حَتَّىٰ تَجْوَىٰ الْأَرْضُ مِنْ نَتْنِ رِيحِهِمْ "، قَالَ : " فَيُنْزِلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَطَرَ، فَتَجْرُفُ أَجْسَادَهُمْ حَتَّىٰ يَقْذِفَهُمْ فِي الْبَحْرِ ". - قَالَ أَبِي : ذَهَبَ عَلَيَّ هَاهُنَا شَيْءٌ لَمْ أَفْهَمْهُ، كَأَدِيمٍ. وَقَالَ يَزِيدُ - يَعْنِي ابْنَ هَارُونَ - : " ثُمَّ تُنْسَفُ الْجِبَالُ، وَتُمَدُّ الْأَرْضُ مَدَّ الْأَدِيمِ ". ثُمَّ رَجَعَ إِلَىٰ حَدِيثِ هُشَيْمٍ - قَالَ : " فَفِيمَا عَهِدَ إِلَيَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَإِنَّ السَّاعَةَ كَالْحَامِلِ الْمُتِمِّ الَّتِي لَا يَدْرِي أَهْلُهَا مَتَىٰ تَفْجَؤُهُمْ بِوِلَادِهَا لَيْلًا، أَوْ نَهَارًا؟)

وهذا الحديث ضعيف في سنده مؤثر بن عفازة، وأيضا في متنه نكارة حيث ذكر شرب مياه الأرض، وهذ يخالف ما في مسلم من شرب بحيرة طبرية، وأيضا فيه ذكر اجتراف المطر لأجسادهم حتىٰ يقذفهم في البحر، وهذا يخالف ما في مسلم عن النواس أن الله يرسل طيرا تأخذ أجسادهم حيث شاء الله.

ولو صح هذا الحديث فليس فيه ذكر السد ولكنه ذكَر الخروج الذي هو موضع اتفاق، ولا يلزم من اندكاك السد نزول عيسىٰ، فإن السد حين اندك عاد بعده يأجوج ومأجوج لما كانوا عليه قبل ردم ذي القرنين، سواء بسواء، فإنهم قبل بناء السد لم يشربوا المياه ولم يهلكوا كل شيء كما يتصور البعض أن ذلك لابد أن يقع بمجرد دك السد.

فعلم مما تقدم أن أدلة التويجري التي ذكرها وزعم أنها صحيحة صريحة ما بين صحيح غير صريح، أو ضعيف غير صحيح.

وهناك أدلة صريحة لم يذكرها في هذا الموضع لكنها ضعيفة تقدمت في حجج الحمادي.

***

## الفقرة الثالثة

قال التويجري: **(وفي هاتين الآيتين مع الأحاديث التي تقدم ذكرها أبلغ رد علىٰ من زعم أن يأجوج ومأجوج هم دول الكفر في آسيا وأوربا وأمريكا وغيرها من بلاد المشركين)**

أقول هذا الاستدلال بالآيتين بعيد كما تقدم، فأين بلاغة الرد علىٰ قول السعدي؟

ففتح يأجوج ومأجوج علامة علىٰ اقتراب الوعد الحق وهو يوم القيامة فأين ذكر السد زمن عيسىٰ؟

بعثة محمد عليه الصلاة والسلام علامة علىٰ اقتراب يوم القيامة فهل سيبعث نبينا محمد عليه الصلاة والسلام مع عيسىٰ قبل الساعة؟

ونحن نوجه سؤالا للمقلدين للتويجري ونطالبهم بالإجابة بإلحاح لماذا لم يُذكر فتح السد زمن عيسىٰ في الصحيحين أو غيرها مما صح في السنة النبوية مع كثرة الأحاديث الواردة في هذا الباب؟

فمن عنده دليل أو جواب فليأت به.

❊❊❊

## الفقرة الرابعة

قال التويجري: (**لأن هؤلاء الكفرة لم يزالوا مختلطين بالناس ولم يكن بينهم وبين الناس سد من حديد يحول بينهم وبين الخروج على الناس**)

أقول هذه حجة عقلية في نظر التويجري لكنها لا تستقيم له إلا إذا كان عنده علم بتاريخ هذه الدول وإلىٰ أين ترجع أصولهم حتىٰ زمن النبوة؟ وأنه لم تحصل إغارة من بلد علىٰ بلد ولا إهلاك أمة لأمة، فإذا تحصل للتويجري هذا استقام له هذا الإلزام، ومالم فكلامه ما هو إلا رجم بالغيب.

والقارئ للتاريخ يجد أن سنة الأمم من القرون السابقة البغي من بعضهم علىٰ بعض وإهلاك بعضهم لبعض، فكيف يستبعد أن يقوم نسل يأجوج ومأجوج بالإغارة علىٰ بعض الدول وإهلاك أهلها والسيطرة عليها كما حصل من التتر قبل قرون عديدة؟ حتىٰ يقول القائل إن هذه الدول لا زالت باقية وليس عليها سد وكأن يأجوج ومأجوج عنده عبارة عن أودية وشعاب وجبال لا تتزحزح عن أماكنها!

ثم ذكر التويجري حديث حذيفة ابن أسيد وواثلة بن الأسقع في أشراط الساعة الكبرىٰ، وهو يصفهم آخر الزمان بالخروج أما لفظة الفتح فهي شاذة كما تقدم شذ بها المسعودي.

***

## الفقرة الخامسة

قال التويجري: (وقد قال الشيخ محمد بن يوسف الكافي التونسي في كتابه "المسائل الكافية في بيان وجوب صدق خبر رب البرية" ما نصه "المسألة الثانية والثلاثون": "يأجوج ومأجوج هم أناس بالغون في الكثرة عددا لا يعلمه إلا الله –تعالى–، ولا يستطيع أحد مقاومتهم عند خروجهم من السد لكثرتهم، وهم مفسدون في الأرض كما أخبر الله –تعالى– عنهم، وهم الآن محازون عن غيرهم بالسد الذي بناه ذو القرنين، وخروجهم علامة على قيام الساعة، فمن قال واعتقد أن يأجوج ومأجوج هم أوربا يكفر لتكذيبه الله –تعالى– في خبره: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧﴾ [الأنبياء : ٩٦ - ٩٧]

قال حبر هذه الأمة عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما– في تفسير قوله –تعالى–: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ﴾: "فحينئذ يخرجون ﴿وَهُم﴾ يعني يأجوج ومأجوج، ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٖ﴾ من كل أكمة ومكان مرتفع، ﴿يَنسِلُونَ﴾ يخرجون، ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ دنا قيام الساعة عند خروجهم من السد)

فنقول أما قول محمد الكافي (وهم مفسدون في الأرض كما أخبر الله –تعالى– عنهم) فنعم هم مفسدون وفسادهم ليس الفساد الذي لا يبقي ولا يذر ولكنه فساد محدود شكا منه جيرانهم لذي القرنين، ولو كان فسادا عارما كما يتصور الكافي والتويجري ومقلدوهم لما بقي هناك أحد يشكو لذي القرنين فساد يأجوج ومأجوج ولتمت إبادتهم.

وقول الكافي (**وهم الآن محازون عن غيرهم بالسد الذي بناه ذو القرنين، وخروجهم علامة على قيام الساعة**)

هذا ليس عليه دليل لا من القران ولا من السنة، ليس معهم فيه إلا أفهامهم التي أولوا بها ظواهر النصوص الشرعية وخلطوا فيها بين الخروج زمن عيسىٰ والفتح للسد.

وقول الكافي (**فمن قال واعتقد أن يأجوج ومأجوج هم أوربا يكفر لتكذيبه الله –تعالى– في خبره:** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧﴾ [الأنبياء: ٩٦ - ٩٧]

لنا علىٰ كلامه هذا وقفات الأولىٰ أن يأجوج ومأجوج ليسوا أهل أوربا لأن أهل أوربا هم الروم الذين يجتمعون لقتال المهدي ثم ينزل عيسىٰ ويكسر صليبهم ويقتل خنازيرهم ولا يقبل منهم إلا الإسلام، وتقوم الساعة وهم أكثر الناس فلا يهلكون قطعا بهلاك يأجوج ومأجوج.

الوقفة الثانية مسألة التكفير تقدمت وهي مبنية هنا علىٰ فهم فهمه هو لا علىٰ نص ظاهر، فالآية تذكر أن فتح يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون من علامات الساعة، هذا ظاهرها الذي لا يجوز الميل عنه إلا بدليل صحيح صريح، وهذا الظاهر عليه العلامة السعدي ومن نشر مذهبه ممن يقول بقوله أن فتح يأجوج ومأجوج ونسلانهم من علامات الساعة.

والكافي فهم من الآية أن فتح السد لن يكون إلا زمن عيسىٰ.

فشتان بين ظاهر الآية وبين فهم الكافي، ثم ذهب الكافي ليبني التكفير علىٰ الفهم الذي فهمه هو وانتهىٰ إليه اجتهاده لا علىٰ ما دل عليه ظاهر الآية مقتصرا عليه.

فالتكفير هنا يعتبر من التجاوز، وما تقدم من كلام التويجري الظاهر أنه قلد فيه الكافي حذو القذة بالقذة.

الوقفة الثالثة من قال بأن يأجوج ومأجوج هم أهل أوربا فإنه لا يكفر علىٰ الإطلاق لكن قوله خطأ ثم ينظر في حاله فإن تعمد مخالفة النصوص الشرعية فيخشىٰ عليه الكفر، وإن كان متأولا تأولا سائغا فيعذر لخطئه ويؤجر علىٰ اجتهاده، وإن كان تأويله غير سائغ فهو مخطئ وأمره لله.

هذا الذي عرفنا عليه علماءنا سلفا وخلفا في مسألة التكفير.

أما تفسير ابن عباس للآية فهو علىٰ الرأس والعين لم يحد عنه السعدي ولا من نشر مذهبه قيد أنملة، أنه دنا قيام الساعة عند خروج يأجوج ومأجوج من السد، بل قد دنا قيام الساعة ببعثة محمد عليه الصلاة والسلام قبل خروج يأجوج ومأجوج.

فهل قال ابن عباس إن دك السد سيكون زمن عيسىٰ؟

هاتوا لنا أثارة من علم ونحن ننقاد بشعرة.

❊❊❊

## الفقرة السادسة

قال التويجري: (**ومن أغرب أقوال العصريين ما زعمه طنطاوي جوهري في تفسيره أن يأجوج ومأجوج هم التتار، الذين خرجوا على المسلمين في أثناء القرن السابع من الهجرة وما بعده، ولو كان الأمر على ما زعمه هذا المتخرص المتأول لكتاب الله –تعالى– على غير تأويله، لكان الدجال قد خرج في أول القرن السابع من الهجرة قبل خروج التتار على المسلمين، ولكان عيسى ابن مريم –عليه الصلاة والسلام– قد نزل من السماء وقتل الدجال قبل خروج التتار، ولكان سد ذي القرنين قد دك في ذلك الزمان، ولكان أوائل التتار قد شربوا بحيرة طبرية وآخرهم لم يجدوا فيها ماء، ولكانوا قد حصروا نبي الله عيسى وأصحابه حتى دعا عليهم فأرسل الله عليهم النغف في رقابهم فأصبحوا فرسى كموت نفس واحدة، ولكانت الساعة قد قامت منذ سبعة قرون**).

هذا الإلزام العقلي من التويجري ليس بلازم وقد تقدم معنا كثيرا، أن خروجهم آخر الزمان علىٰ عيسىٰ لا يلزم منه انحباسهم قبله وراء السد فليس هناك دليل يدل علىٰ هذا! فعلىٰ التويجري ومن قلّده أولا أن يثبتوا وجود السد زمن عيسىٰ، ثم يقوموا بهذه الالزامات العقلية.

فإذا لم يصح دليل علىٰ وجود السد زمن عيسىٰ فأنىٰ لهذه الالزامات أن تستقيم؟

كان كثير من الصحابة يقسمون أن ابن صائد هو الدجال، ولم ينكر عليهم النبي عليه الصلاة والسلام بأن صفات الدجال غير متحققة فيه.

ولم يورد عليهم بقية الصحابة الالزامات التي أوردها من أنكر اندكاك سد يأجوج ومأجوج، كأن يلزموهم بوجود نهر الماء وجبال الخبز مع ابن صائد وكنوز الأرض وغير ذلك.

فليس في ابن صائد صفة واحدة من صفات الدجال، لا أعور العين، ولا مكتوب بين عينيه كافر، ولا يأمر السماء بالمطر، ولا الأرض بالنبات، ولا يتبعه يهود ولا كنوز، ومع هذا كان بعض الصحابة يحلف بالله بحضرة رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه الدجال ولا ينكر عليهم.

ولكن هذه الصفات كما قرر أهل العلم تتحقق عند حصول فتنته، وهكذا يأجوج ومأجوج تتحقق صفاتهم المذكورة في السنة حين خروجهم علىٰ عيسىٰ.

فإن قالوا إن يأجوج ومأجوج عندنا فيهم نص أنهم وراء السد. قلنا والدجال كذلك عندنا فيه نص أنه في جزيرة في البحر، بل إن يأجوج ومأجوج ليس فيهم نص أن السد لن ينزاح عنهم إلا زمن عيسىٰ أما الدجال فقد ثبتت النصوص أنه لن يظهر إلا زمن عيسىٰ، فمن كفّر أو بدّع أو فسّق في يأجوج ومأجوج يلزمه أن يكفِر ويبدّع ويفسّق أيضا في ابن صائد من باب أولىٰ، ولا يخفىٰ فساد هذا.

❊❊❊

## الفقرة السابعة

ثم قال التويجري: (**وإذا لم يقع شيء من الأمور العظام التي ذكرنا، فمن أبطل الباطل وأقبح الجهل والتخرص واتباع الظن ما جزم به طنطاوي جوهري في قوله إن يأجوج ومأجوج هم التتار الذين خرجوا على المسلمين في أثناء القرن السابع من الهجرة وما بعده**)

تقدم معنا أن التكفير غير وارد في هذه المسألة والخلاف فيها خلاف فقهي وعليه فقول التويجري (**فمن أبطل الباطل وأقبح الجهل والتخرص واتباع الظن**) قول فيه مبالغة وتجاوز غير مرضي فأبطل الباطل وأقبح الجهل والتخرص واتباع الظن هو الشرك بالله سبحانه وتعالىٰ وليس الخلاف علىٰ السد هل اندك أو لم يندك، مع الإيمان أن خروجهم سيكون من الأشراط الكبرىٰ للساعة!

وهنا نقول للتويجري ومقلديه هل عرفتم أصول التتر المغول من أين هي معرفة لا شك فيها حتىٰ بلغتم مرحلة اليقين أنهم ليسوا ممن ردم عليهم ذو القرنين؟ فهاتوا يا حمادي برهانكم إن كنتم صادقين؟

بل إن القرائن الكثيرة تدل علىٰ أن التتر المغول من يأجوج ومأجوج

فمنها أنهم من شرق الأرض حيث مساكن يأجوج ومأجوج بإجماع المؤرخين كما هو ظاهر القران.

ومنها أنهم إخوان الترك فلهم مثل سيماهم.

ومنها أن أعداد التتر هائلة جدا لما اجتاحوا البلاد وخربوها.

ومنها أن خروج التتر كان حين كثر الخبث في العرب فهلكوا علىٰ يد التتر، مصداقا لحديث زينب.

ومنها أن المؤرخين وإن لم يصرحوا أن التتر هم يأجوج ومأجوج فإنهم لم يشبّهوهم إلا بهم، حتىٰ قال القرطبي في التفسير: (**وقد خرج منهم في هذا الوقت أمم لا يحصيهم إلا الله تعالى، ولا يردهم عن المسلمين إلا الله تعالى، حتى كأنهم يأجوج ومأجوج أو مقدمتهم**) وقال ابن كثير في البداية والنهاية (**فيأجوج ومأجوج طائفة من الترك وهم مغل المغول**).

❊❊❊

## الفقرة الثامنة

قال التويجري: (**فصفة يأجوج ومأجوج لا تنطبق على الدول المعروفة الآن**)

فنقول مسألة صفة يأجوج ومأجوج من أوضح الأدلة علىٰ صحة مذهب العلامة السعدي فيهم وبطلان قول من زعم أنهم لا زالوا وراء السد.

فيا مقلدة التويجري هذه الصفات التي تريدون الدول الشرقية المعاصرة أن تتصف بها متىٰ اتصف بها يأجوج ومأجوج؟

فإن قلتم إنهم لم يزالوا متصفين بها منذ ردم عليهم ذو القرنين، قلنا لكم كذبتم، لأنهم لم يفتكوا بمن جاورهم ذاك الزمن ولم يشربوا طبرية ولا حصل منهم شيء مما تذكرون.

وإن قلتم إنهم قد تحققت فيهم هذه الصفات بعد ردم ذي القرنين عليهم.

قلنا لكم هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين، فلن تستطيعوا إثبات ذلك لا قبل زمن النبوة بقرون ولا بعده بقرون.

وإن وقفتم علىٰ ظواهر النصوص وقلتم إن هذه الصفات ستتكامل فيهم حين خروجهم علىٰ عيسىٰ.

قلنا لكم نعم هذا هو ظاهر الأدلة الذي لا تستطيعون القول بغيره.

ومن سحب تلك الصفات لقبل زمن عيسىٰ فقد قال بغير علم وتكلف ما ليس بوسعه القول به.

فبطل بما ذكرنا احتجاج التويجري بأن صفات يأجوج ومأجوج لم تتحقق في هذه الدول.

ومن نظر للواقع فإن كثيرا من صفات يأجوج ومأجوج المذكورة آخر الزمان متحققة في هذه الدول الشرقية كالقوة التي لا يدان لأحد بقتالها حتىٰ تتكامل آخر الزمان، والسرعة العظيمة من كل حدب ينسلون في البر والبحر والجو، والكثرة الكاثرة التي لا يدانيهم فيها غيرهم، والفساد في الأرض بالكفر والشرك وسفك الدماء وحرب الإسلام وأهله مذ عرفهم الناس.

❊❊❊

## الفقرة التاسعة

قال التويجري: (**وقد تقدم في عدة أحاديث صحيحة أن يأجوج ومأجوج إنما يخرجون بعد نزول عيسى –عليه الصلاة والسلام– وقتل الدجال، وأنهم لا يمكثون بعد خروجهم على الناس إلا مدة يسيرة، ثم يدعو عليهم نبي الله عيسى فيهلكهم الله جميعا كموت نفس واحدة، فهم بلا شك أمة عظيمة، قد حيل بينهم وبين الخروج على الناس بالسد الذي بناه ذو القرنين**)

نقول لمقلدة التويجري هذه الأمة العظيمة التي هي بعث النار هل هي من أمة محمد أو أنها ليست من أمته؟

فإن قلتم من أمته لزمكم أن تذكروا متىٰ وصلتهم الرسالة ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ويأجوج ومأجوج أكثر العالمين فعلىٰ يد من وصلهم البلاغ من الله وهم منحازون وراء السد ثم لا يمكثون بعد دكه إلا قليلا حتىٰ يهلكوا كموت نفس واحدة؟

وقطعا أن يأجوج ومأجوج من العالمين الذين بعث إليهم نبينا عليه الصلاة والسلام ومن قال بغير هذا فقد كذّب القران.

أما حديث دعوتهم ليلة الإسراء فهو موضوع وضعه عمر بن الصبح كما قال ابن كثير.

وإما أن تقولوا إن يأجوج ومأجوج ليسوا من أمة محمد صلىٰ الله عليه وسلم، فيلزمكم أن تجزموا أنهم ليسوا من العالمين، ويلزمكم أن تثبتوا إليهم رسولا من الله، لأن الله تعالىٰ قال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء: ١٥] وكيف لكم ذلك وقد أخبر الله تعالىٰ أن محمدا خاتم النبيين؟

فكيف تتصورون أن أكثر أهل النار لم تصلهم رسالة الرسل بعد بعثة محمد عليه الصلاة والسلام؟

فمن الذي يقول الله تعالىٰ له في النار ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الزُّخرُف : ٧٨] أليس يأجوج ومأجوج منهم؟ أليس من هذه الأمة واحد في النار ومن يأجوج ومأجوج ألف؟ فمتىٰ جاءهم الحق ومتىٰ كرهوه؟

ومن الذين يقول الله تعالىٰ لهم: ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [المُؤمِنُون : ١١٠] أليس يأجوج ومأجوج أكثر أهل النار؟ فممن عساهم سخروا؟

ومن الذين قال الله عنهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غَافِر : ٤٩ـ٥٠] أليس يأجوج ومأجوج منهم؟ فمن الرسول الذي جاءهم؟

ومن الذين قال الله فيهم: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فَاطِر : ٣٧] ؟ وأمثال هذا كثير في كتاب الله تعالىٰ.

فعجبا للتويجري ومقلديه كيف غفلوا عن سنة الله الكونية وكيف تعصبوا هذا التعصب حتىٰ عموا عن هذه الأخبار التي قصها الله في كتابه عن أهل النار؟

***

## الفقرة العاشرة

قال التويجري: (**وأما كون السائحين في الأرض لم يروا يأجوج ومأجوج ولا سد ذي القرنين، فلا يلزم منه عدم السد ويأجوج ومأجوج، فقد يصرف الله السائحين عن رؤيتهم ورؤية السد، وقد يجعل الله فوق السد ثلوجا متراكمة بحيث لا تمكن رؤية السد معها، أو يجعل الله غير ذلك من الموانع التي تمنع من رؤية يأجوج ومأجوج ورؤية السد**)

نقول: أما السائحون فلا عبرة بقولهم إلا إذا كانوا ثقاة أمناء، لكن ما القول في أهل تلك البلاد وسكانها الأصليين من الترك وغيرهم الذين يعرفون بلادهم شبرا شبرا بل ويعرفون أرض يأجوج ومأجوج، ويستغلون أرضهم اقتصاديا وسياسيا وغير ذلك، وربما تقاتلوا وتنافسوا علىٰ بعض البقاع اليسيرة منها بحثا عن الثروات النفطية وغيرها؟

أين يأجوج ومأجوج منهم وأنتم تعتقدون أن يأجوج ومأجوج أكثر بكثير من سكان العالم المعاصرين، فأين يمكن أن يتواجد أولئك بتلك الكثرة؟

وقد تكلف التويجري تكلفا عظيما وقال بما لا علم له به وصار يتأول التأويلات البعيدة، حيث ادعىٰ اختفاءهم.

فيا مقلدة التويجري دافعوا عن إمامكم وبينوا لنا متىٰ اختفىٰ يأجوج ومأجوج من الأرض وقد كانت مساكنهم معروفة عند جيران يأجوج ومأجوج من أهل المشرق، وكذلك عند المؤرخين الأولين، وفي عصور الإسلام المتقدمة؟ وهل هناك دليل من الشرع علىٰ اختفائهم في عصرنا أو قبله أم أنه مجرد التنطع والتخرص الذي ذمه التويجري؟ بقوله في رده هذا: (**والواجب على المسلم الإيمان بما أخبر الله به في كتابه**

**عن السد ويأجوج ومأجوج، وما صح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في ذلك، ولا يجوز للمسلم أن يتكلف ما لا علم له به، ولا يقول بشيء من أقوال المتكلفين المتخرصين، بل ينبذها وراء ظهره ولا يعبأ بشيء منها).**

فأي تكلف وتخرص أكثر من هذه المبررات التي ذكرها التويجري لاختفاء القوم؟

***

## الفقرة الحادية عشر

ذكر التويجري حديث عبدالله بن عمرو عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم (**يأجوج ومأجوج من ولد آدم، وأنهم لو أرسلوا على الناس لأفسدوا عليهم معايشهم، ولن يموت منهم أحد إلا ترك من ذريته ألفا**)

قال الإمام ابن كثير بعدما أورد هذا الحديث في تفسير سورة الكهف عند الكلام علىٰ يأجوج ومأجوج: هذا حديث غريب بل منكر ضعيف.

وسكت عليه الحمادي فساقه ولم ينبه عليه، فلا أدري أهو يرىٰ صحته تقليدا للتويجري؟ أو أنه مشغول عن النظر فيه ولا يهمه إلا تكثير كتابه بما ساقه من كلام التويجري! وقد نبهنا عليه لما فيه مما يوهم أن يأجوج ومأجوج منعزلون عن الناس ولوا أرسلوا عليهم لأفسدوا عليهم معايشهم.

والتويجري رحمه الله كرر أدلته العقلية والنقلية في مواطن كثيرة من كتابه هذا الذي نقله الحمادي برمته، ولسنا بحاجة للرد عليها في كل موطن ولكن نرد علىٰ ما لم يتكرر منها وما تكرر فيكفيه سابق القول فيه.

❊❊❊

## الفقرة الثانية عشر

قال التويجري وهو يرد علىٰ ابن محمود: (**الوجه الثالث: أن يقال: إن أمم الكفار على اختلاف أجناسهم وأوطانهم قد كانوا موجودين في جميع الجهات شرقا وغربا وجنوبا وشمالا، وعن أيمان المسلمين وعن شمائلهم ومن خلفهم من قبل أن يوجد السد وبعد أن وجد، ولم يزالوا كذلك على ممر الأزمان، ومع هذا فلم يؤثر عن النبي – صلى الله عليه وسلم أنه قال إنهم هم يأجوج ومأجوج، ولم يؤثر ذلك عن أحد من الصحابة ولا التابعين وتابعيهم ولا من بعدهم من العلماء، حتى جاء المتكلفون في آخر القرن الرابع عشر من الهجرة فزعموا أن يأجوج ومأجوج ما هم إلا أمم الكفار على اختلاف أجناسهم وأوطانهم، فهل يقول مسلم عاقل إن المتكلفين أعلم من النبي – صلى الله عليه وسلم – بيأجوج ومأجوج**)

فنقول من قال إن الكفار الذي في شرق الأرض لعلهم هم يأجوج ومأجوج أو بعضهم فقوله لا يبعد عن الصواب، ومن زعم أنهم جميع كفار الأرض فلا شك أن قوله غير صواب والله أعلم.

وهذه من التويجري حجة عقلية محضة يلزمه قبل إيرادها كما تقدم معرفة تواريخ تلك الأمم العصرية وإلىٰ أين تمتد أصولها؟

فإذا أثبت ذلك استقام له أن يحتج بهذا، أما وهو لا يدري من أين جاء سكان تلك البلاد، ولا يعرف تاريخهم فكيف له الجزم بأنهم ليسوا من أولئك؟

فلو كنا نتحدث عن أرض بترابها وجبالها وأوديتها وشعابها فنعم له أن يحتج علينا بأنها لا زالت باقية علىٰ حالها وليس هناك سد يحجزها، لكننا نتحدث عن الساكن لا المساكن.

وقد علم من حال الساكنين عبر التاريخ أنهم لا زال بعضهم يغير علىٰ بعض ويفني بعضهم بعضا، أو يهلكهم رب العالمين ويستبدل قوما آخرين.

فأمريكا علىٰ سبيل المثال كانت للهنود الحمر فجاء الأوربيون واحتلوها وقتلوا أهلها واستعبدوهم حتىٰ استقرت في عصرنا للأوربيين وكأنهم سكانها الأصليون.

***

## الفقرة الثالثة عشر

ثم قال التويجري في رده علىٰ ابن محمود: (**الوجه الخامس: أن يقال: إن النبي – صلى الله عليه وسلم – أخبر في حديث النواس بن سمعان الذي تقدم ذكره قريبا أن يأجوج ومأجوج إذا بعثوا يمر أولهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، وجاء في حديث حذيفة بن اليمان –رضي الله عنهما– نحو ذلك، وجاء في حديث ابن مسعود –رضي الله عنه– أن يأجوج ومأجوج إذا خرجوا يطئون البلاد فلا يأتون على شيء إلا أهلكوه، ولا يمرون على ماء إلا شربوه، وفي هذا أبلغ رد على من زعم أن يأجوج ومأجوج ما هم إلا أمم الكفار على اختلاف أجناسهم وأوطانهم؛ لأن الذين قد ملئوا الأرض شرقا وغربا من أمم الكفار لم يقع منهم شيء مما أخبر به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن يأجوج ومأجوج، فلم يهلكوا ما أتوا عليه، ولم ينقصوا ما عندهم من المياه، فضلا عن أن يشربوا بحيرة طبرية وينشفوها، مع أن بعضهم كانوا مجاورين لها أزمانا طويلة**).

فنقول ما ذكره التويجري من حديث ابن مسعود فيهم (فلا يأتون علىٰ شيء إلا أهلكوه، و لا يمرون علىٰ ماء إلا شربوه) مع كونه لم يصح ففي سنده مؤثر بن عفازة وهو ضعيف وقد تقدم، وحديث أبي هريرة في معناه وهو منكر وقد تقدم أيضا، فهما يخالفان ما ذكره في هذا الوجه الخامس من حديث النواس أن شربهم يكون لطبرية وليس لمياه الأرض.

والتويجري يعترف أن هذه الأمم التي ذكرها قد ملأت الأرض شرقا وغربا حيث قال: (**لأن الذين قد ملئوا الأرض شرقا وغربا من أمم الكفار لم يقع منهم شيء مما أخبر به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن يأجوج ومأجوج**) فكيف يتصور أنهم ليسو

بشيء أمام يأجوج ومأجوج، وأن هذه الأمم بالنسبة ليأجوج ومأجوج كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود؟

فأي زاوية من الأرض تقل يأجوج ومأجوج ما دام وقد ملأ الأرض كلها غيرهم شرقا وغربا؟

فعجبا يا حمادي تسوق كلام التويجري بعجره وبجره وتنشر الأحاديث الضعيفة مقرا لها لا لشيء إلا لأجل أن توسع كتابك بالرد عليّ! فالله المستعان.

وأما إلزام التويجري بقوله:(**لم يقع منهم شيء مما أخبر به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن يأجوج ومأجوج، فلم يهلكوا ما أتوا عليه، ولم ينقصوا ما عندهم من المياه، فضلا عن أن يشربوا بحيرة طبرية وينشفوها، مع أن بعضهم كانوا مجاورين لها أزمانا طويلة**).

فهذا تقدم الرد عليه سابقا عند ذكر صفات يأجوج ومأجوج، فإذا أراد التويجري أن يشرب يأجوج ومأجوج الان بحيرة طبرية وغيرها فما بالهم لم يشربوها قبل أن يردم عليهم ذو القرنين؟

فإن قال مقلدوه: إن شربهم لطبرية سيكون آخر الزمان.

قلنا لهم انتظروا حتىٰ يأتي آخر الزمان وسيشربون طبرية بلا شك، فما أعجلكم عنها؟

❊❊❊

## الفقرة الرابعة عشر

قال التويجري في الوجه السادس بعدما ذكر الآيات في يأجوج ومأجوج: (**قال السدي في قول الله –تعالى–:** ﴿تَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف : ٩٩]

**قال: "ذاك حين يخرجون على الناس"، قال ابن كثير: "وهذا كله قبل يوم القيامة وبعد الدجال)**

فنقول: الذي عليه أدلة القران والسنة أن خروجهم بعد الدجال قبل يوم القيامة ولا مانع أن يموج بعضهم في بعض يومئذ، أما السد فلم يرد دليل أنه بعد الدجال لا من القران ولا من السنة والذي ورد هو الخروج، ولا يقبل قول المفسر لمجرد اجتهاده مالم يسلك في تفسيره القواعد المعروفة في التفسير من التفسير بالقران والسنة وأقوال الصحابة ولغة العرب، فلا يكفي في تحديد اندكاك السد بزمن الدجال مجرد الاجتهاد والرأي.

***

## الفقرة الخامسة عشر

وما ذكره التويجري في الوجه السابع والثامن من أن الساعة بعد يأجوج ومأجوج كالحامل المتم، وأن الحرب لا تضع أوزارها حتىٰ يخرج يأجوج ومأجوج كله بلفظ الخروج آخر الزمان وليس فتح السد، وهذا لا إشكال فيه وقد تقدم.

❊❊❊

## الفقرة السادسة عشر

قال التويجري في الوجه التاسع من الرد علىٰ ابن محمود: (**الوجه التاسع: أن يقال: ما قرره الشيخ ابن سعدي في رسالته من أن يأجوج ومأجوج ما هم إلا أمم الكفار على اختلاف أجناسهم وأوطانهم فهو مخالف لما قرره في تفسيره لسورة الأنبياء، فقد قرر فيها أن يأجوج ومأجوج إنما يخرجون في آخر الزمان، قال في الكلام على قول الله –تعالى–:**

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾

**الآية، ما نصه: "هذا تحذير من الله للناس أن يقيموا على الكفر والمعاصي، وأنه قد قرب انفتاح يأجوج ومأجوج، وهما قبيلتان عظيمتان من بني آدم، وقد سد عليهم ذو القرنين لما شكي إليه إفسادهم في الأرض، وفي آخر الزمان ينفتح السد عليهم فيخرجون إلى الناس، وفي هذه الحالة والوصف الذي ذكره الله، من كل مكان مرتفع وهو الحدب ينسلون أي يسرعون، في هذا دلالة على كثرتهم الباهرة وإسراعهم في الأرض، إما بذواتهم وإما بما خلق الله لهم من الأسباب التي تقرب لهم البعيد وتسهل عليهم الصعب، وأنهم يقهرون الناس ويعلون عليهم في الدنيا، وأنه لا يد لأحد بقتالهم". انتهى، وهذا صريح في رجوعه عما كان يقوله في يأجوج ومأجوج إنهم أمم الكفار على اختلاف أجناسهم وأوطانهم)**

فنرد علىٰ كلام التويجري هنا بأمور

الأول: أن العالم إذا أفتىٰ بفتوىٰ ثم بدا له غيرها فيما بعد ففتواه السابقة ليست باطلة ملغية ما دام وقد بذل فيها جهده ووسعه، ولا زال الأئمة علىٰ هذا من سابق ومن لاحق فللشافعي مذهبان قديم وجديد ولأحمد كذلك، ولم يقل أهل العلم بأن المذهب القديم باطل، بل يأخذون من هذا ومن هذا ما ترجحه الأدلة.

الثاني: أن التويجري أساء فهم كلام السعدي وقلده الحمادي وغيره، ويبين هذا أن السعدي لو تراجع فعلا لكان كتب كتابة صريحة أنه تراجع عن قوله مع شدة زجر الملك له ومنعه من هذا المذهب، لأنه بقي في نظر التويجري قرابة عقدين من الزمن قبل أن يقول ما قال في تفسيره.

ويبينه أيضا أنه ليس في كلام السعدي في التفسير ما يخالف مذهبه السابق، إلا عند من ساء فهمه وقصر نظره في هذه المسألة.

فواقع السعدي أنه تعرض للتهديد والوعيد من الملك حسب إفادة التويجري، ولا شك أنه إن كتب تفسيره فيما بعد بنفس أسلوبه السابق ربما تعرض لأمور غير مرضية.

والمتأمل لكلام السعدي لا يجد أي تناقض، فهذا مذهب السعدي لا نخالفه فيه، بل في تفسيره ما يشير لمذهبه السابق وأنه لم يتراجع.

فالسعدي فسر الآية حسبما وردت وقت الخطاب فأين التناقض؟

وهذا قول السعدي كلمة كلمة قال: (هذا تحذير من الله للناس أن يقيموا على الكفر والمعاصي، وأنه قد قرب انفتاح يأجوج ومأجوج، وهما قبيلتان عظيمتان من بني آدم، وقد سد عليهم ذو القرنين لما شكي إليه إفسادهم في الأرض)

وهذا كلام واضح لا إشكال فيه.

ثم قال السعدي: (وفي آخر الزمان ينفتح السد عليهم فيخرجون إلى الناس)

وهذا لا إشكال فيه أيضا فسد يأجوج ومأجوج بالنسبة لزمن الوحي سيكون آخر الزمان، فكم بين الصحابة الذين نزلت عليهم هذه الآية وكم بين خروج التتر وسقوط الخلافة العباسية؟

قرابة ستة قرون.

وبالنظر للسنة النبوية فالأحداث التي أخبر عنها عليه الصلاة والسلام أنها في آخر الزمان لا يلزم أن تكون مقارنة لأشراط الساعة الكبرىٰ فكل ما هو حاصل بعد بعثته عليه الصلاة والسلام وموته إلىٰ قيام الساعة يعتبر في آخر الزمان، وكم حذر النبي عليه الصلاة والسلام من الخوارج وأنهم سيخرجون آخر الزمان، فخرجوا أواخر الخلافة الراشدة ولا زال كثير من الصحابة أحياء.

ثم قال السعدي: (وفي هذه الحالة والوصف الذي ذكره الله، من كل مكان مرتفع وهو الحدب ينسلون أي يسرعون، في هذا دلالة على كثرتهم الباهرة وإسراعهم في الأرض، إما بذواتهم وإما بما خلق الله لهم من الأسباب التي تقرب لهم البعيد وتسهل عليهم الصعب، وأنهم يقهرون الناس ويعلون عليهم في الدنيا، وأنه لا يد لأحد بقتالهم) انتهىٰ كلام السعدي.

وهذه الكلمة الأخيرة فيها تأييد لمذهبه السابق وليس التراجع فقد قال: (وإسراعهم في الأرض، إما بذواتهم وإما بما خلق الله لهم من الأسباب التي تقرب لهم البعيد وتسهل عليهم الصعب) فما هي الأسباب التي تقرب البعيد وتسهل الصعب يا من يقلد التويجري؟

فأين التراجع وأين التناقض؟ نبئوني بعلم إن كنتم صادقين.

الثالث: دعوىٰ التراجع هذه أنكرها أبرز تلاميذ الإمام السعدي وهو العلامة العثيمين رحمه الله وأن السعدي ليس له فيها إلا مذهب واحد لم يغيره، وإليك فتوىٰ العثيمين رحمه الله:

فضيلة الشيخ، استفاض عن الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ـ رحمة الله عليه ـ أنه قال بظهور يأجوج، ومأجوج، وأنهم أهل الصين . وبعد الرجوع إلىٰ تفسيره تبين أن يأجوج، ومأجوج سيخرجون في آخر الزمان، وأنهم سيفسدون في الأرض، وأن خروجهم من علامات الساعة الكبرىٰ، فهل رجع الشيخ عن قوله الأول، أم أن له قولين في هذه المسألة؟ وأنتم ماذا ترجحون في هذا، جزاكم الله خيراً؟

الجواب:

الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ـ رحمه الله ـ هو شيخنا، وقد أثيرت ضجة حول ما نسب إليه من أن يأجوج ومأجوج هم أهل الصين وما وراء جبال القوقاز ، والحقيقة أنه ـ رحمه الله ـ لم يقل شيئًا إلا بدليل مبني علىٰ الكتاب والسنة، وبقول قاله من قبله، لكن أهل الأهواء يتشبثون بخيط العنكبوت في تشويه سمعة من آتاه الله من فضله، فأرادوا أن يحسدوه. فشيخنا ـ رحمه الله ـ لم يقل: إن يأجوج ومأجوج الذين يخرجون في آخر الزمان هم الموجودون الآن، ولا يمكن أن يقول به عاقل فضلاً عن عالم يعتبر علامة زمانه ـ رحمه الله ـ وإنما قال: إن يأجوج ومأجوج موجودون، والقرآن يدل علىٰ ذلك، قال الله ـ تعالىٰ ـ في ذي القرنين: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْراً * كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراً ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً﴾ يعنى: سار ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْماً لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً﴾إذاً هم موجودون، وقوله تعالىٰ:

﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً﴾ يعني: مالاً عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً فاستجاب لذلك قال: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾، فآتوه بزبر الحديد، وركم بعضها علىٰ بعض: ﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ يعني: بين الجبلين: ﴿قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً﴾ يعني: آتوني قطراً، أي آتوني حديداً مذاباً أفرغه عليه فأتوه بذلك، فصار هذا السد مثل الجبل، وهو سد من حديد ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ يعني: يعلو عليه ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً﴾ أي: ما استطاعوا أن ينقبوه؛ لأنه من حديد ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ يعني في آخر الزمان﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾. **فالحاصل أن شيخنا رحمه الله لم ير رأيين في هذه المسألة، بل هو رأيٌ واحد دل عليه كتاب الله عز وجل وكذلك أقوال أهل العلم، بل إن الرسول صلىٰ الله عليه وسلم ثبت عنه أنه قال: «يقول الله تعالىٰ: يا آدم -يعني: يوم القيامة- فيقول: لبيك، وسعديك. فيقول: أخرج من ذريتك بعثًا إلىٰ النار. قال: يا ربِّ ،وما بعث النار؟ قال: تسعمائة وتسعة وتسعون من كل ألف» يعني: تسعمائة وتسعة وتسعين من بني آدم كلهم في النار ،وواحد في الجنة، (فَكَبُر ذلك علىٰ الصحابة، وعظم عليهم ،وقالوا: يا رسول الله، أين ذلك الواحد؟ قال: «أبشروا فإنكم في أمتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه يأجوج ،ومأجوج»**، وهذا صريح أن يأجوج ومأجوج من بني آدم، وأنهم يدخلون النار. فعلىٰ كل حال نحن نرىٰ ما يدل عليه الكتاب والسنة من أن يأجوج ومأجوج موجودون، لكن هؤلاء الموجودين ليسوا هم الذين يخرجون في آخر الزمان، بل سيأتي أقوام آخرون من نسلهم، فيخرجون في آخر

الزمان، ويفسدون في الأرض كما أفسد آباؤهم. اهـ من سلسلة لقاءات الباب المفتوح.

هذا نص فتوىٰ العثيمين.

فيا لله العجب ممن يقلد التويجري! ما تقول يا أخانا أبا بكر في فتوىٰ العثيمين هذه التي نقلتَها برمّتها ولم تكلف نفسك لا نقول التأمل فيها فهي واضحة لكن النظر لظاهرها؟ فهي مؤيدة لفتوىٰ السعدي رحمه الله فقول السعدي بأن يأجوج ومأجوج هم الصين وما جاورها قول مبني علىٰ الكتاب والسنة، والسؤال الموجه للعثيمين واضح جدا لا يحتاج تأويل كما قال العثيمين: (**والحقيقة أنه ـ رحمه الله ـ لم يقل شيئًا إلا بدليل مبني علىٰ الكتاب والسنة، وبقول قاله من قبله، لكن أهل الأهواء يتشبثون بخيط العنكبوت في تشويه سمعة من آتاه الله من فضله، فأرادوا أن يحسدوه**)

والذي أنكره العثيمين رحمه الله أنه لا يقول به عاقل فضلا عن عالم ليس ما فهمه التويجري ومقلدوه من كون يأجوج ومأجوج هم الصين وما جاورها، ولكنه الزعم كون هؤلاء الموجودون بذواتهم هم من سيخرج آخر الزمان، فهذا فعلا لا يقوله السعدي ولا من نشر مذهبه ولا يقوله عاقل، فالذين سيخرجون هم كما قال العثيمين في آخر الفتوىٰ: (**بل سيأتي أقوام آخرون من نسلهم، فيخرجون في آخر الزمان، ويفسدون في الأرض كما أفسد آباؤهم**).

فهل نصدق العلامة العثيمين حين دافع عن السعدي وفتواه وأنه لم يتراجع عنها حيث قال: (**فالحاصل أن شيخنا رحمه الله لم ير رأيين في هذه المسألة، بل هو رأيٌ واحد دل عليه كتاب الله عز وجل وكذلك أقوال أهل العلم**) أم نصدق الحمادي؟

فسبحان الله جعلهم التعصب لهذه الفكرة يحرفون فتوىٰ العثيمين في تأييد شيخه وهي واضحة كالشمس في رابعة النهار!

ولولا خشية تلبيس البعض كلام العثيمين وزعمهم البتر لاختصرت كلامه لأنه لا يعجبني التطويل كالحمادي لكني نقلت الفتوىٰ كلها لأجل هذا.

الرابع: الأوجه الثلاثة السابقة فيما لو صح تأخر كتابة التفسير عن هذه الرسالة الخاصة، لكن الواقع أن دعوىٰ التراجع هذه وهم من أوهام التويجري لا ندري أهي من كيسه أم نقلها له بعض المغفلين، فالإمام السعدي انتهىٰ من كتابة الجزء المتعلق بالكهف والأنبياء من تفسيره في عام ألف وثلاث مائة وثلاثة وأربعين كما ذكر في الكتاب المطبوع، بينما رسالته في يأجوج ومأجوج كتبها في سنة ألف وثلاث مائة وتسعة وخمسين، فالرسالة جاءت بعد التفسير بخمسة عشر سنة! فلو أن السعدي صرح في تفسيره بصريح العبارة بخلاف مذهبه في الرسالة لكانت الرسالة قاضية علىٰ ما قرره في تفسيره، لأنها آخر الأمرين، كيف وقد تقدم معنا أنه لا تعارض بين ما ذكره في التفسير وبين الذي قرره في رسالته، ولعله حين كتب التفسير كان في تردد في هذه المسألة، فأشار لذلك مجرد إشارة، فلما فتح الله عليه ببحث المسألة والتحري فيها كتب رسالته هذه في يأجوج ومأجوج والله أعلم.

فمن أين جاء هذا التراجع يا حمادي؟ لعلهم وهموا بسبب تأخر طباعة التفسير والله أعلم، فقلدتهم يا مسكين ثقة منك بهم، وها هي ثمرة تقليدك لهم كيف تذوقتها؟

والذي ننتظره منك أنت هو التوبة والتراجع، أما من قلدتهم فقد أفضوا إلىٰ ما قدموا.

ومع أن التويجري جزم وصرح بتراجع السعدي إلا أنه لم يلبث إلا يسيرا حتىٰ ناقض نفسه فقال: **(ولم يخرج في تفسير الآيات من سورة الكهف ومن سورة الأنبياء عما ذكره المفسرون في أمر يأجوج ومأجوج، فيحتمل أنه قد رجع عما قرره في رسالته، وإن لم يكن رجع عن ذلك فكلامه في يأجوج ومأجوج متناقض، فيؤخذ بما كان منه موافقا لأقوال المفسرين من الصحابة والتابعين ويرد ما خالفهم فيه)**

مع قوله قبل: **(وهذا صريح في رجوعه عما كان يقوله في يأجوج ومأجوج إنهم أمم الكفار على اختلاف أجناسهم وأوطانهم)**.

فسبحان الله القائل: ﴿ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾ [النِّسَاء : ٨٢]

فماذا أنت قائل هنا يا حمادي؟

❊❊❊

## الفقرة السابعة عشر

قال التويجري: (**أما الأمم التي تداعت على المسلمين فهم من أصناف الكفار من غير يأجوج ومأجوج، وقد وقع بعض ذلك حين خرج التتار على المسلمين من المشرق، وتداعت عليهم الأمم الصليبية من المغرب**).

فنقول أليس هذا مصداقا لقوله تعالىٰ: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٩٥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦﴾ [الأنبياء: ٩٥ - ٩٦] علىٰ ما قال ابن كثير أن الله حرم عليهم الرجوع إلىٰ الدنيا؟

وهذا التحريم غايته ما دل عليه حرف الغاية (حتىٰ) وهو فتح يأجوج ومأجوج، فعودة الأمم يكون عند فتح يأجوج ومأجوج وليس خروجها.

وهذه الأمم عادت للسطوة علىٰ المسلمين عند خروج التتر، فعلام يدل هذا؟

ومن زعم أن التحريم عليهم إلىٰ يوم القيامة الكبرىٰ فهو قول كما قال القرطبي: لا فائدة فيه.

وتعالىٰ الله أن يخبر عما لا فائدة فيه، فلا بد من الغاية التي دل عليها حرف حتىٰ وهو الفتح ليأجوج ومأجوج.

ومن زعم أن الغاية هي خروج يأجوج ومأجوج علىٰ عيسىٰ فهذا غير صحيح، فالأمم حين خروج يأجوج ومأجوج زمن عيسىٰ لن تكون إلا مسلمة قد خضعت لعيسىٰ عليه الصلاة والسلام.

وأمر آخر فالقرىٰ الكافرة قد عادت، وقد أخبر الله أنه حين أهلكها لا ترجع وحرم ذلك عليها، فكيف رجعت؟

وهل يخلف الله تعالىٰ وعده هذا؟

فإما أن يقولوا إن القرىٰ لم ترجع، وهذا يكذبه الواقع.

وإما أن يقولوا إن الله لم يحرم علىٰ القرىٰ الكافرة الرجوع، وهذا تكذيب لظاهر القران.

وإما أن يقولوا إن الله حرم عليهم الرجوع لغاية معلومة، وقد تحققت برجوع هذه الأمم قطعا، وليس هناك غاية في الآية إلا فتح يأجوج ومأجوج، فيلزمهم التسليم بما قلناه من أن القرىٰ الكافرة بدأ رجوعها حين فتحت يأجوج ومأجوج آخر الخلافة العباسية حين هلك العرب لكثرة الخبث، كما ذكر التويجري في هذه الفقرة تماما.

❊❊❊

## الفقرة الثامنة عشر

قال التويجري: (**وإنما كان خروج يأجوج ومأجوج آية من الآيات العشر الدالة على دنو الساعة واقترابها؛ لأن الناس لم يروهم قبل خروجهم، ولما فيهم من الكثرة الهائلة، ولأنهم يطئون البلاد فلا يأتون على شيء إلا أهلكوه، ولا يمرون على ماء إلا شربوه، حتى إن أوائلهم يشربون بحيرة طبرية، ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء، وشربهم لبحيرة طبرية ولغيرها من المياه الغزيرة غير معتاد ولا مألوف عند الناس، فلهذا كان خروجهم من الآيات الدالة على دنو الساعة، ولو كانوا قد خرجوا منذ أزمان طويلة لما كان خروجهم من قبيل الآيات العظام، والله أعلم**)

حاول العلامة التويجري أن يجتهد ويذكر السبب في كون خروج يأجوج ومأجوج من الآيات العظام فذكر مسائل عادية وترك الأهم، فمما ذكر من الأسباب قوله: (**لأن الناس لم يروهم قبل خروجهم**)

فنقول يا حمادي أيّ آية في رؤية قوم من بني آدم؟ فلا يزال البشر يرىٰ بعضهم بعضا! إلا إذا كان التويجري ومقلدوه يرون أن يأجوج ومأجوج منهم الطويل كالنخلة السحوق، ومنهم القصير من لا يتجاوز الشبر، ومنهم من يفترش أذنا ويلتحف بالأخرىٰ، وغير ذلك من الخرافات في صفاتهم فنعم تكون رؤية من هذا حاله من الحوادث العظام!

وهذا السبب قال به التويجري من كيسه ليس له فيه أثارة من علم.

وهب أن الناس لم يروهم كما زعم التويجري فمن الذي يعتبر برؤيتهم لطالما وكل من أدركوه أهلكوه، وعيسىٰ يتحرز منهم قبل رؤيتهم هو ومن معه؟ وما الفائدة في رؤيتهم؟

ومما ذكر التويجري من الأسباب: (**ولما فيهم من الكثرة الهائلة**)

والكثرة ليست آية عظيمة في حد ذاتها فقد خرج التتر علىٰ الناس في كثرة كاثرة لا يحصيها إلا الله، ولا يزال البشر في كثرة عظيمة من زمن قديم حتىٰ بلغوا في زماننا المليارات.

وكثرة يأجوج ومأجوج علىٰ المسلمين كما هو ظاهر حديث أبي سعيد وحديث عبدالله بن عمرو بنسبة واحد من الألف، يعني في المليون ألف، فما معنىٰ (الهائلة)؟

ومما ذكر من الأسباب (**ولأنهم يطئون البلاد فلا يأتون على شيء إلا أهلكوه، ولا يمرون على ماء إلا شربوه**)

وهذا ليس عليه دليل صحيح يدل عليه كما تقدم، لكنه ورد في أحاديث ضعيفة لا تقوم بها الحجة.

ومما ذكر من الأسباب (**حتى إن أوائلهم يشربون بحيرة طبرية، ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء**)

نقول هذه نعم آية عظيمة لكنها لا تبلغ وحدها أن تجعلهم من علامات الساعة الكبرىٰ العظام، والشرب لا يلزم منه الشرب بالفم فقط فقد يستنزفونها بالشرب وغيره، كما قال تعالىٰ في النهي عن أموال اليتامىٰ: ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ

وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ۝٢﴾ [النِّسَاء : ٢] وقال: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْ﴾ [النِّسَاء : ٦] فالنهي عن الأكل وغيره وليس الأكل فقط.

ثم قال التويجري: (**فلهذا كان خروجهم من الآيات الدالة على دنو الساعة**)

فنقول: هذا قصور من التويجري أن يعلل عظم يأجوج ومأجوج وكونهم من علامات الساعة الكبرىٰ لمجرد أنهم في كثرة عظيمة ويشربون طبرية!

والحاصل أن العظمة في هذه الآية ليست لكثرتهم وشربهم لطبرية فقط، ولكنها أيضا لقوتهم التي لا يدان لأحد بقتالهم حتىٰ يسيطروا علىٰ الأرض كلها ويرمون نشابهم للسماء ليقتلوا أهلها ثم يهلكهم الله جميعا في ليلة واحدة كنفس واحدة، ثم تأخذهم الطير حيث شاء الله ثم يطهر الله الأرض من نتنهم بالمطر، كأن لم تكن هذه الأمة العاتية التي مكن الله لها بالقوة العظيمة موجودة من قبل، فأمة قوية جبارة لها صولتها وجولتها، ويهابها أهل الأرض تصبح بأمر الله كأمس الدابر في فترة قصيرة جدا، مع بقاء قوتها وثرواتها هذا أمر عظيم جدا! فإن هذا لم يقع قط أن الله يهلك الجبارين بلا قتال مع المسلمين وتصبح ذراريهم وبلادهم وأموالهم غنيمة للمسلمين، وهذا هو ما جعلهم من علامات الساعة الكبرىٰ لا ما ادعاه التويجري من أن الناس لم يروهم قبل ذلك، وأنه لو اندك السد من زمن قديم لما كان خروجهم من الآيات العظام، وهذا منه بسبب الخلط بين فتح السد وبين الخروج علىٰ عيسىٰ.

***

## الفقرة التاسعة عشر

قال التويجري: (فأما يأجوج ومأجوج فبلادهم في أقصى المشرق من ناحية الشمال، ذكر ذلك غير واحد من المتكلمين على الأقاليم ومواقع البلدان فيها، وقد روى ابن جرير عن ابن عباس –رضي الله عنهما– في قوله –تعالى–: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ﴾ قال: "الجبلين الردم الذي بين يأجوج ومأجوج، أمتين من وراء ردم ذي القرنين، قال: الجبلان أرمينية وأذربيجان. وروى أيضا عن الضحاك في قوله: ﴿بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ﴾ يعني الجبلين، وهما من قبل أرمينية وأذربيجان، وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ﴾: وهما جبلان من قبل أرمينية وأذربيجان)

فنقول: أليس التويجري هو الذي زعم اختفاء مكان يأجوج ومأجوج؟

فأنىٰ له تحديد مكانهم بكلام المؤرخين الأولين والمتكلمين علىٰ الأقاليم الذين لم يتيسر لهم من الإمكانيات ما تيسر لأهل زماننا ممن يعتني بالبلدان، ثم ينكر علىٰ المعاصرين حين أخبروا أنهم لم يعثروا علىٰ أمة وراء سد، مع أنه تيسر لهم من إمكانيات البحث والإطلاع والمعرفة مالم يتيسر لأولئك؟

أليس هذا من التناقض؟

❊❊❊

## الفقرة العشرون

قال التويجري: (**وهؤلاء لم يبعث النبي – صلى الله عليه وسلم – إليهم جيشا ولا دعاة يدعونهم إلى الإسلام، ولا يمكن الاتصال بهم، حتى يأتي الوقت الذي قدر الله خروجهم فيه، وهو بعد نزول عيسى وقتل الدجال**)

نقول: هذا الكلام هل يقره الحمادي أو ينكره علىٰ التويجري؟

وعلىٰ كل كيف الجمع بينه وبين قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء : ١٠٧] وقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ١٥﴾ [الإسراء : ١٥] وقوله تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١﴾ [الفرقان : ١].

فإما أن يكون التويجري اجتهد وأخطأ وسكت عليه أو قلده الحمادي.

وإما أن الله تعالىٰ لم يبعث محمدا للعالمين لأن يأجوج ومأجوج أكثر العالمين، وسيعذب يأجوج ومأجوج دون أن يبعث إليهم رسولا.

وإما أن الله تعالىٰ أرسل إليهم رسلا غير نبينا محمد عليه الصلاة والسلام في زمنه أو بعده!

***

## الفقرة الواحدة والعشرون

قال التويجري: (**ليس في رسالة ابن سعدي ما يتعظ به، ولا ما ينتفع بعلمه**) وقال: (**كل ما نقله ابن محمود ههنا من رسالة ابن سعدي في يأجوج ومأجوج فهو باطل، سوى ما ذكره من الآيات من سورة الكهف، والحديث الذي أوله: (ويل للعرب من شر قد اقترب)، فالآيات والحديث حق، ولكن لا متعلق لابن سعدي في شيء منها، وما سوى الآيات والحديث فكله توهمات وتخرصات لا دليل عليها من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا عقل صحيح ولا واقع ولا مشاهدة**)

فنقول: هذا إجحاف عظيم للسعدي يخالف ما قرر عنه في هذه الرسالة تلميذه البار محمد العثيمين، ونخشىٰ أن يكون التويجري أخذه من أهل الأهواء الذين قال فيهم العثيمين: (**والحقيقة أنه ـ رحمه الله ـ لم يقل شيئًا إلا بدليل مبني علىٰ الكتاب والسنة، وبقول قاله من قبله، لكن أهل الأهواء يتشبثون بخيط العنكبوت في تشويه سمعة من آتاه الله من فضله، فأرادوا أن يحسدوه**) وهذا الكلام وأمثاله من التويجري هو الذي جعلنا نطلق العنان في استعمال بعض العبارات القاسية للرد علىٰ التويجري رحمه الله، فالسعدي أسبق وأعلم من التويجري وأعظم منه نفعا لأمة الإسلام، ونعتقد أنهم جميعا يدورون بين الأجر والأجرين عند الله تعالىٰ فيما نحسبهم، أما عند الناس فكل يتحمل تبعات تقريراته المخالفة للنصوص الشرعية حتىٰ لو كان معذورا عند الله، فالعذر عند الله شيء، والرد علىٰ المخالفة حتىٰ لا يغتر الناس بها شيء آخر.

## الفقرة الثانية والعشرون

ثم ذكر التويجري كلاما كثيرا مكررا حتىٰ قال: (**ولا يخفى أن الألمان والإيطاليين والفرنسيين والإنجليز والأمريكان ليسوا عراض الوجوه صغار العيون، وكذلك أكثر الأمم من غيرهم، فصفات يأجوج ومأجوج لا تنطبق على أكثر الأمم التي ذكرها ابن سعدي**)

فنقول: الحديث الذي وصف يأجوج ومأجوج بأنهم عراض الوجوه صغار العيون صهب الشعاف حديث ضعيف لم يصح، فقد رواه أحمد وغيره من طريق خالد بن عبدالله بن حرملة وهو ضعيف وقد تفرد بهذا الحديث عن خالته، وخالته غير معروفة، والتويجري لا عناية له هنا بصحيح الحديث من غيره، ونأسف أن نقول إنه مع جلالته فهو في هذا الرد كحاطب ليل، ولا عجب كالعجب من مقلده الحمادي الذي نقل كلامه كله وكأنه ينقل عن الصحيحين أو أحدهما!

فصفات يأجوج ومأجوج هي صفات إخوانهم من الترك، وهذه الصفات إن لم تنطبق علىٰ من ذكر التويجري فهي منطبقة علىٰ الروس والصين ومن إليهم فهل أنتم مقرون أنهم هم أو منهم؟

وقد تقدم معنا أن دول أوربا ليست من يأجوج ومأجوج لأنها ستدخل الإسلام وتقوم الساعة وهم أكثر الناس، وهكذا أمريكا غالب الظن أنها ليست من يأجوج ومأجوج لأنها في الغرب ويأجوج ومأجوج إنما يأتون من الشرق فيكون أولهم يمر علىٰ طبرية متجهين لبيت المقدس.

ومع هذا فإنه لا يمنعنا مانع أن نقول إن بعض كلام التويجري وانتقاده علىٰ السعدي صحيح كهذا الموضع وغيره مما وسع به السعدي يأجوج ومأجوج وأدخل فيهم من ليس منهم، ولعل هذا من الأسباب التي استنكر الناس بها رسالته جملة وتفصيلا.

❊❊❊

## الفقرة الثالثة والعشرون

علق التويجري تعليقا علىٰ قول السعدي: (**فتلك الجبال والبحار الواصلة لمشارق الأرض ومغاربها سدان محكمان بينهم وبين الناس في تلك الأزمان وما بعدها، وليس لهم طريق في ذلك الوقت إلا من تلك الفجوة التي بين السدين، فبناها ذو القرنين**) فقال: (**إن في هذا الكلام من التخرص واتباع الظن ما لا يخفى على عاقل، وهل يقول عاقل إن في الأرض جبلين متقابلين متصلين بمشارق الأرض ومغاربها؟ وهل يقول عاقل إن أوربا وأمريكا وآسيا سوى جزيرة العرب قد أحيطت بجبلين متقابلين متصلين بمشارق الأرض ومغاربها؟ كلا، لا يقول ذلك من له أدنى مسكة من عقل**)

فأقول إن أحسنا الظن بالتويجري فسنقول إنها زلة قلم وغفلة وقع فيها، وإن أسأنا الظن فسنقول إن هذا من التربص وتتبع العثرات، فإنه لا يخفىٰ علىٰ عاقل أن مراد السعدي مشارق ومغارب أرض يأجوج ومأجوج خاصة وليس الأرض كلها حتىٰ استغل التويجري هذا ووجد الفرصة للتشنيع علىٰ السعدي، فرحمهم الله جميعا.

وذكر التويجري كلاما كثيرا يثبت فيه أن كلام السعدي غير معقول في وجود سد طبيعي حتىٰ قال التويجري: (**لو فرضنا أن البحار والموانع الجبلية كانت سدا محكما كما زعمه ابن سعدي، فهناك فجاج في الجبال وهناك سهول طويلة عريضة ليس فيها سد محكم يمنع أحدا من الاجتياز من المشرق إلى المغرب وبالعكس، ومن الجنوب إلى الشمال وبالعكس، وهناك سفن في البحار يجتاز فيها المسافرون من المشرق إلى المغرب وبالعكس، ومن الجنوب إلى الشمال وبالعكس**).

ونأسف أيضا أن نقول إن التويجري لشدة نقده علىٰ السعدي قد وقع في التقصير والجور، ثم قلدته ياحمادي ولم تنكر عليه حرفا! فهل هذا من الورع؟

فإن الله تعالىٰ أثبت في القران سدين طبيعيين لا يمكن التجاوز منهما فليس فيهما فجوات ولا شعاب ولا غير ذلك، قال الله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ٩٣﴾ [الكَهۡف : ٩٣] فالله تعالىٰ أثبت سدين قبل ذي القرنين، ثم عمل ذو القرنين بينهما ردما، وكلام السعدي علىٰ هذين السدين.

والتويجري يريد أن يلزم السعدي ليجعل الردم بين المشرق والمغرب للأرض كلها حتىٰ يثبت تناقض السعدي ومخالفته للعقل، وبالغ في ذلك أشد المبالغة قبل هذا الكلام وبعده!

فأين هو من قوله تعالىٰ: ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ١٣٧﴾ [الأَعۡرَاف : ١٣٧]

فمشارق الأرض ومغاربها هي أرضهم التي يسكنونها وليست جميع المعمورة.

وكما تقدم فكلام التويجري فيما نقله الحمادي أكثره مكرر، وقد نبهنا علىٰ ما ظهر لنا من زلات وتجاوزات اجتهد فيها التويجري رحمه الله، لكن المصيبة هي مصيبة مقلده الشيخ الحمادي حيث نقل الكلام علىٰ عواهنه ولم ينبه علىٰ زلات وتجاوزات ولا علىٰ أحاديث ضعيفة، فكل خطئ أخطأ فيه التويجري هنا ورددنا عليه أو غفلنا عنه فللحمادي نصيب منه لا عذر له فيه إلا أن يعلن براءته من ذلك، لأنه بعدما نقل كلام التويجري وغش به الناس أثنىٰ عليه وجعله عهدة بينه وبين الله، حيث أخرجه للناس بصورة الناصح فقال الحمادي في رده عليّ مثنيا علىٰ رد التويجري: **(وكلامه رحمه الله**

**من أنفس الكلام في رد هذا الباطل، وقد أفاد وأجاد، وأوفىٰ بالمراد، ولحسنه وجودته وكثرة فوائده نقلته مع طوله)!**

ولعل القارئ يعذرني علىٰ شدة العبارات التي استخدمتها للرد علىٰ الحمادي لمَّا يعرف أن الحمادي يثني هذا الثناء العطر علىٰ كلام تبين بعد التحقيق أنه مفتقر للتأصيل العلمي، قد كثر فيه التنقيص من قدر العلامة السعدي واتهامه بالتخرص والظن والتكلف والباطل وغير ذلك من التحامل الشديد كما مر معنا، وهي مسألة في الحقيقة يدور فيها العلامة السعدي بين الأجر والأجرين ولو كان مخطئا، فكيف والحق معه؟

فيا ليتك يا حمادي لم تقحم نفسك في هذا الباب الذي لا طاقة لك به، فما كان أغناك عن هذا!

وما كان لنا قصد للرد عليك بما رأيتَ لكنك عرضت نفسك لمناطحة جبل كبير كالعلامة السعدي وقدحت زندك تجاهه ـ وإن كان ردك عليّ ـ فكان مني ما كان.

وقبل الانتهاء من الرد علىٰ كلام التويجري فإني لم أتعرض لمخالفات ابن محمود وكلامه الذي رد عليه التويجري به فليس غرضي ابن محمود ولا تقصي كل ما أورده التويجري عموما لكن غرضي ما كان متعلقا بالإمام السعدي ومذهبه رحمه الله.

***

## فصله الثالث فتوى الفوزان

ثم ذكر الحمادي فصلا في فتوىٰ الفوزان حفظه الله.

وحقيقة فتوىٰ الفوزان عامة لمن أنكر يأجوج ومأجوج أو زعم أنهم المعاصرون من دول الكفر، وليست مختصة بمن آمن بهم لكنه يقول بأنهم خالطوا الناس منذ قرون.

ولو كان الفوزان يقصد الشق الآخر بصريح العبارة فليس هو من يقضي علىٰ فتوىٰ السعدي بمجرد قوله، لكن الحجة لمذهب السلف!

فليس قول أحد حجة علىٰ أحد إلا بالدليل الشرعي.

❊❊❊

## فصله الرابع في فتوى العثيمين

وأما الفصل الآخر بعده في ذكر استنكار العثيمين لما نسب لشيخه فقد تقدم الكلام عليه، وأن ظاهر فتوىٰ العثيمين تؤيد وتناصر كلام السعدي في يأجوج ومأجوج ولكن من المؤسف أن نقول إن بلادة الفهم عند الحمادي بخصوص هذه المسألة أعمته عن مشاهدة الحق فيها، وإلا فهي واضحة جدا.

والسؤال الموجه للعثيمين واضح جدا، واستنكاره علىٰ ما لا يقوله عاقل إنما هو أن يكون الموجودون الان هم بذواتهم الذين يخرجون علىٰ عيسىٰ، وليس لمطلق مذهب السعدي من خروجهم واختلاطهم بالناس فقد أقره العثيمين ودافع عنه وأن السعدي لم يتراجع، ومن زعم غير هذا فقد ادعىٰ أن العثيمين مغفل لا يعرف السؤال ولا يعرف كيف يجيب عليه.

فافهم يا أخانا أبا بكر فتوىٰ العثيمين، فالعثيمين أعرف منك بمذهب شيخه ولم ينكره بل دافع عنه.

والذي يقرأ كلامك يظن أن العثيمين لم يطلع قط علىٰ فتوىٰ شيخه، وأنه لم يعرف الرسالة التي كتبها فيا لله للعجب!

❊❊❊

## فصله الخامس في فتوى الشنقيطي

ثم ذكر الحمادي فصلا بعد هذا وأعاد كلام الشنقيطي الذي ذكره في أول رسالته بطوله قرابة سبع صفحات ليكثر بها كتابه، ثم رضي لنفسه أن يكتب علىٰ ظهر هذه النقولات: قدح الزند....كتبه أبو بكر...!

فماذا كتبتَ يا أبا بكر؟

وقد علق الحمادي قبل نسخه ولصقه كلام الشنقيطي بعبارة ركيكة قال فيها معتذرا عن هذا: (وقد سبق أن نقلنا كلامه رحمه الله في أوائل هذه الرسالة، ونعيد ذلك بعض كلامه في هذا الموضع).

ثم أعاد كلامه كله ولم يحذف منه إلا القليل!

❊❊❊

## آخر فصول الحمادي

وأما فصله الأخير فقد تقدم الكلام عليه في أوائل الرد علىٰ التويجري وأن المسألة فقهية لا تستدعي التكفير ولا غيره.

وبهذا نكون قد فرغنا ولله الحمد من الرد علىٰ الحمادي في هذه الرسالة التي تشبع فيها بما لم يعط.

وقد رأيتُ في هذه الرسالة قلة كلامه بالنسبة لما نسخه ولصقه، وكثرة هفواته فيه، مما يدل علىٰ أن الحمادي جانب في هذه المسألة طريقة أهل العلم في الردود العلمية والأخذ والرد، وسلك مسلك أرباب النسخ واللصق.

فجرد قلمك يا أبا بكر الحمادي وناقشني بعباراتك أنت كما ناقشتُ رسالتك بعباراتي، وفند كلامي إن كنتَ تعتقد بطلانه حقا، وأنه انعدم فيه فهم السلف كما تزعم، وإني أخشىٰ أن تكون دون مستوىٰ من يناقش ويأخذ ويعطي في هذا الباب، وإلا فقم بكل فخر وشرف وتواضع وبين للناس أنك أخطأت وأنك تتراجع عن كل ردودك عليّ جملة وتفصيلا.

ولك فرصة أن تتوب وتتراجع ما دمت حيا قبل أن تتمنىٰ ذلك فلا تستطيعه، فنسأل الله أن يتوب علينا جميعا.

❊❊❊

## ومما نرد به على المخالفين للسعدي

أيضا من الردود علىٰ من أنكر اندكاك سد يأجوج ومأجوج، أو شنع علىٰ القائلين به وتجرأ علىٰ التبديع أو التكفير أن السعدي حين اشتهر قوله لم يقم أهل العلم بالرد عليه وإدراج قوله ضمن مقالات أهل البدع، ثم تدوّن في كتب العقيدة كما هي طريقة أهل العلم مع المقالات الباطلة، بل وجد من كبار العلماء من يدافع عن السعدي رحمه الله كتلميذه العثيمين، خلافا للغلو الذي سلكه التويجري ومقلدوه في نقده، فإن كلامه الذي وصف به رسالة السعدي لا يليق إلا أن يكون علىٰ بدعة هي من شر البدع التي لا ينبغي السكوت عليها، فها هي كتب المعاصرين الذين جاءوا بعد السعدي وشروحاتهم في التوحيد والعقيدة فما بالهم لم يذكروا عقيدة السعدي ضمن عقائد أهل البدع العقلانيين وغيرهم، أو يذكروا في ترجمته أنه حصلت له زلة في كذا وكذا؟ فإنهم لا يذكرونه إلا بالخير والإمامة في الدين، ثم يأتي بعض المتطفلين علىٰ العلم ويزعم أن السعدي زل في هذه المسألة وتلقفها من العقلانيين!

وإني لا أعجب من هذا الصنف كعجبي من بعض الشيوخ الفضلاء عندنا ممن نظروا لهذه المسألة بنفس نظر التويجري تقليدا له دون أي تحقيق علمي، ولم ينظروا لها بنظر العلامة العثيمين رحمه الله!

فالخلاصة في ردم ذي القرنين بين يأجوج ومأجوج وجيرانهم أن اعتقاد بقاءه إلىٰ الان خرافة من الخرافات التي لبست قميص العلم والفهم وتلبس أمرها وللأسف علىٰ كثير من العلماء والدعاة فضلا عن غيرهم.

## الفصل الثامن
## مناقشة ما استدل به من تألى على الله أنه سيذهب هذه النعم العصرية

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه ما من مبطل يستدل علىٰ باطله بدليل شرعي إلا كان ذلك الدليل عليه لا له، كما نقل ذلك عنه ابن القيم في حادي الأرواح، قال ابن القيم: وقال لي أنا ألتزم أنه لا يحتج مبطل بآية أو حديث صحيح علىٰ باطلة إلا وفي ذلك الدليل ما يدل علىٰ نقيض قوله. اهـ

وأنا ألتزم في القضايا الأربع التي ناقشتها في كتابي هذا الفرقان (النعم العصرية، وحقيقة الدجال، ونفس عيسىٰ، ويأجوج ومأجوج) ما التزمه شيخ الإسلام، ولا أقول بأن القائلين بهذا القول مبطلون، لكنّ قولهم هذا من الباطل، وكل ما استدلوا به من الأحاديث فهي عليهم لا لهم وسنرىٰ ذلك إن شاء الله تعالىٰ فيما يأتي.

***

## الحديث الأول

فأول هذه الأحاديث حديث ابن مسعود عند مسلم في قصة الملحمة مع الروم، جاء في آخر الحديث بعد المعركة وانتصار المسلمين **"فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ : إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ. فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيُقْبِلُونَ، فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ، وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ ؛ هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ"**

فزعموا بأن وجود الخيل دليل علىٰ زوال النعم العصرية، وذهابِ هذه الوسائل الحديثة، إذ لو كانت موجودة لأغنت عن الخيل.

وزعموا أيضا أن إرسالهم دليل علىٰ زوال وسائل الاتصالات الحديثة، فإنها لو كانت موجودة لأغنت عن إرسال هؤلاء العشرة.

فنقول وبالله التوفيق: أما زعمهم الأول فيرده ما رواه البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **" الْخَيْلُ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ "** فالخيل معقود في نواصيها الخير باستمرار لا ينقطع حتىٰ تقوم الساعة، ونحن نقول لهؤلاء الزاعمين: ها نحن فيما نحن فيه من النعم العصرية وهذه الخيل موجودة ومستعملة، فما من جيش من الجيوش العصرية المنظمة، ولا دولة من الدول إلا وتستعمل الخيل، سواء في حربها أو في استعراضاتها، ومن زعم غير ذلك فقد كذّب الحديث النبوي، وأيضا يكذّبه الواقع، فإذا أمكن الجمع

في عصرنا بين وجود الخيل ووجود الوسائل الحديثة فكيف يستحيل الجمع بين وجودها ووجود الوسائل الحديثة آخر الزمان؟

هذا أمر، وأمر آخر أيضا وهو ما المانع أن يكون النبي صلىٰ الله عليه وسلم كنّىٰ بالخيل عن المركوبات آخر الزمان، وهي أيضا مختلفة الألوان؟

لأنه كما تقدم معنا في المقاصد الشرعية في المقدمة أن أمور الغيب قد تضرب علىٰ سبيل المثال، وأن الناس يَحدّثون بما يعرفون وبما تدركه عقولهم، خوفا عليهم من مفاسد الشبهات التي قد تطرأ عليهم حين يسمعون عن شيء لا يعرفونه، ولا يعرفون له نظيرا وليس في التصريح لهم به كبير مصلحة مقابل ما قد يقع من المفاسد.

فليس الكلام في هذه الخيل وحقيقتها كالكلام في ذات الله تعالىٰ وصفاته، حتىٰ نجريها علىٰ ظاهرها من غير تأويل ولا تشبيه ولا تمثيل!

فعندنا في اليمن مثلا كل نوع من السيارات له اسم معين وألوان مختلفة متنوعة، فنعرف نوعا منها يسمونها البقرة، ونوعا يسمونها القصواء، ونوعا يسمونها رواحل، ونوعا يسمونها البراق وهلم جرا.

فلا مانع من حمل الحديث علىٰ أحد المعنيين السابقين، فإما أن تكون الخيل علىٰ حقيقتها وهذا ليس بممتنع في عصرنا، وإما أن تكون الخيل كناية عن المركوبات العصرية، وقد شبه النبي عليه الصلاة والسلام المركوبات آخر الزمان بالرحال، مع أن الرحال تختلف عن السيارات اختلافا كثيرا، لكن هذا التشبيه من باب ضرب المثال، وتقريب الفهم.

وبعض العلماء المعاصرين يفسرون الحديث **"كَأَشْبَاهِ الرِّجَالِ"** بالمركوبات العصرية، منهم العلامة الألباني رحمه الله تعالىٰ.

وأما مازعموه من زوال الاتصالات الحديثة بسبب إرسال الخيل، إذ لو كانت موجودة لأغنت عن إرسالهم.

فالجواب عليه أن إيرادهم هذا هو إيراد العارف الفاهم للعلة التي أرسل لأجلها هؤلاء العشرة!

فالعلة في نظرهم هي التأكد من خبر الدجال هل خرج أو لا؟

وهذه العلة عليلة ليس عليها دليل، بل الدليل الوارد أن الدجال لن يخرج إلا بعد فتح القسطنطينية، والقسطنطينية في قتال الروم في هذه الملحمة لمّا تفتح بعدُ، ومثل هؤلاء العشرة كما جاء في وصفهم **"خِيَرُ فَوَارِسَ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ"** لا يخفىٰ عليهم هذا الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة في فتح القسطنطينية **"لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ، أَوْ بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ : خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ. فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ : لَا وَاللهِ، لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا. فَيُقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا، فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ، قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ : إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ. فَيَخْرُجُونَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ"**.

فكيف يستسيغ عاقل أن ذاك الجيش الذين هم خيار أهل الأرض يومئذ مع أميرهم المهدي يتركون حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام لأجل شائعة من الشائعات، ثم يختارون أفضل عشرة فيهم للتثبت منها؟

وعليه فإن المهمة التي أرسل لأجلها هؤلاء العشرة ليست مجرد التثبت من خبر ذاك الصريخ الذي أخبرهم بخروج الدجال في ذراريهم، وإن كنا لا نستطيع الجزم بها قطعا، لكن إرسال هؤلاء الأخيار يدل علىٰ أن هذه المهمة لا يقوم بها إلا العلماء الكبار الذين هم خيار الناس.

هذا أمر، وأمر آخر أيضا أنه ليس كل مهمة تغني عنها الاتصالات، فها نحن في عصرنا الحاضر ووسائل الاتصالات متوفرة ومع هذا فإنها لا تغني إلا في أبواب معلومة، فالعلماء يحتاجون النزول بأنفسهم للصلح بين الناس، وللدعوة إلىٰ الله، ولتغيير المنكرات، وللتحريض علىٰ الجهاد، وللرد علىٰ الشائعات بالنزول للناس ومخالطتهم، وغير ذلك من مهمات العلماء والأمراء.

والذي نرىٰ أنه أقرب الاحتمالات لإرسال هؤلاء العشرة أنهم يذهبون طليعة يستطلعون أخبار الناس بعدهم، فهم في الشام وذراريهم في المدينة وما وراءها فيرجعون للنظر في أمر الذراري ومدىٰ تأثير هذه الشائعة الكاذبة عليهم، وما حصل بسببها من زعزعة للناس وشر عظيم، والقيام بما يلزم من الدعوة والبيان والتثبيت للناس، والله أعلم.

❊❊❊

## الحديث الثاني

ومما استدلوا به أيضا ما ورد في أول الحديث في حرب الروم، وهو قوله عليه الصلاة والسلام: "فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّىٰ يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَىٰ الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّىٰ يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَىٰ الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّىٰ يُمْسُوا، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَىٰ الشُّرْطَةُ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ..."

فقالوا بأن حجز الليل بينهم دليل علىٰ أن المعارك بالوسائل القدية.

والرد عليهم من أوجه:

الأول: أن هذا مجرد استنباط استنبطه بعضهم، وليس صريحا في فناء النعم العصرية التي أنعم الله بها علىٰ عباده في عصرنا هذا وما بعده.

فهذه جماعات مجاهدة تتقدم جيش المسلمين في اليوم الأول والثاني والثالث للنكال بالعدو، فما هو اللازم منها لزوال ما نحن فيه من التكنلوجيا الحديثة؟

الثاني: أن الليل ليس شرطا لازما في المعارك العصرية، فإنها تقع في الليل وتقع في النهار، حسب اختيار قائد الجيش، وحسب ظروف المعركة.

ومن زعم أن المعارك العصرية لا تقام إلا في الليل، أو قال بأنه يلزم استمرارها في الليل والنهار فهو متخرص أو جاهل ما عرف حقيقة المعارك العصرية.

ولا زال الليل حاجزا يحجز بين الناس في المعارك العصرية، ويجد فيه المقاتلون متنفسا لا يجدونه في النهار مهما حصل من تقدم تكنلوجي، بوسائل عصرية في غاية التقنية الحربية، وهذا واقع مشاهد ملموس.

الثالث: أن معركة هذه الشُّرُط ليست بين جيشين متكاملين، لكنها مجرد كتائب تتقدم للنيل من جيش العدو، وهذه الكتائب لا يمكن أن تتقدم إلا في الحروب العصرية لما عندهم من إمكانيات الكر والفر، أما الحروب القديمة فإن أي شرطة تتقدم جيش المسلمين لتلاقي جيش العدو وحدها دون مساندة من بقية الجيش فمصيرها الهلاك إلا أن يشاء الله، وهذه الكتائب والشرط تستمر ثلاثة أيام تُغير وترجع!

الرابع: قوله في الحديث ثلاث مرات: **"وَتَفْنَىٰ الشُّرْطَةُ"** وقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام أنه **"يَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلُّ غَيْرُ غَالِبٍ"** فما هو الذي يفنىٰ؟ فإن الرجال فيفيئون ولا يفنون! وإذا كان كذلك لزم أن يكون الفناء في الآلات الحربية، وإلا نسبنا الشرع للتناقض.

وإذا تأمل العاقل وضع المعارك العصرية والمعارك القديمة، فإن نسبة الفناء في المعارك العصرية في الآلات أكثر منها من المعارك القديمة، فالمعركة القديمة يخوضها المقاتل بسيفه ورمحه وقوسه وفرسه ونحو ذلك، وفي حال لم ينتصر أحد الفريقين تجد غالبا أن كل مقاتل يخرج بآلاته التي دخل بها، لا يفنىٰ عليه منها شيء إلا القليل الذي لا يقارن مع ما سلم له من آلاته الحربية، ثم يعيد القتال بها في اليوم الثاني، ويصلح ما قد يحصل له من الخلل فيها، وتبقىٰ الكتيبة المقاتلة والشرطة علىٰ ما هي عليه، وهكذا حتىٰ يتم النصر لأحد الفريقين، أما المعارك العصرية فإنها تأكل

ذخيرة المقاتل أكلا، فلا بد من فنائها، ولو أراد خوض معركة أخرىٰ فلابد له من ذخيرة جديدة يقاتل بها العدو وإلا هلك.

فأيها أولىٰ بوصف هذا الحديث النبوي من سلامة المقاتلين ورجوعهم، في الوقت الذي تفنىٰ فيه الشرط بحيث يضطر المسلمون لشرطة جديدة غير الأولىٰ؟

فهذا الحديث أقرب للاستدلال به علىٰ بقاء النعم العصرية منه إلىٰ زوالها، فهو عليهم لا لهم.

ومما ننبه عليه في هذا الحديث والذي بعده أنه سمىٰ الروم بهذا الاسم وقد انقرض في زماننا، فهل سيعود هذا الاسم لزاما أيضا آخر الأمة، وهكذا في الحديث السابق ورد تسمية قسطنطينية بهذا الاسم وقد انقرض في زماننا فهل سيعود كذلك جريا علىٰ قاعدتهم من الأخذ بظواهر الأحاديث المتعلقة بأحداث آخر الزمان؟

وهكذا فارس ورد في حديث نافع بن عتبة غزوها بعد جزيرة العرب قبل الروم والدجال فهل سيعود هذا الاسم؟

***

## الحديث الثالث

ومن الأحاديث التي استدل بها من جزم بفناء النعم العصرية وعود الناس لما كانوا عليه قبل قيام هذه الوسائل الحديثة ما تقدم مما رواه مسلم عن أبي هريرة، **أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ، أَوْ بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ : خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ. فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ : لَا وَاللهِ، لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا. فَيُقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا، فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ، قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ : إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ. فَيَخْرُجُونَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ..."**

فقالوا وجه الدلالة من الحديث ذكر المصافة وذكر السيوف وهي من الوسائل القديمة.

فنقول ردا عليهم: وأيضا فيه ذكر الروم وقسطنطينية وهي أسماء قديمة فيلزمكم القول برجوعها كما تقدم، ثم أين الجزم بفناء هذه النعم العصرية وزوالها؟

ليس هناك ما يقطع بذلك! والمصافة حاصلة في الحروب العصرية أيضا فما من جيش إلا ويصطف للعدو ما بين مقدمة ومؤخرة وميمنة وميسرة وقلب.

وأما السيوف فكما تقدم في المقدمة من ذكر مقاصد الشريعة، فإنه لا مانع أن يراد بها الأسلحة النارية العصرية، وأن النبي عليه الصلاة والسلام حدّث الناس بما يعرفون، وضرب لهم مثالا بما تبلغه عقولهم.

وكما تقدم أن الكلام في أوصاف الناس وأحوالهم آخر الزمان ليس كالكلام في ذات الرب تبارك وتعالىٰ حتىٰ نمنع التأويل، ونجمد علىٰ الظاهر لأجل التعسف للقول بفناء الوسائل الحديثة، وما منّ الله تعالىٰ به علىٰ عباده من النعم العصرية العظيمة.

ومما يؤكد هذا أن الأسلحة العصرية تعلق أيضا علىٰ الأشجار، بل إن تعليقها أكثر من تعليق السيوف، لأن السيف أشد اتصالا بالجسد من البنادق النارية والرشاشات العصرية، فالسيف له غمد مربوط بالجسد ربطا محكما، والمحارب حين انتهاء المعركة والنصر يعيد سلاحه لغمده في موضعه من جسده، ولا يعلقه وحده علىٰ الأشجار، وإن علقه فإنه يخلع غمده وتوابعه ثم يعلق الجميع، وهذا في حال الأمن التام الذي ليس هذا موطنه.

أما الأسلحة العصرية فأمر تعليقها علىٰ الأشجار أسهل من السيوف، لأنه ليس لها أغماد تربط فيها علىٰ الجسد بإحكام كالسيف، لكن لها معاليق تحمل بها علىٰ الأكتاف لا غير.

ففي الحديث ما يشير للوسائل الحديثة أكثر من الوسائل القديمة.

ومنه ذكر الأشجار، فالحروب القديمة لا تقام بين الأشجار إلا في ظروف خاصة، وقد كانوا يعتبرون الأشجار دروعا حصينة من غزو الجيوش سابقا، ولا أدل علىٰ ذلك من غزوة الأحزاب، فإن من تحصينات المدينة النبوية وجود بعض المزارع والأشجار

التي تحف المدينة من بعض الجهات، وتم حفر الخندق في المكان الفارغ الذي هو محل هجوم العدو.

أما المعارك العصرية فإن من أفضل ساحاتها بين الأشجار، حيث يتخذها المقاتلون دروعا لتوقي ضربات العدو.

❊❊❊

## تنبيه فيما يتعلق بسقوط جوانب المدينة الرومية بالذكر

ومما ننبه عليه أن هذه المعركة هي التي وصفها النبي عليه الصلاة والسلام بقوله كما في مسلم عن أبي هريرة: **" سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَرِّ وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ ؟ " قَالُوا : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ : " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ، فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا، فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ، وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ، قَالُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ. فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا - قَالَ ثَوْرٌ لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ : الَّذِي فِي الْبَحْرِ - ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ. فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الْآخَرُ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ. فَيُفَرَّجُ لَهُمْ، فَيَدْخُلُوهَا، فَيَغْنَمُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ، فَقَالَ : إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ. فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَرْجِعُونَ "**.

وقد زعم بعض إخواننا من الشيوخ والدعاة الفضلاء أن هذا الفتح من خوارق العادات وأن الأسوار تتساقط وتنهدم بمجرد التهليل والتكبير، وهذا الزعم لا يسعفه ظاهر الحديث ولا يدل عليه دليل، فواقع الحال أن جيوش الروم ستهلك في الملحمة الكبرىٰ وينتصر جيش المسلمين، ولا شك أن الأخبار ستنقل لمشارق الأرض ومغاربها عن هذه المعركة الفاصلة، فلما يتجه ذلك الجيش المنتصر لفتح القسطنطينية يكون الرعب قد ملأ أهل قسطنطينية، لأن جيوش الروم بأجمعها قد تم سحقها من قبل هذا الجيش، فأنىٰ لأهل قسطنطينية وحدهم صده والصمود بوجهه! وجيشهم في مظنة المشاركة في الملحمة الكبرىٰ فيكون ضمن الجيوش المنهارة، فإذا وصل ذلك الجيش الموحِّد فإنه بمجرد تكبيرهم تنهار قوىٰ العدو فتسقط جوانبها

مباشرة، ولا يعني السقوط انهدام المساكن فوق أهلها والخسف بهم، لكن المقصود هو سقوطها من أيدي الكافرين وخروجها من سيطرتهم.

وليس هناك داع ولا ضرورة نزعم من خلالها خرق العادة هنا بتهدم الأسوار، فليس في الحديث ذكر الأسوار لا من قريب ولا من بعيد.

❊❊❊

## الحديث الرابع

ما رواه الإمام مسلم رحمه الله من حديث النواس بن سمعان الطويل في قصة يأجوج ومأجوج، جاء في طريق آخر عند مسلم **"ثُمَّ يَسِيرُونَ حَتَّىٰ يَنْتَهُوا إِلَىٰ جَبَلِ الْخَمَرِ، وَهُوَ جَبَلُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَيَقُولُونَ : لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ، هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ. فَيَرْمُونَ بِنُشَّابِهِمْ إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَيَرُدُّ اللهُ عَلَيْهِمْ نُشَّابَهُمْ مَخْضُوبَةً دَمًا"**

فزعموا بأن ذكر النشاب في الحديث وردّها مختضبة بالدم دليل علىٰ زوال الوسائل الحديثة وما فيها من نعم الله العظيمة علىٰ عباده.

وهذا استدلال ضعيف، فالنشاب هي النبال والسهام، فيدخل فيها السهام العصرية والسهام القديمة، ومن قصر معناها علىٰ السهام القديمة فهو بحاجة لدليل، ولا دليل إلا مجرد التعسف للقول بزوال النعم التي نحن فيها!

بل في الحديث ما يشير للنشاب العصرية، وذلك أن يأجوج ومأجوج من بني آدم لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، وهم حين يرمون بنشابهم للسماء فذلك لاعتقادهم يقينا أن في السماء من يُحارب ويُقتل، ولهذا قالوا: **"لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ، هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ"** وإقرار النبي عليه الصلاة والسلام لما نقله عنهم، وذكره أن الله يرد النشاب مخضوبة دما دليل علىٰ أن في السماء من يُقتل ويسيل دمه حقيقة.

ونحن نرىٰ ونشاهد هذا في عصرنا عيانا أن الناس قد طاروا في السماء وأصبحوا يمشون فيها كما يمشون في البر والبحر، بل إن قدرتهم علىٰ التنقل في السماء أسرع من قدرتهم عليها في البر والبحر، وهذا من أعظم نعم الله تعالىٰ علىٰ عباده في هذا العصر.

فبأي دليل وأي برهان يحكم بزوال هذا كله حتىٰ يرجع الناس للعصر الأول، ثم يحكمون بقتال يأجوج ومأجوج لكائنات مجهولة ذات دم في السماء لا يُدرىٰ ما هي وارتفاعها علىٰ قدر رمية الرامي بيده؟

فإن يأجوج ومأجوج مهما رموا بالوسائل القديمة فإن رمية الواحد منهم لا تعدوا أمتارا يسيرة فوق رأسه! والناس قد تطاولوا في البنيان فما عساهم يرمون؟

فالقول ببقاء هذه النعم وحمل النصوص الشرعية عليها، وأن الناس يُقتلون في البر وفي الجو، أولىٰ من التعسف للقول بزوالها وحمل مثل هذه النصوص علىٰ أمور خارقة للعادة في طيرانها في السماء، أو في استهداف يأجوج ومأجوج لها، أو في إصابتها وسفك دمها، أو حتىٰ أنهم يرمون في الهواء ولا يرون شيئا يستهدفونه ثم يخلق الله دما علىٰ تلك النشاب لترجع به من فوق رءوسهم!

بل إن بعض الشراح المتقدمين علىٰ هذا العصر قد حاول أن يجري هذا علىٰ الأسباب الممكنة دون خرق العادة، كما قال القاري في مرقاة المفاتيح معلقا علىٰ هذا الحديث:

وهذا مكر واستدراج منه سبحانه، مع احتمال إصابة سهامهم لبعض الطيور في السماء، فيكون فيه إشارة إلىٰ إحاطة فسادهم بالسفليات والعلويات. اهـ

هذا وصاحب المرقاة لا يعرف الوسائل العصرية، فجعل الدم محتملا أن يكون من بعض الطيور، فكيف لو وصل إلىٰ علمه أن الناس سيطيرون في السماء كما يمشون في البر والبحر؟ لا شك أنه سيحمل الحديث علىٰ قتلهم، وسيكون أولىٰ عنده من إصابة بعض الطير في السماء! والله أعلم.

علىٰ أننا لا نسلم أن رجوع نشابهم مخضوبة بالدم مكر واستدراج من الله لهم، لأنه لم يصح بذلك دليل، والحديث ظاهره أنهم يقتلون خلقا في السماء كما يقتلون خلقا في الأرض ففسادهم كما قال القاري للسفليات والعلويات.

ولو كان رجوع النشاب مخضوبة بالدم فرضا علىٰ وجه الخرق للعادة فإنه ليس ثمة حكمة ظاهرة من ذلك، لأنه لا يرىٰ الدم إلا هم، وليس هناك من ينتظر نتيجة القتل حتىٰ يستفيد تصديقا أو تكذيبا، فيفتن بذلك كما يفتن الناس بالدجال.

فلا هي كرامة ككرامات الصالحين، ولا هي فتنة كفتنة الدجال، فيلزم أن تكون عندهم نوعا خامسا من أنواع خرق العادة.

فإن زعموا أنه فتنة ليأجوج ومأجوج فنرد عليهم بأن هؤلاء عندهم مخلوقون للنار، وقد كانوا في اعتقادهم خلف الردم ولن يخرجوا إلا زمن عيسىٰ لهلاكهم، فلا تصح دعوتهم للإسلام ولا إقامة الحجة عليهم، فما هو الداعي لفتنتهم؟

❊❊❊

## تنبيه فيما يتعلق بحربة عيسى عليه الصلاة والسلام وغيرها

وأما طعن عيسىٰ للدجال بالحربة فإن الحربة من أهم عدة المقاتل في العصر الحديث، ولا تكاد تفارقه، فلا معنىٰ للاستدلال بها علىٰ زوال الأسلحة العصرية.

ومن الخطأ أن يعتقد بعض الناس أن طعن عيسىٰ للدجال ورؤية الناس دمه إنما هو لأجل إبطال دعواه الربوبية عند الناس، كما قال بهذا بعض الشراح، فإن هذا حاصل عند أصحاب عيسىٰ الذين يحضرون مقتل الدجال قبل نزول عيسىٰ وبعده، ما عندهم مثقال ذرة من شك أن الدجال كاذب فاسق، وأنه أهون علىٰ الله مما يدعيه لنفسه، فلا يصح أن يقال إن عيسىٰ يريهم دم الدجال حتىٰ يتيقنوا أنه ليس برب، فهذا يعتبر قدحا في أولئك الرجال الأخيار، فإنه ليس شيء في نفوسهم أحقر من الدجال، ولهذا ليس له ولأتباعه عندهم إلا الموت الأحمر والسهام اللامعة التي كانوا يتجهزون بها لقتاله قبل نزول عيسىٰ كما تقدم معنا.

ولعل الحكمة في طعن عيسىٰ للدجال بحربته والله أعلم أنها نهمة عيسىٰ عليه الصلاة والسلام وحبه للقتال في سبيل الله حين ينزل من السماء، فيباشر المعركة بيده، لا بنَفَسه من وراء وراء، وحتىٰ يكون أكرم عباد الله يقتل أخبث خلق الله، وحتىٰ يزداد المسلمون بسالة وإقداما حين يرون قدوتهم رسولَ الله عيسىٰ يقاتل بنفْسه، فإن معركته مع الدجال ليست آخر معركة، ولكنها أول المعارك التي ينطلق بعدها بهؤلاء الأبطال للقضاء علىٰ بقايا الدولة اليهودية المناصرة للدجال في فلسطين، ثم ينطلق إلىٰ أوربا وغيرها لكسر الصليب وقتل الخنزير وإهلاك جميع الملل، حتىٰ لا يبقىٰ إلا الإسلام، وهذا بحاجة لشحذ همم هؤلاء الرجال حتىٰ يستعدوا معه لهذه المهمة العظيمة، ولا

أعظم شحذا للهمم من القضاء علىٰ رأس الكفر الدجال من أول الأمر، وسفك دمه باليد، لا بالمعجزة الخارقة للعادة التي يتصورها كثير من الناس بنفَس عيسىٰ، فهذا هو واقع الحال لا ما يتصوره جماهير المسلمين من المحال.

وأما زيادة الترمذي في حديث النواس بن سمعان الطويل الذي رواه مسلم "فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ بِالْمَهْبِلِ ، وَيَسْتَوْقِدُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قِسِيِّهِمْ وَنُشَّابِهِمْ وَجِعَابِهِمْ سَبْعَ سِنِينَ" ورواها ابن ماجة بنفس السند في حديث مستقل، فهي زيادة معلة سندا ومتنا، تركها الإمام مسلم رحمه الله تعالىٰ، وهي من طريق عبدالرحمن بن يزيد بن جابر رواها عن عطاء بن يزيد السكسكي عن كعب أو غيره، كما جاء مصرحا به عند الإمام أحمد في مسنده.

ووهم من جعلها بإسناد الإمام مسلم.

وعليه فهي من الإسرائيليات التي لا يصح الاحتجاج بها.

وعلىٰ ضعف سندها فهي منكرة المتن، لأنها مدرجة في الحديث في موضع غير لائق بها وتتصادم مع ما صح عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، فقد ذكرت قبل نزول المطر الذي يطهر الأرض من يأجوج ومأجوج، ويجعل الأرض كالزلفة وهي المرآة الصافية.

فلا يبقي ذلك المطر حطبا من سهام وجعاب ونشاب! فعند مسلم **"فَتَحْمِلُهُمْ، فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ، حَتَّىٰ يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ"** ويقينا أنهم لن يحتطبوا سبع سنين قبل نزول المطر لأن

المطر ينزل بدعوة نبي الله عيسىٰ ليطهر الأرض من زهمهم ونتنهم الذي ملأ الأرض بعد موتهم، ولا يطيقه عيسىٰ ومن معه.

وقد بينتُ ضعف هذا الحديث سابقا ولله الحمد.

❊❊❊

## الحديث الخامس

ما في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

**"يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَىٰ ثَلَاثِ طَرَائِقَ رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَىٰ بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةٌ عَلَىٰ بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَىٰ بَعِيرٍ، وَعَشَرَةٌ عَلَىٰ بَعِيرٍ، وَيَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا".**

ويفسره ما رواه أحمد عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ قَالَ : قَامَ أَبُو ذَرٍّ فَقَالَ : يَا بَنِي غِفَارٍ، قُولُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا ؛ فَإِنَّ الصَّادِقَ الْمَصْدُوقَ حَدَّثَنِي : " أَنَّ النَّاسَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَفْوَاجٍ : فَوْجٍ رَاكِبِينَ طَاعِمِينَ كَاسِينَ، وَفَوْجٍ يَمْشُونَ وَيَسْعَوْنَ، وَفَوْجٍ تَسْحَبُهُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ، وَتَحْشُرُهُمْ إِلَىٰ النَّارِ ". فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : هَذَانِ قَدْ عَرَفْنَاهُمَا، فَمَا بَالُ الَّذِينَ يَمْشُونَ وَيَسْعَوْنَ ؟ قَالَ : يُلْقِي اللهُ الْآفَةَ عَلَىٰ الظَّهْرِ حَتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ ظَهْرٌ، حَتَّىٰ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ لَهُ الْحَدِيقَةُ الْمُعْجِبَةُ، فَيُعْطِيهَا بِالشَّارِفِ ذَاتِ الْقَتَبِ فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا.

والشاهد عندهم هو وجود الإبل ذاك الزمان بأوصافها الدقيقة، والتعاقب عليها وبيعها وشراؤها، ولو كانت الآلات الحديثة موجودة لأغنت عن استخدام الإبل.

والجواب عن هذا من أوجه

أولها: أن حديث أبي ذر أصرح في المراد من حديث أبي هريرة وهو وإن كان ظاهره الصحة إلا أنه معل أعله ابن أبي حاتم رحمه الله فقال: (٢١٦٢) وسألت أبي عن حديث رواه الوليد بن عبدالله بن جميع، عن أبي الطفيل، عن حذيفة بن أسيد، عن أبي ذر أنه أتىٰ مجلس بني غفار فقال: حدثني الصادق المصدوق أن الناس يحشرون ثلاثة أفواج: فوجا طاعمين كاسين، وفوجا يمشون ويسعون، وفوجا تسحبهم

الملائكة علىٰ وجوههم، وتحشرهم إلىٰ النار، قالوا: قد عرفنا هؤلاء وهؤلاء، فما بال الذين يمشون ويسعون؟ قال: تلقىٰ الآفة علىٰ الظهر فلا يبقىٰ ظهر، حتىٰ إن الرجل منكم تكون الحديقة المعجبة يعطاها بذات القتب فلا يقدر عليها!

قال أبي: روىٰ هذا الحديث ابن عيينة، عن العلاء بن أبي العباس الشاعر، عن أبي الطفيل، عن حلام بن جزل، عن أبي ذر، عن النبي، وهو الصحيح، ولزم الوليد بن جميع الطريق، وتابع سعد بن الصلت ابن عيينة، عن معروف، عن أبي الطفيل، عن حلام بن جزل، عن أبي ذر، عن النبي، وهو الصحيح. اهـ

وقال في موضع آخر (٢١٣٧) : حديث حلام أشبه. اهـ

وحلام ابن جزل ـ وقال بعضهم جذل ـ ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ولم يذكر جرحا ولا تعديلا، بل أشار لجهالته حيث ذكر أنه لم يرو عنه إلا أبو الطفيل، وعلىٰ هذا فهو مجهول الحال، فالحديث ضعيف لأجله.

ولو اعتبرناه في الشواهد ففقرته الأولىٰ تصلح لذلك لمقاربة معناها لحديث أبي هريرة المذكور، أما الفقرة الأخيرة التي فيها وصف الشارف ذات القتب فليس لها شاهد صحيح فتبقىٰ علىٰ ضعفها والله أعلم.

ولو اعتبرناها في الشواهد فأنىٰ للطاعمين الكاسين طعام وكسوة وقد ألقيت الآفة علىٰ الظهر فعلىٰ أي شيء يحشرون طاعمين كاسين؟

الوجه الثاني: أن حديث أبي هريرة ليس صريحا في الدلالة علىٰ زوال الأسلحة والمواصلات الحديثة، فيمكن أن تُنزّل عليه القواعد المذكورة في الفصل الثاني، فيقال

فيه ما قيل في ذكر الخيل تماما، فليس الكلام في الخيل والبعير كالكلام في الحكيم الخبير حتىٰ ننزل قواعد الأسماء والصفات عليها!

ويقال أيضا إن سفر الناس في الزمن الأول يستوي فيه المسافرون من حيث قطع المسافات والوقوف للاستراحات الراكب وغيره، فكيف افترق الناس فيه آخر الزمان وهم يستعملون نفس الوسائل القديمة؟ وعليه فيلزم أن تدرك النارُ أربابَ الثلاث الطرائق كلها لاستوائهم في صفة النقل والسفر، وهذا ما لا يدل عليه ظاهر الحديث.

الوجه الثالث: أن الشراح قد ذكروا في هذا الحديث ما يمكن أن يفسر فيه ذكر البعير بالمركوبات الحديثة، وأن لفظ البعير كناية عنها، فخوطب الصحابة علىٰ قدر فهمهم. فيكون هذا الحديث شاهدا لنا لا علينا للاحتجاج علىٰ بقاء النعم العصرية لا زوالها.

فمما ذكروه:

أولا: أنهم اختلفوا اختلافا شديدا هل المقصود بهذه الطرائق للحشر آخرَ الزمان قبل قيام الساعة، أو أن المقصود يوم القيامة بعد البعث؟

وقد أطال الحافظ رحمه الله في تفصيل هذا الخلاف عند شرحه لحديث أبي هريرة فليراجع هناك.

ثانيا: أن البعير بخلقته لا يقوىٰ علىٰ حمل عشرة رجال معا، وفيه دلالة واضحة أن المقصود ليس هو البعير بحقيقته ولكن المقصود هو ذكر الركوب والمركوب، والعدد ليس للحصر ولكنه للتمثيل، والمركوبات الحديثة من نعم الله العصرية نستطيع أن نحمل عليها هذا الحديث بدون كلفة، فتجد المركوب الواحد يحمل الراكب الواحد والاثنين والثلاثة والعشرة وأكثر من ذلك.

والتعاقب غير وارد وغير مصرح به في الحديث لأنه يصيّر الذين في الطريقة الثانية مع أصحاب الطريقة الثالثة الذين تبيت معهم النار حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا، فتعاقُبُهم علىٰ البعير لا يسرع بهم عن سير من لا بعير له! وهذا لا يدل عليه ظاهر الحديث كما تقدم، فظاهره أن النار لا تدرك إلا الصنف الثالث ممن لا مركوب له، بينما تصوُّر التعاقب علىٰ البعير يجعلهم سواء!

ولهذا قال الحافظ رحمه الله: وإنما لم يذكر الخمسة والستة إلىٰ العشرة إيجازا واكتفاء بما ذكر من الأعداد مع أن الاعتقاب ليس مجزوما به ولا مانع أن يجعل الله في البعير ما يقوىٰ به علىٰ حمل العشرة. اهـ

فأيها أولىٰ ادعاء خرق العادة للبعير الواحد حتىٰ يطيق حمل العشرة، أو أن الأولىٰ حمل الحديث علىٰ الأسباب العادية التي سخرها الله في عصرنا وكنّىٰ عنها النبي عليه الصلاة والسلام بالبعير حتىٰ لا يشوش علىٰ الناس إيمانهم بأن يذكر لهم ما لا يعرفون فيسبب لبعضهم الريب؟ وقد قال علي رضي الله عنه: "حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ"

لا شك أن حمل الحديث علىٰ الأسباب العادية ما أمكن أولىٰ من دعوىٰ خرق العادة بدون دليل، حتىٰ الذين حملوا الحديث علىٰ الحشر يوم القيامة ذكروا أيضا في البعير مثل ذلك، فقال قائلهم كما نقله الحافظ: وركوب السابقين في الحديث يحتمل الحمل دفعة واحدة تنبيها علىٰ أن البعير المذكور يكون من بدائع فطرة الله تعالىٰ حتىٰ يقوىٰ علىٰ ما لا يقوىٰ عليه غيره من البعران ويحتمل أن يراد به التعاقب.اهـ

ثالثا: أن بعض أهل العلم تأول النار في هذا الحديث بذاته أن المقصود بها الفتنة والحرب وليس حقيقة النار، كما قال الحافظ وهو يحكي عن الطيبي: ثم حكىٰ خلافا هل المراد بالنار نار علىٰ الحقيقة أو هو كناية عن الفتنة الشديدة كما يقال نار الحرب لشدة ما يقع في الحرب قال تعالىٰ: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [المَائِدَة : ٦٤] .اهـ فإذا احتمل بعض أهل العلم أن النار ليست علىٰ الحقيقة مع ذكر بيتوتتها وقيلولتها واصباحها مع أهل الطريقة الثالثة، وليس في الحديث قرينة تشير لذلك، فما المانع أيضا أن يكون البعير علىٰ غير الحقيقة؟ مع وجود قرينة في الحديث تدل علىٰ أن البعير ليس كالبعير.

هذا ما تيسر لي الوقوف عليه مما صح من الأحاديث مما يستدل به الزاعمون فناء مانحن عليه مما أنعم الله به علىٰ عباده في هذا العصر من النعم العظيمة التي لم يوجد لها نظير في تاريخ البشرية، وهناك ما لم أنبه عليه لأن دلالته كدلالة ما نبهنا عليه.

وبالنسبة لما يذكره كثير من المفسرين من الأحاديث في أحداث آخر الزمان فإن كثيرا منها عبارة عن إسرائيليات، أو أحاديث موضوعة مطرحة، أو أحاديث ضعيفة لا تقوم بها الحجة، فيتواردون علىٰ ذكرها، يتبع فيها المتأخر مَن تقدم، فيأتي بعض المغفلين فيظن أن دلالة مثل هذه الأحاديث والإسرائيليات إجماع لا يجوز القول بغيره.

***

## والخلاصة في هذا الفصل

أن القول بتفويض الحقائق لله فيما نحن بصدده، وعدم الخوض في معاني ما أخبر به النبي عليه الصلاة والسلام من أحداث آخر الزمان كهذه مؤد للقول بأن هذه الأحاديث تنزل منزلة الأدلة الواصفة للرب جل جلاله، وأن الكلام فيها كالكلام في ذات الله عز وجل وصفاته، وهذا ظاهر البطلان، فمن أعظم الكرامات الفهم عن الله والفهم عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وليس في القران والسنة ما لا يعرف حقيقته وكيفية معناه، ولا يجوز الخوض في كيفية كنهه لا بقليل ولا كثير إلا صفات الرب تبارك وتعالىٰ، أو ما ورد في بعض أمور الآخرة، أما ما سوىٰ ذلك فالناس يتفاوتون في العلم والفهم ومن علم حجة علىٰ من لم يعلم.

حتىٰ الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر فإنه لا مانع أن يتصور الإنسان كيفية الحقائق التي فيها من أدلة القران والسنة حتىٰ كأنه رأي عين، مع أنه مهما تصور فلن يصل للحقيقة، كما في حديث حنظلة رضي الله عنه، فمن باب أولىٰ ما أخبر به النبي عليه الصلاة والسلام من حياة الناس آخر الزمان وحروبهم أن تتصور ويحاول فهمها وتنزيلها علىٰ الواقع حسبما ورد من النصوص الشرعية، ولا يكتفىٰ فيها بالجمود علىٰ المعاني المطابقة للألفاظ فقط، أو جعل الكلام فيها كالكلام في ذات الله تعالىٰ!

❊❊❊

## الفصل التاسع
## مفاسد القول بزوال النعم العصرية وغيرها
## المفسدة الأولى

التأخر عن مناصرة المهدي والتخذيل عنه واتهامه بأنه أحد الدجاجلة لو ظهر وهي باقية.

ففي حال ترسخت هذه العقيدة عند البعض وأن أحداث آخر الزمان لن تقع إلا في ظل انعدام هذه الوسائل العصرية، فإنه حين خروج المهدي وهي باقية فإن كثيرا ممن يغتر بهذا المعتقد لن يصدق المهدي، وربما تأخر عن مناصرته، وفاته السبق لذلك، بل ربما خُذِل عن مناصرته والجهاد معه لأن من أبرز علاماته التي تميزه عن غيره من الدجاجلة عنده هي خروجه بعد أن يأخذ الله هذه النعم العصرية علىٰ عباده.

والناظر للواقع لا يستبعد أن يصبحنا خبر ظهور المهدي أو يمسينا في خلال السنوات القادمة خصوصا بعد هذه الفتن المدلهمة علىٰ المسلمين، وظهور جل علامات الساعة الصغرىٰ ولم يبق إلا الكبرىٰ.

إضافة لكوننا الان زمن الحكم الجبري الذي تعقبه الخلافة علىٰ منهاج النبوة.

❊❊❊

## المفسدة الثانية

تشويه الإسلام عند غير المسلمين ونسبته للخرافات والصد عنه بسبب ذلك، فإنهم حين يحدثهم المسلم أن المليارات من البشر الذين يسكنون العالم في كل قاراته، وما معهم من التكنلوجيا الحديثة والوسائل التي ينسلون بها من كل حدب في شرق الأرض وغربها، حيث تقاسموها كلها ولم تبق بقعة فيها إلا وهي ملك لجماعة من هؤلاء الناس، فحين يخبرهم المسلم أنها توجد أمة من البشر في شرق الأرض محاصرة خلف ردم بين سلسلتين جبليتين، ولا زالوا يستعملون الوسائل القديمة، وسيسيطرون بها علىٰ الأرض! وهذه الأمة في الكثرة أضعاف أضعاف هذه المليارات المعروفة الان حتىٰ أن هذه البشرية كلها بالنسبة لهم كالشعرة السوداء في جلد الثور الأبيض!

فلو بلغ سكان العالم في عصرنا ستة مليار حسب التعداد السكاني المعاصر فسيكون يأجوج ومأجوج لو كانوا غير هؤلاء ستة آلاف مليار علىٰ أقل تقدير لو كانت نسبة الناس جميعا مسلمهم وكافرهم إليهم واحدا من ألف كما في حديث أبي سعيد، ومساحة روسيا والصين ومنغوليا مجموعة كلها قرابة اثنين وعشرين مليون كيلو متر مربع، بما معناه أن الكيلو المربع الواحد سيعيش فيه أكثر من ألفي نسمة من يأجوج ومأجوج لو فرغت لهم روسيا والصين ومنغوليا بأسرها!

ولا شك أن هذا من المحال الذي تتنزه عنه شريعة الإسلام.

❊❊❊

## المفسدة الثالثة

تخذيل المسلمين عن الاستزادة من هذه النعم والإعداد الحسي منها لمجاهدة الكافرين، والاستغناء عنهم، لأن مصيرها للزوال، ولا يُدرىٰ متىٰ زوالها، فلا حاجة للإنشغال بها، فيبقىٰ حينها المسلمون في ذلهم وتبعيتهم للكافرين، في الصناعة وفي الغذاء والدواء ونحو ذلك، ولو فكر المسلمون بإقامة دينهم فلن يستطيعوا لذلك سبيلا ما داموا يتبعون الكافرين في معاشهم، وسيقودهم الكافرون كما تقاد البهائم، والله تعالىٰ قال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال : ٦٠]

فالقوة في زماننا هي الرمي الناري ولا شك أن من اعتقد زوال هذا الرمي الحديث في أي لحظة وعود الناس للرماح والنشاب القديمة فإنه لن يتشاغل بالإعداد منه غالبا.

***

## المفسدة الرابعة

التفريط في شكر الله تعالىٰ علىٰ هذه النعم، والله تعالىٰ قال: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم: ٧] ونحن نلاحظ في زماننا قلة شكر الله علىٰ هذه النعم، ونلاحظ إعراض كثير من الوعاظ والخطباء عن ذكرها وحث الناس علىٰ أداء شكرها لله، والله تعالىٰ ذكر في كتابه نعما هي دونها بمراحل في وسائل الراحة والمعيشة الدنيوية، وأكثر من ذكرها وأمر بشكرها، فكيف بهذه النعم العصرية العظيمة التي لا يقدر قدرها، من المراكب المتنوعة برا وبحرا وجوا، ومن المساكن المجهزة بأحسن وسائل الراحة، ومن التواصل بين الناس، وأنواع المآكل والمشارب وغير ذلك مما لا يعرفه الأولون.

فقلة شكر الله علىٰ هذه النعم حاصل بأسباب منها اعتقاد زوالها، وهي ليست مقتصرة علىٰ الوسائل الحربية بل هي عامة في كل النعم العصرية.

فمن أعجب العجب وأغرب ما يكون من الطرائف العصرية ما هو منتشر عند بعض الفقهاء والمنتسبين للعلم أن يعتقدوا زوال جميع أصناف النعم والمنن العصرية من الله علىٰ عباده لمجرد ذكر السيف والخيل في أحداث آخر الزمان!

❊❊❊

## المفسدة الخامسة

اعتقاد البعض أن النعم العصرية حضارة من خصائص الكافرين.

فبعض الناس ينسب هذه النعم لليهود أو للنصارىٰ أو لغيرهم من الكافرين.

وهي وإن كانت في أيدي الكافرين أكثر من المسلمين لكنها في العموم من زينة الله التي أخرج لعباده والله تعالىٰ يقول: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف: ٣٢].

وقد عاتب الله من ينسب المطر للأنواء وأخبر أنه كافر بالله مؤمن بالكوكب، فكيف بمن ينسب هذه النعم للكافرين ويتعجب من صنيعهم، وهو في غاية الغفلة عن فضل الله تعالىٰ عليه بها، وقد عقد الإمام النجدي رحمه الله في كتاب التوحيد عدة فصول متقاربة في معاني هذا الباب، ولا شك أن من أعظم الناس غفلة عنها هم من يزعمون زوالها ويعتبرونها من خصائص الكافرين وينسبون عداوتهم لها وعدم الاغترار بها – زعموا– للشرع، غافلين عن قوله تعالىٰ: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء: ٢٠] فالعطاء الدنيوي يتفرق بين الكافر والمسلم، ومهما كان منه في يد الكافر فإنه لا يخرج عن كونه من عطاء الله تعالىٰ وزينته التي أخرجها لعباده في هذه الدنيا، ولا يوجد مانع شرعي يمنع المسلم من الانتفاع بها، وهكذا لا يوجد سبب شرعي لمحاربتها وبغضها واعتقاد زوالها وكأنها هي الكفر بعينه! فكفر الكافر وإلحاده وزندقته شيء واستعانته علىٰ كفره ببعض النعم التي سخرها الله شيء آخر.

## المفسدة السادسة

التعصب المقيت لنظريات ما أنزل الله بها من سلطان، فليس هناك أدلة صريحة عند من قطع بزوالها إلا مجرد الظن والجمود علىٰ بعض النصوص القابلة للتأويل شرعا ولغة وعرفا.

ولا أدل علىٰ هذا التعصب من رد التويجري علىٰ السعدي وتحامله عليه، وهكذا ما رأيناه وشاهدناه من ثورة بعض الناس علينا حين نشرنا مذهب الإمام السعدي في هذا الباب، وكل ذلك التعصب مبني علىٰ أفهام خاطئة وظنون وأوهام يحسبها أصحابها أنها من التأصيل العلمي وهي بعيدة كل البعد عن ذلك.

وقد أدىٰ بهم هذا المعتقد لاعتقاد اختفاء يأجوج ومأجوج، وهذا أمر محدث ليس عليه دليل.

***

## المفسدة السابعة

تعظيم الكافرين حيث يصدّق البعض أن بعض الكافرين يستطيع بضغطة زر أن يقضي علىٰ نعم الله العصرية كلها ويعيد الناس للعصور القديمة.

ولولا أنا سمعنا هذا بأنفسنا ما صدقنا أن طالب علم فضلا عن شيخ وفقيه ممن يشار إليه بالبنان أن ينطلي عليه مثل هذا الكلام الفارغ.

فذاك الله سبحانه وتعالىٰ الذي قال عن نفسه: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٨﴾ [القَصَص : ٦٨]

فالخلق خلق الله والملك ملكه، فلا أحد شريك مع الله يستطيع أن يعيد الناس للماضي بضغطة زر ولا غير ذلك من الخرافات العصرية، ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾ [آل عِمۡرَان : ٢٦]

فلما اعتقد هؤلاء زوال ما أكرم الله به عباده من النعم العصرية ذهبوا يبحثون عن أسباب زوالها حتىٰ وصلوا لهذه المفسدة، ولهذا المستوىٰ المتدني من ضعف العقيدة والإيمان بالله تعالىٰ وتصرفه في الكون، بغير علم وقصد حتىٰ نسبوا إزالتها للكافرين، لأنهم في نظرهم هم الذين أوجدوها إذا فهم يذهبونها! فنعوذ بالله من الخذلان.

***

## المفسدة الثامنة

سوء الظن بالله تعالىٰ ومشابهة القدرية حيث يعتقد البعض أن الله لن ينصر المسلمين إلا بزوال هذه النعم ورجوعهم للوسائل القديمة.

وكأن هذه النعم ليست لله ولا من صنعه، بحيث لا ينصر الله دينه إلا بما خلق من الجمال والخيول والحمير، أما هذه الصناعات فإنها عندهم غير لائقة لنصرة الدين لأنها من اختصاص الكافرين التي لا يمكن لغيرهم من أهل الإسلام وراثتها والتصرف بها.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنفال : ١٧].

فنسب الله تعالىٰ عمل الوسائل القديمة له وهي من صنع البشر فكذلك الوسائل الحديثة.

***

## المفسدة التاسعة

التصدر لعداوة من لا يقول بهذا القول وتشويه سمعته ونسبته للعقلانية زورا وبهتانا.

وقد وقع هذا للعلامة السعدي في زمنه ورأيناه بأنفسنا في هذا الوقت، بل إن من أغرب ما رأيت أن بعض الشيوخ الفضلاء ممن ينتسب للعلم تواصل معي يسبني ويشتمني ويحذرني أني ربما سأصاب بالجنون والأمراض النفسية بسبب تقريراتي هذه ونصرتي للعلامة السعدي رحمه الله، وبعض الطيبين يصفني أني أتلاعب بالنصوص الشرعية، وغير ذلك من العظائم، حتىٰ يكاد الشخص أن يضحك من ركبته، كما ذكر العلامة الوادعي رحمه الله، وهم معذورون في هذا لأن بحثي شيء جديد وصادم بالنسبة لهم، وأيضا من أنا حتىٰ يُقبل مني بردا وسلاما مثل هذه التقريرات التي تخالف ما سار عليه كثير من العلماء والأئمة لقرون مسلِّمين بها؟!

ونحن مأمورون بالصبر، فمثل هذه التهم قد قيلت في خير أنبياء الله تعالىٰ وخاتمهم

﴿وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦﴾ [الحِجر : ٦] ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۝٢٩﴾ [الطُّور : ٢٩] ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ۝٥١﴾ [القَلَم : ٥١]

لكن هذا العذر لن يدوم لهم، خصوصا بعد اطلاعهم علىٰ كتابي الفرقان قال تعالىٰ:

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٨﴾ [الأَحْزَاب : ٥٨] والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: **"مَنْ قَالَ فِي مُسْلَمٍ مَا لَيْسَ فِيْهَ أَسْكَنَهُ اللهُ رَدْغَةَ الْخَبَالِ... عُصَارَة أَهْلِ النَّارِ"** والعياذ بالله، فمن أصر بعد هذا علىٰ رد بحثي وتقريراتي العلمية التي نصرت فيها الحق الذي قال به إمام العلماء في زمانه جملة

وتفصيلا، فإننا نعتبره باغيا لا يجوز السكوت عليه، لأنه سلك نفس المسلك الذي سلكه أهل الأهواء في محاربة الإمام السعدي وتشويه سمعته بسبب هذه التقريرات، فننصح كل من رفع عقيرته، أو أطلق لبنانه العنان بالتنقص من العلامة السعدي، أو تخطئته جهلا منه وتقليداً لمن سبقه، أن يتوب ويتحلل في الدنيا قبل أن لا يكون دينارا ولا متاعا.

وبالنسبة لي فكل من تكلم فيّ سابقا بقليل أو كثير فهو في حل، أما الحكم الشرعي فخرط القتاد دون أن نتركه أو نترك الدفاع عنه لرأي إنسان من الناس بإذن الله عز وجل.

❊❊❊

## المفسدة العاشرة

الوقوع في الحدث في الدين، وذلك بزيادة شرط من أشراط الساعة ما أنزل الله به من سلطان، فإذا كان العمل التعبدي المحدث جريمة منكرة في الشرع، ومردودة علىٰ صاحبها، وقد سميت ضلالة وكل ضلالة في النار، فكيف إذا كانت هذه الجريمة من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله؟

فإن لسان حال معتقدها أنه يقول: لن تقوم الساعة حتىٰ تزول النعم العصرية.

وأي حدث وتقول علىٰ الله وعلىٰ رسوله أعظم من هذا؟!

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف : ٣٣]

وفي الصحيحين عن جمع من الصحابة قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: **"مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"**

❊❊❊

## المفسدة الحادية عشر

مناقضة أصل عظيم ومقصد من مقاصد الإسلام وهو تقريب الساعة وتوقع حصولها بغتة كما كان عليه السلف، فمن اعتقد هذا المعتقد مِن اشتراط زوال النعم العصرية قبل أحداث آخر الزمان فلن يقرب في نظره وقوع الساعة، لأنه يربط وقوعها بزوال هذه الوسائل العصرية، وهذا أيضا من الحدث في الدين، ففيه زيادة شرط من أشراط الساعة ليس في كتاب الله ولا سنة رسول الله ولا ورد عن السلف.

فعندهم أنه ما زالت هذه النعم موجودة فالساعة بعيدة، فإذا زالت فهنالك نرجع لعقيدة السلف من توقع قرب الساعة.

وأي شر أعظم من هذا؟

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢١﴾ [الشُورَى : ٢١]

وبذكر هذه المفاسد في هذا الفصل نكون قد انتهينا بحمد الله من كتابة هذه الرسالة التي نسأل الله بركتها وخيرها ونفعها.

كان إتمام الطبعة الأولىٰ في ليلة الخامس والعشرين من ذي الحجة لعام أربعة وأربعين وأربع مائة وألف من الهجرة النبوية.

كتبها الفقير لعفو ربه وستره

أبو عمرو الأبيني

يسلم بن صالح بن شيخ (بن عجلان) الكلدي اليافعي

# المحتويات

مقدمة الطبعة الثالثة ..... ٣

الفصل الأول ..... ١١

مقدمة البحث ..... ١١

الفصل الثاني ..... ٢٧

بعض القواعد والمقاصد الشرعية التي ترد علىٰ من زعم زوال هذه النعم العصرية وزعم أن أحداث آخر الزمان لن تقع إلا بعد ذهابها ..... ٢٧

المقصد الأول ..... ٢٧

المقصد الثاني ..... ٣٤

المقصد الثالث ..... ٣٦

المقصد الرابع ..... ٣٨

المقصد الخامس ..... ٤٤

الفصل الثالث ..... ٤٦

الرد علىٰ شبهات من منعني الكتابة في أحداث آخر الزمان ..... ٤٦

الشبهة الأولىٰ ..... ٤٦

الشبهة الثانية ..... ٥٤

الشبهة الثالثة ..... ٥٦

الشبهة الرابعة.....٥٨
الشبهة الخامسة.....٦٢
الشبهة السادسة.....٦٣
الشبهة السابعة.....٦٥
الشبهة الثامنة.....٧٣
الفصل الرابع.....٧٥
في التحقيق في مسألة النعم العصرية الحديثة وبقائها، وذكر الأدلة علىٰ ذلك.....٧٥
الباب الأول في ذكر الأدلة السمعية من الأحاديث النبوية التي فيها إشارة لوجود نعم الله تعالىٰ علىٰ أهل هذا العصر عند وقوع العلامات الكبرىٰ للساعة.....٧٨
الحديث الأول.....٧٨
الحديث الثاني.....٧٩
الحديث الثالث.....٨٠
الحديث الرابع.....٨١
الحديث الخامس.....٨٣
الحديث السادس.....٨٥
الحديث السابع.....٨٦

الحديث الثامن ..... ٨٨
الحديث التاسع ..... ٩٠
الحديث العاشر ..... ٩٤
الحديث الحادي عشر ..... ١٠٠
الحديث الثاني عشر ..... ١٠١
الحديث الثالث عشر ..... ١٠٣
الحديث الرابع عشر ..... ١٠٦
الحديث الخامس عشر ..... ١٠٨
الحديث السادس عشر ..... ١٠٩
الحديث السابع عشر ..... ١١٠
الحديث الثامن عشر ..... ١١٢
الدليل التاسع عشر ..... ١١٤
الباب الثاني في ذكر النقاش العقلي الذي يبطل فكرة زوال النعم العصرية ..... ١١٥
الفصل الخامس ..... ١٢٠
ما يتعلق بالدجال واستعانته بالنعم العصرية. ..... ١٢٠
الباب الأول ..... ١٢٣

قواعد عامة من أصول الإسلام تبين حقيقة الدجال ..... ١٢٣
القاعدة الأولىٰ ..... ١٢٣
القاعدة الثانية ..... ١٢٥
القاعدة الثالثة ..... ١٢٦
القاعدة الرابعة ..... ١٢٨
القاعدة الخامسة ..... ١٣١
القاعدة السادسة ..... ١٣٣
القاعدة السابعة ..... ١٣٦
القاعدة الثامنة ..... ١٣٨
القاعدة التاسعة ..... ١٣٩
القاعدة العاشرة ..... ١٤٠
القاعدة الحادية عشر ..... ١٤١
الباب الثاني ..... ١٤٤
بعض الدلائل التي تبين دجل الدجال وسحره وأنه ليس بشيء وهو أهون علىٰ الله أن يجعل علىٰ يديه ما جعله علىٰ يدي أنبيائه. ..... ١٤٤
الدليل الأول ..... ١٤٤

الدليل الثاني ..... ١٤٧
الدليل الثالث ..... ١٤٨
الدليل الرابع ..... ١٤٩
الدليل الخامس ..... ١٥٠
الدليل السادس ..... ١٥٣
الدليل السابع ..... ١٥٥
الباب الثالث ..... ١٦٠
أسباب تعظيم الشرع لفتنة الدجال ..... ١٦٠
الباب الرابع ..... ١٦٣
مناقشة خوارق الدجال ..... ١٦٣
الخارق الأول قتل الشاب واحياؤه ..... ١٦٤
الخارق الثاني جنة الدجال وناره ..... ١٦٨
الخارق الثالث امطار السماء وانبات الأرض ..... ١٧٠
الخارق الرابع ..... ١٧٦
الخلاصة في الدجال ..... ١٧٨
الفصل السادس ..... ١٨٤

وهو عبارة عن ثلاث مسائل تتعلق بنبي الله عيسىٰ عليه الصلاة والسلام. ..... ١٨٤
المسألة الأولىٰ نفَسُ عيسىٰ ..... ١٨٤
القاعدة الأولىٰ ..... ١٨٨
القاعدة الثانية ..... ١٨٩
القاعدة الثالثة ..... ١٩١
القاعدة الرابعة ..... ١٩٤
القاعدة الخامسة ..... ١٩٥
القاعدة السادسة ..... ١٩٧
المسألة الثانية ..... ٢٠٩
المسألة الثالثة ..... ٢١٤
الفصل السابع ..... ٢١٦
ما يتعلق بيأجوج ومأجوج وأنهم يستعملون العلوم والمخترعات العصرية. ..... ٢١٦
الباب الأول تلخيص رسالة العلامة السعدي في يأجوج ومأجوج ..... ٢١٧
الدليل الأول ..... ٢١٩
الدليل الثاني ..... ٢٢١
الدليل الثالث ..... ٢٢٢

الدليل الرابع ..... ٢٢٤
الدليل الخامس ..... ٢٢٩
الدليل السادس ..... ٢٣٠
الدليل السابع ..... ٢٣١
الدليل الثامن ..... ٢٣٣
الدليل التاسع ..... ٢٣٥
الدليل العاشر ..... ٢٣٦
الباب الثاني ..... ٢٤١
مزيد من أدلة القران والسنة في صحة ما ذهب إليه العلامة السعدي ..... ٢٤١
الدليل الأول ..... ٢٤٢
الدليل الثاني ..... ٢٤٨
الدليل الثالث ..... ٢٥٠
الدليل الرابع ..... ٢٥٢
الدليل الخامس ..... ٢٥٨
الدليل السادس ..... ٢٥٩
الدليل السابع ..... ٢٦١

الدليل الثامن ..... ٢٦٤
الدليل التاسع ..... ٢٦٦
الدليل العاشر ..... ٢٦٩
الدليل الحادي عشر ..... ٢٧٤
الدليل الثاني عشر ..... ٢٧٩
الدليل الثالث عشر ..... ٢٨٦
الدليل الرابع عشر ..... ٢٩١
الباب الثالث ..... ٢٩٣
أسباب انتشار عقيدة بقاء الردم وعدم اندكاكه حتىٰ ينزل عيسىٰ ..... ٢٩٣
السبب الأول ..... ٢٩٣
السبب الثاني ..... ٢٩٦
السبب الثالث ..... ٢٩٨
السبب الرابع ..... ٣٠٠
السبب الخامس ..... ٣٠٣
السبب السادس ..... ٣٠٤
السبب السابع ..... ٣٠٥

السبب الثامن ..... ٣٠٦
السبب التاسع ..... ٣٠٧
السبب العاشر ..... ٣٠٨
الباب الرابع ..... ٣١١
الردود علىٰ المخالفين للإمام السعدي ..... ٣١١
الرد علىٰ أبي بكر الحمادي ..... ٣١١
فصله الأول الحجج والأدلة التي أوردها ..... ٣١٤
حجته الأولىٰ ..... ٣١٤
حجته الثانية ..... ٣٢٦
الرد علىٰ الشنقيطي ..... ٣٣٠
حجته الثالثة ..... ٣٣٧
حجته الرابعة ..... ٣٣٩
حجته الخامسة ..... ٣٤٥
حجته السادسة ..... ٣٥١
حجته السابعة ..... ٣٥٧
حجته الثامنة ..... ٣٥٩

حجته التاسعة ..... ٣٦٢
حجته العاشرة ..... ٣٦٣
فصله الثاني رسالة التويجري رحمه الله ..... ٣٦٦
الفقرة الأولىٰ ..... ٣٦٧
الفقرة الثانية ..... ٣٦٩
الفقرة الثالثة ..... ٣٧٢
الفقرة الرابعة ..... ٣٧٣
الفقرة الخامسة ..... ٣٧٤
الفقرة السادسة ..... ٣٧٧
الفقرة السابعة ..... ٣٧٩
الفقرة الثامنة ..... ٣٨١
الفقرة التاسعة ..... ٣٨٣
الفقرة العاشرة ..... ٣٨٥
الفقرة الحادية عشر ..... ٣٨٧
الفقرة الثانية عشر ..... ٣٨٨
الفقرة الثالثة عشر ..... ٣٩٠

الفقرة الرابعة عشر ..... ٣٩٢
الفقرة الخامسة عشر ..... ٣٩٣
الفقرة السادسة عشر ..... ٣٩٤
الفقرة السابعة عشر ..... ٤٠٢
الفقرة الثامنة عشر ..... ٤٠٤
الفقرة التاسعة عشر ..... ٤٠٧
الفقرة العشرون ..... ٤٠٨
الفقرة الواحدة والعشرون ..... ٤٠٩
الفقرة الثانية والعشرون ..... ٤١٠
الفقرة الثالثة والعشرون ..... ٤١٢
فصله الثالث فتوىٰ الفوزان ..... ٤١٥
فصله الرابع في فتوىٰ العثيمين ..... ٤١٦
فصله الخامس في فتوىٰ الشنقيطي ..... ٤١٧
آخر فصول الحمادي ..... ٤١٨
ومما نرد به علىٰ المخالفين للسعدي ..... ٤١٩
الفصل الثامن ..... ٤٢٠

مناقشة ما استدل به من تألىٰ علىٰ الله أنه سيذهب هذه النعم العصرية ..... ٤٢٠
الحديث الأول ..... ٤٢١
الحديث الثاني ..... ٤٢٥
الحديث الثالث ..... ٤٢٨
تنبيه فيما يتعلق بسقوط جوانب المدينة الرومية بالذكر ..... ٤٣١
الحديث الرابع ..... ٤٣٣
تنبيه فيما يتعلق بحربة عيسىٰ عليه الصلاة والسلام وغيرها ..... ٤٣٦
الحديث الخامس ..... ٤٣٩
والخلاصة في هذا الفصل ..... ٤٤٤
الفصل التاسع ..... ٤٤٥
مفاسد القول بزوال النعم العصرية وغيرها ..... ٤٤٥
المفسدة الأولىٰ ..... ٤٤٥
المفسدة الثانية ..... ٤٤٦
المفسدة الثالثة ..... ٤٤٧
المفسدة الرابعة ..... ٤٤٨
المفسدة الخامسة ..... ٤٤٩

المفسدة السادسة ..... ٤٥٠

المفسدة السابعة ..... ٤٥١

المفسدة الثامنة ..... ٤٥٢

المفسدة التاسعة ..... ٤٥٣

المفسدة العاشرة ..... ٤٥٥

المفسدة الحادية عشر ..... ٤٥٦

المحتويات ..... ٤٥٧